حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

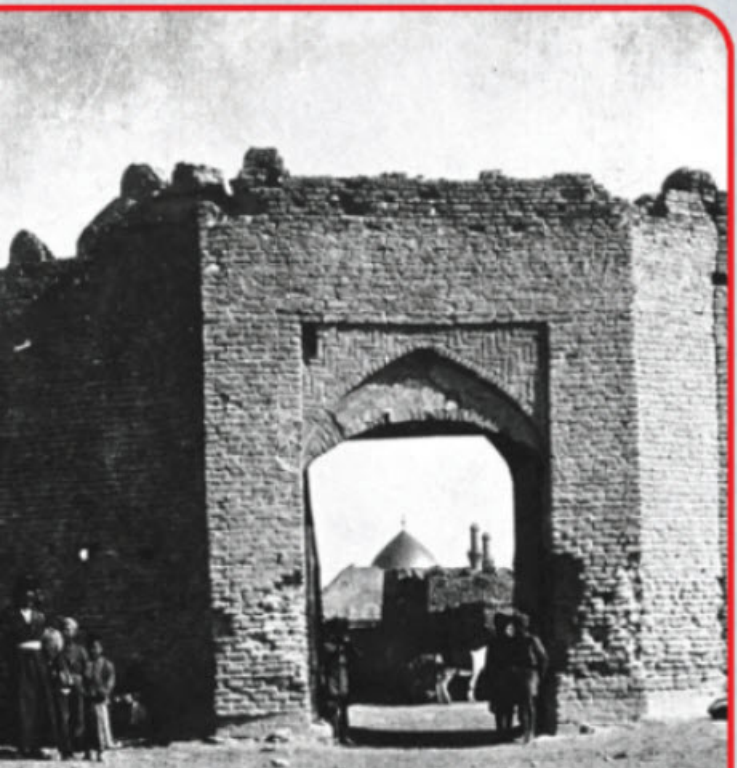

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

ثورة زيد بن علي في الكوفة
الأسباب، الأيديولوجية، النتائج

السيد مثنى محمد رضا الشرع
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله(ﷺ): يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطون رقاب الناس غُراً مُحجلين يدخلون الجنة بغير حساب[1].

قال الإمام الصادق(عليه السلام): من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، ذهب والله عمي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جده علي والحسن والحسين عليهم السلام شهداء من أهل الجنة التابع لهم بإحسان مؤمن والشاك فيهم ضال والراد عليهم كافر وأنهم ليحشرون يوم القيامة أحسن الخلق زينة ولباساً وفي أيديهم كتب لهم مثال الطوامير فيقول الخلائق: من هؤلاء؟ فتقول الملائكة: هؤلاء خلف الخلف ورعاة الحق ولا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى الفردوس الأعلى فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء[2].

❖ أولاً: العصر الذي سبق ولادة زيد بن علي

مات عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي عام 86هـ/ 705م، وتولى ابنه الوليد الأمر من بعده مباشرة وكان الوليد جباراً عنيداً ظلوماً غشوماً.. سار في أمور البلاد والعباد سيرة أبيه الأولى إذ اعتمد الوليد على الحجاج بن يوسف الثقفي[3] أيضاً في إدارة دولته فاستمر القهر والجور والظلم حتى هلك الحجاج عام 95هـ/ 713م وفيه قال المسعودي: ..... ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين وكان تأمّرُه على الناس عشرين سنة وأحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرون ألفاً ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب....[4].

فهذا الوصف لسياسة الحجاج وإن كان لا يخلو من المبالغة فإن فيه صورة معبرة لما كان عليه الوضع على أيامه.

تولى سليمان بن عبد الملك أمور البلاد وبعد وفاة أخيه الوليد عام 96هـ/ 714م ولم يدم ملكه أكثر من ثلاث سنوات وفيها كان أمر البلاد على ما عرف عنه على عهد سلفه وهذا ما نستنتجه من الحوار الذي دار بين سليمان وبين إعرابي إذ خاطب الإعرابي سليمان قائلاً: يا أمير المؤمنين، أما إذ أمنت بادرة غضبك فسأطلق لساني بما خرست به الألسن من عظتك

---

(1) مقاتل الطالبيين ص 127.

(2) الفتوح، ج8ص294.

(3) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب بن مالك الثقفي، ولد بالطائف سنة (41 هـ / 661 م) ونشأ فيها ثم اشتغل بالتعليم، اختاره الأمويون فألقى القلم وامتشق الحسام للدفاع عن حكمهم المزعزع في المشرق، وفي سنة 75 هـ استقدمه عبد الملك بن مروان وعهد إليه بولاية العراق والمشرق الإسلامي ليخمد الفتن في العراق ويعيد هيبة الأمويين ونفوذهم إليها، وكان العراق متمرداً ساخطاً يعج بالفتن والثورات،كانت ولايته على العراق (75-95هـ)، لقد امتاز الحجاج بن يوسف بالحزم والشدة فلم تأخذه هوادة في معاملة من يخرج عن الطاعة والواقع انه لم يرتفع بعد ذلك رأس على الحجاج الصارم إلا وقطعه أو تطاول عنق إلا وناله وسواء أكان الحجاج على حق فيما فعل أم لا فأن سياسة البطش والوسائل الحازمة التي اتخذها أقرت النظام في العراق والمشرق الإسلامي، مات الحجاج بعد أن قتل سعيد بن جبير صبراً وذلك في سنة 95 هجرية.وهو ابن أربع وخمسين سنة. وعندما مات الحجاج وجد في سجونه خمسون ألف رجل،وثلاثون ألف امرأة عارية، وأحصي من قتلهم صبراً فوجد مائة وعشرون ألفاً. لمزيد من التفاصيل انظر: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص170، تاريخ العرب،ج2 ص 271،المعارف ص395،مروج الذهب ح3،ص137.

(4) مروج الذهب، ج3، ص137.

تأدية لحق الله وحق أمانتك يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه، فإنهم لم يأتوا إلا ما فيه تضييع وللأمة خسف وعسف[1].

لم تتحرك الشيعة على عهد عبد الملك وولديه فقد نالت السلطة منهم وكما بينا ما نالت فضلاً عن وفاة عدد من قادتهم منهم:

1- محمد بن الحنفية عام 81هـ/ 700م.

2- الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) عام 95هـ/ 713م.

3- عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي مات مسموماً على يد أعوان سليمان بن عبد الملك عام 97هـ/ 715م.

لكن جذوة معارضتهم للسلطة لم تخمد إذ ساعد الانقلاب الذي شهدته بنو أمية على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-719م) في أرجاء تحركاتهم المعارضة إلى حين تولى عمر بن عبد العزيز السلطة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك عام 99هـ/ 717م. وقد انطلق عمر في سياسته من قاعدة فكرية ارتكزت على كتاب الله وسنة نبيه وهذا ما يتوضح في خطبه، منها التي ألقاها في الناس عندما تولى أمر السلطة قال فيها: أيها الناس إنما نحن من أصول قد مضت وبقيت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله... وأخرى قال فيها: أيها الناس أنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد(صلى الله عليه وآله) ألا وإني لست بقاضٍ، ولكني منفذ، ألا وإني لست بمبتدع، ولكني متبع، أن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بعاصٍ ولكن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جاء عمر بن عبد العزيز بمنهج جديد في أمر السلطة على عهده، لا يشبه ما كان عليه عند سلفه من الحكام فقد اعتمد منهجه الإصلاح مضموناً لمسيرة السلطة استناداً إلى القرآن والسنة فكان عهده انقلاباً سياسياً إصلاحياً عرفته الدولة العربية الإسلامية، لأول مرة منذ تولي بني أمية السلطة فيها، فقد عمل عمر بن عبد العزيز على نشر العدل وتأكيد المساواة بين الناس فلم يفضل قرشياً على أحد ولا عربياً على غيره في رزق أو كسوة أو عطاء.

أمر عمر بن عبد العزيز الناس بترك سب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وولديه عليهم السلام وجعل مكانه: ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، وقيل بل جعل مكانه «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأعطى بني هاشمٍ الخمس وردّ فدكاً إلى ورثة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان معاوية أقطعها لمروان الذي وهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر بن عبد العزيز فردها إلى الإمام محمد الباقر(عليه السلام)[2].

لم ترق سياسة عمر بن عبد العزيز للأمويين، فمن الواضح أن امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها أيام سلفه من الحكام قد ألغيت، فدسوا إليه السم خوفاً من أن يخرج الأمر منهم فتوفي عام 101هـ/ 719م[3].

عادت السلطة الأموية إلى سابق عهدها عندما تولى يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/ 719-723م) أمرها بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقد كتب يزيد إلى عمال الدولة: إن عمر ابن عبد العزيز كان مغروراً غررتموه أنتم وأصحابكم قد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا، أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا فالنزعة نحو الملك وحياة الترف واضحة فيما تضمنه كتاب يزيد، وتفاعل ذلك بما أشتهر عنه باللهو والخلاعة والتشبيب بالنساء، حتى قيل عنه إن قلبه شغف بجاريتين هما سلامة وحبابة ولعل ذلك من أهم الأسباب التي دفعت يزيد أن يعطي كامل الصلاحيات لعماله لجمع أكبر ما يمكن جمعه من أموال الخراج والانتقام من خصومه فكان يزيد بعيداً عن أن يكون رجلاً سياسياً يدرك مصالح الدولة ونتائج تصرفاته[4].

وقف يزيد بن عبد الملك موقفاً سلبياً من العلويين وشيعتهم، ومن بين أبرز الخطوات التي اتخذها في هذا الاتجاه انتزاعه فدك من أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام وضمها إلى أملاكه الخاصة وقد تفاعل هذا الموقف، على ما يظهر، مع سياسة يزيد العامة، وخصوصاً في الجانب الاقتصادي فقد مُسح السواد على عهده: فوضع على النخل والشجر، وأضرّ بأهل الخراج... وأعاد السخر والهدايا[5].

مما أسهم في أن يسخط الناس من سياسة يزيد وينقموا عليها، ومنهم بعض الشيعة الذين وفدوا على محمد بن علي بن عبد الله بن عبد المطلب، وكان يسكن الشام بمكان يعرف بالحميمة، فطرحوا عليه البيعة تخلصاً من سلطة بني أمية، إذ

(1) مروج الذهب، ج3، ص204.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2، ص214.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص556.

(4) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ص312.

(5) تاريخ اليعقوبي ج2، ص219.

قالوا له: أبسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان، لعل الله أن يحيي بك العدل ويميت بك الجور، فإن هذا وقت ذلك وأوانه، والذي وجدناه مأثور عن علمائكم فوافقهم قائلاً: انطلقوا أيها النفر، فادعوا الناس في رفق وستر، فإني أرجو أن يتمم الله أمركم، ويظهر دعوتكم، ولا قوة إلا بالله ثم وضع لهم خطة تنظيم الدعوة ووجههم نحو العراق وخراسان.

آل أمر السلطة إلى هشام بن عبد الملك بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك عام (105- 125هـ/723-742م) وكان الوضع العام في الدولة ينبئ بالثورة والانفجار فقد تراكم الاستياء وانصب اللعن والطعن في الأمويين وسياستهم من جميع الناس ولم يقابل هشام ذلك بأية خطوة قد تسهم بتصحيح الأوضاع وإصلاح الفساد بل كان هشام «خشناً فظاً غليظاً، يجمع المال...»، غذى أخطاء الأمويين وأضاف ظلماً إلى ظلمهم وطغياناً إلى طغيانهم وقد انسحبت هذه السياسة على الشيعة بخاصة ومما يذكر في هذا الجانب أن هشاماً كان يبغض الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وآله وهذا ما دعاه إلى سجن الإمام محمد الباقر(عليه السلام) بعد أن استدعاه إلى الشام ليقف على موقفه من السلطة ثم أمر هشام بحمل الإمام على البريد إلى المدينة بعد أن أخافه أمر الإمام وهو في السجن، إذ أخذ يجتمع إليه السجناء لينهلوا من علمه، وأخضعه في المدينة إلى ما يمكن أن نسميه اليوم بالإقامة الجبرية وحال بينه وبين الطعام والشراب[1].

تولى هشام الخلافة ومع ذلك فأن هشاماً على الرغم من كل ما قيل عنه وما وصف فيه من كفاءة ومقدرة سار هشام بسيرة من سبقوه من خلفاء بني أمية فيما يخص ولاية العهد، فيحاول أن يجعل الخلافة لأبنه مسلمة من بعده بدلاً من ولي العهد الوليد بن يزيد[2].

إذ كان للعصبية القبلية أثر كبير في تصرف عدد من الولاة المنتسبين لقبيلة ما يضطهدون أبناء القبائل الأخرى مما اضطر هشام إلى إقصائهم عن مناصبهم لذلك التصرف، على الرغم مما لهم من كفاءة عالية وخدموا الدولة الأموية، واخلصوا إلى ولاتهم. إلا أن هناك أسباباً أدت إلى عزلهم، قد تكون أسباباً مالية، وربما قام التعصب القبلي بدور كبير في ذلك. أمثال خالد القسري والي العراق والمشرق (105-120هـ/723-737م) وأخيه أسد القسري الذي كان والياً على خراسان.

وقد اعتمد هشام بن عبد الملك في البداية على اليمنية وبعد ذلك غير هشام سياسته بموالاة القيسية لما بلغته أخبار الحرب التي كانت تدور بين عرب الأندلس وبربرها ضد الأمويين والشاميين في الأندلس إلا أنه عندما شاور العباس بن الوليد فقال له: ليس يصلح أخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله فاصرف نظرك وأحسن إلى هذه القحطانية، فقبل منه ووافق ذلك وورد أبيات كتب بها أبو الخطار الكلبي من افريقية إلى هشام وهي:

أفـأتم بنـي مـروان قيـسا دماءنـا
وفـي الله إن لـم تنـصفوا حكـم عـدل
كـأنكم لـم تـشهدوا مـرج راهـط
ولـم تعلمـوا مـن كـان ثـم لـه الفـضل
وقينـاكم حـر الـوغى بـصدورنا
ولاخيـل تعـد ولارجـل
فلمـا رأيـتم وافـد الحـرب قـد خبـا
وطـاب لكـم منهـا المـشارب والأكـل
تغـافلتم عنـا كـان لـم يكـن لنـا
بـلاء وانـتم مـا علمـتم لهـا فعـل
فـلا تجزعـوا أن عـضت الحـرب مـرة
وزلـت عـن المرقـاة بالقـدم النعـل
فـان شـد حبـل الوصـل وانقطـع التـو
ألا ربمـا يلـوى فينقطـع الحبـل

فما كان من هشام بن عبد الملك إلا أن غير سياسته نحو اليمانية لكنه انحاز بعد ذلك إلى المضرية منذ سنة (111هـ/729م) عندما استعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان الذي لم يتخذ من العمال إلا من كان مضرياً. ثم عزله وولى عاصماً بن عبد الله ابن يزيد الهلالي، وبلغ هشام بن عبد الملك أن خراسان قد افتتنت فضمها ثانية إلى خالد ابن عبد الله القسري فوجه إليها أخاه اسداً بن عبد الله، ومات أسد بن عبد الله بخراسان واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني من أهل الشام ثم بعد ذلك عزل هشام خالداً وولى يوسف بن عمر الثقفي[3] وأمره أن يوجه إليه برجل له علم بخراسان فولى

(1) مناقب آل أبي طالب، ج3، ص322- 323.
(2) تاريخ اليعقوبي ج2، ص 314.

(3) يوسف بن عمر: هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي وهو ابن عم الحجاج بن يوسف يجمعه وإياه الحكم بن أبي عقيل وكان يكنى أبا عبد الله وهو أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي كانت منازل أهله في البلقاء شرقي الأردن وولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنت (106هـ/ 724 م). ثم ولاه العراق (121هـ/738 م) وأضاف إليه امرة خراسان وطلب منه محاسبة خالد بن عبد الله القسري وعماله فعذبهم فمات خالد من عذابه. واستمر يوسف إلى أيام الخليفة يزيد بن الوليد. فعزله يزيد في أواخر سنة (126هـ /743 م) وقبض عليه وحبسه في دمشق إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن. المعارف، ص 398 ؛ الأعلام،ج 9 ص320.

نصر ابن سيار[1].

وعزل جعفر بن حنظلة[2].

وظهرت في عهد هشام بن عبد الملك عدد من الحركات التي كان لها دور في إضعاف الدولة الأموية وسقوطها فيما بعد، وأهمها حركة الحارث بن سريج[3] وثورة زيد بن علي.

❖ ثانياً: ولادة زيد بن علي

لقد كان الواقع الفكري والاجتماعي المزري للناس قد دفع الإمام الباقر(عليه السلام) وأتباعه نحو حركة لا تعرف الكلل والملل من أجل تغيير هذا الواقع، والنهوض بالدور الإصلاحي إزاء هذا الانحراف ويبدو أن الإمام(عليه السلام) كان يرى أن غالبية الناس قد خضعوا لسياسة السلطة الأموية الهادفة إلى استعباد المسلمين لذلك قابل الإمام الباقر(عليه السلام) هذه السلطة بمعارضة فكرية مؤثرة عبّرت عن نفسها بالمدرسة التي فتحها لينهل من علمه المئات من العلماء مما أسهم في استثارة همة الناس وعواطفهم وتحريك مشاعرهم وتوجيههم وجهة ثورية إزاء السلطة، وهذا ما أتى أكله بعد وفاة الإمام الباقر(عليه السلام) عام 117هـ/732م على عهد هشام، بثورة زيد بن علي عام 122هـ/739م.

أ- اسمه ونسبه: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهو بذلك ينتسب من قبل ابيه إلى الإمام علي(عليه السلام) وكان يكنى ابا الحسين وهو من رجال الطبقة الثالثة من أهل المدينة التابعين، أمّا أمّه فهي جارية سندية اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي[4] وأهداها للإمام زين

(1) هو نصر بن سيار بن رافع بن حرى بن ربيعة الكناني، أمير من الدهاة الشجعان كان شيخ مضر في خراسان ووالي بلخ ثم ولي إمرة خراسان سنة (120هـ/737م). بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك وبقي والياً على خراسان عشر سنين إلى قيام الثورة العباسية فخرج يريد العراق، فمات في الطريق بناحية ساوة وله عقب ذو عدد.: المعارف، ص409، الأعلام، ج 8 ص 314.

(2) نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: علي محمد البجاوي ج 21 ص441-444.

(3) أعلن الحارث بن سريج في سنة (116هـ/734م) ثورته ضد الدولة الأموية، وخلع هشاماً بن عبد الملك واتخذ السواد لباساً له داعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) والبيعة للرضا من آل البيت. وكان الحارث ورعاً زاهداً مصلحاً استغل الحارث الكراهية التي يضمرها الموالي لدولة الأمويين، فجمع حوله عدداً كبيراً منهم، وعدداً من العرب الناقمين على الأمويين واستطاع أن يستولي على مناطق كثيرة فسار من الفارياب إلى بلخ. وعليها نصر بن سيار، فلقي الحارث وهو في عشرة آلاف والحارث في أربعة ألاف، فقاتله، فانهزم أهل بلخ وتبعهم الحارث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها. وأمر الحارث بالكف عنهم واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله بن خازم ثم سار الحارث إلى الجوزجان فاستولى عليها وعلى الطالقان ثم سار إلى مرو الروذ وخرج عاصم وهو والي خراسان في أهل مرو وغيرهم، فعسكر وقطع القناطر واقبل أصحاب الحارث، فاصلحوا القناطر، فمال محمد بن المثنى الفراهيدي الأزدي إلى عاصم في ألفين فأتى الأزد، وبني تميم والتقى الحارث وعاصماً وعلى ميمنة الحارث وابض بن عبد الله بن زرارة التغلبي فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الحارث، فغرق منهم خلق كثير في انهار مرو وفي النهر الأعظم، وغرق خازم بن عبد الله بن خازم الذي كان مع الحارث، وقتل أصحاب الحارث قتلاً، فهرب الحارث. وفي سنة (117هـ / 735م) عزل هشام بن عبد الملك عاصماً بن عبد الله عن خراسان وولاها خالداً بن عبد الله القسري، فاستخلف خالد عليها أخاه اسداً بن عبد الله وكان سبب ذلك أن عاصماً كتب إلى هشام «أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله وان خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق وتكون موادها ومعونتها من قريب لتباعد أمير المؤمنين وتباطى غياثه عنها» فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله القسري، وبعث أخاه أسداً بن عبد الله القسري على خراسان، ولما وصل أسد بن عبد الله بجنده إلى خراسان، اضطر الحارث إلى التراجع وتخلى عن البلاد التي سيطر عليها وانسحب إلى ما وراء النهر سنة (118هـ/736م) وتابع هناك ثورته ولكن بجانب الترك أدرك أسد بن عبد الله خطورة ثورة الحارث بن سريج وقدر عمقها الاجتماعي وخطرها على كيان الدولة الأموية في خراسان واثر ذلك في زيادة نشاط العباسيين في خراسان لذلك استعمل قسوة شديدة مع من اتهم بذلك وأسرع في نقل مقر عمله إلى بلخ واتخذها حاضرة لخراسان عام (118هـ/736 م) ربما فعل ذلك خوفاً من سقوطها بيد الحارث بن سريج، ثم بدا أسد بن عبد الله بالقتال مع الحارث بن سريج في بلاد ما وراء النهر، فاخضع هناك كثيراً من المدن التي وقعت في يد الحارث، مستعملاً في ذلك السياسة والصلح أحياناً والسيف أحياناً أخرى واستمرت حركة الحارث بن سريج مدة طويلة لم تنته إلا بجهود نصر بن سيار الذي كان من الحزم والمرونة السياسية حيث ولاه هشام بن عبد الملك ولاية خراسان سنة (120هـ/737م)، وكان نصراً أكثر الموالين للدولة الأموية كفاءة، كما تمكن في الوقت نفسه من حمل الخليفة على العفو عن الحارث بن سريج سنة (126هـ/743م) لكن العصبية التي اشتعلت نارها بين القبائل الشامية قد امتدت إلى الولايات الإسلامية في المشرق بعد موت الوليد الثاني، ولاسيما في مرو حاضرة خراسان حيث خرجت اليمانية على نصر بن سيار، وبذلك استطاع الحارث بن سريج الذي ظل على تمرده وسخطه على الأمويين إن يطرد نصراً من حاضرة خراسان (مرو) بمعونة هؤلاء اليمانية، بيد ان الشقاق لم يلبث أن عكر صفو ذلك الحلف بين هذين الفريقين (الحارث بن سريج وجديع بن علي بن شبيب بن عامر الكرماني) ثم وقع الخلاف بين الطرفين فاقتتلوا فقتل الحارث وتفرق أصحابه، فأعلن اليمانيون الحرب على الحارث ومن معه تلك الحرب التي لم تضع أوزارها بين الطرفين إلا بعد موت الحارث سنة (128هـ/745م) لمزيد من التفاصيل انظر: تاريخ الخلفاء، ص531 السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، ط1، ص 62.

(4) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عوف بن قيس ولد المختار في السنة الأولى للهجرة النبوية، المصادف 622 م بالطائف ويكنى بأبي اسحق أما سبب إطلاق اسم ثقيف على هذه القبيلة إن قيسا بن منبه بن بكر بن هوازن لما رحل من وادي القرى إلى وج التي عرفت باسم الطائف، قابل زعيمها عامر العدواني، وطلب منه أن يزوجه إحدى بناته، فزوجه إياها وأنجب منها أولاداً، ثم توفيت فتزوج أختها، واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان حتى جاء منها ما جاء، فسميت ثقيفا من ذلك اليوم. وكان مقتله في (14 رمضان عام 67 هـ / 3 نيسان 687 م)، وكان له من العمر 67 عاماً. للتفاصيل اكثر انظر: المختار الثقفي وقتلة الإمام الحسين، مجلة حولية الكوفة، العدد1، ص311، لسنة 2011.

العابدين(عليه السلام) واسمها حيدان[1].

ب- مولده: اختلفت الروايات في تحديد سنة ولادة زيد فقد ولد بالمدينة بعد طلوع الفجر سنة 66 أو 67 هجرية ويؤيد هذا القول حديث شراء المختار الثقفي لامه والحديث الحاكي للتسمية به فانه يدل على انها علقت به في السنة التي بعثها المختار إلى الإمام زين العابدين(عليه السلام) والمختار قتل سنة 67 هجرية فلا يمكن ان تكون ولادته سنة 80 ولا 78 ولا 75 هجرية لأن المختار لم يدرك السبعين من الهجرة حتى تتم تلك التحديدات فيكون عمره الشريف 56 أو 57 سنة[2].

ت- زوجاته: تزوج زيد من ثلاث نسوة هن: ربطة بنت أبي هاشم بن عبد الله بن محمد بن الحنفية وقد ولدت له بولد هو يحيى وعندما كان في الكوفة تزوج اثنين هما ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي الازدي، وتزوج بأم ولد فجاءت له بثلاثة أولاد هم: عيسى وحسين ومحمد[3].

ث- طلبه للعلم: نشأ زيد بن علي بالمدينة التي كانت منارة للعم بما كان فيها من الصحابة والتابعين وترعرع في بيت من بيوت العلم عامر بميراث النبوة فوالده كان من كبار التابعين وساداتهم ديناً وعلماً عاش مع والده ثماني عشرة سنة من حياته رباه خلالها على الخلق الرفيع وغذاء بالروح الدينية العالية وبعد وفاة والده انتقلت كفالته إلى أخيه الأكبر الإمام الباقر(عليه السلام) وهو في زهده وورعه وتقواه اكثر من ان يوصف ولقد كان للإمام الباقر(عليه السلام) اثره كذلك في نشأة اخيه زيد وهو لايزال في تلك السن التي آلت إليه رعايته فيها ولقد طبعت هذه البيئة الخيرة والزهد في هذه الدنيا يقول زيد عن نفسه: والله ماكذبت منذ عرفت يميني شمالي ولا انتهكت محرماً لله منذ ان عرفت الله يؤاخذني. ولقد كان تأثره بوالده وأخيه وبيئته التي نشأ بها واضح المعالم وفي هذه البيئة العلمية المتدينة بدأ زيد طلبه للعلم فحفظ القرآن وقد كان لزيد اشتغال دائم بالقرآن فهو يقول عن نفسه: لقد خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبر فيه وقد توسع في التفسير وعلوم الفقه والحديث والعقائد واللغة وآدابها وغير ذلك من الوان المعرفة التي كانت سائدة في عصره. فهذا الإمام الباقر(عليه السلام) يقول عمن سأله عنه: سألتني عن رجل ملئ علماً من اطراف شعره إلى قدميه[4].

كان زيد بن علي فقيهاً من الطراز الاول قال عنه الإمام الصادق(عليه السلام): كان والله أقرأنا لكتاب الله وافقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله[5].

ج- شيوخ زيد بن علي:

الأول: الإمام زين العابدين(عليه السلام) تتلمذ زيد على يد والده وروى عنه وكان الإمام عالماً بالحديث لكثرة من أخذ عنهم من الصحابة والتابعين بالإضافة إلى اشتغاله بالفقه وكان الاستاذ الأول الذي أخذ عنه زيد.

كان الإمام زين العابدين(عليه السلام) له مكانة عظيمة في عيون الناس وكانوا يحبونه ويقدرونه لقرابته من رسول الله(صلى الله عليه وآله) وصلته لذكرى ابيه الشهيد الإمام الحسين(عليه السلام) الذي لم يبقَ من ولده سواه ازداد هو اقبالاً على العلم وأشتغالاً بالعبادة حتى لقب زين العابدين وكان زين العابدين(عليه السلام) له جلالة عظيمة وحق له والله ذلك فقد كان اهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وكمال عقله. وما يدل على مكانة الإمام في عصره انه لما حج هشام بن عبد الملك في خلافة اخيه الوليد أراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يستطع من الزحام الشديد فنصب له منبر فاستلمه وقام أهل الشام حوله فجاء الإمام(عليه السلام) ليستلم الحجر الاسود فوسع له الناس إجلالاً له واحتراماً وكان في بزة حسنة وهيئة حسنة وشكل مليح فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال هشام لا اعرفه. فقال الفرزدق وكان حاضراً: انا اعرفه وانشد قائلاً:

يا سائلي أين حل الجود والكرم
عندي بيان إذا طلاّبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده
صلى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه
لخر يلثم منه موطئ القدم
هذا علي رسول الله والده
أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا الذي عمه الطيار جعفر والـ
ـمقتول حمزة ليث حبه قسم
هذا ابن سيدة النسوان فاطمة
وابن الوصي الذي في سيفه نقم
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(1) المعارف، ص215.
(2) زيد الشهيد، ص19.
(3) الدولة الأموية، ج2 ص 449.
(4) الروض النضير في شرح مجموع الفقه الكبير، ص 144.
(5) ثورة زيد بن علي، ص34.

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم
ينمي إلى ذروة العز التي قصرت
عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يغضي حياء ويُغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم
ينجاب نور الدجى عن نور غرته
كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
بكفه خيزران ريحه عبق
من كف أروع في عرنينه شمم
ما قال لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
مشتقة من رسول الله نبعته
طابت عناصره والخيم والشيم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا
حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما يهوى جميعهم
وإن تكلم يوما زانه الكلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قِدما وشرَّفه
جرى بذاك له في لوحه القلم
من جده دان فضل الأنبياء له
وفضل أمته دانت لها الأمم
عم البرية بالإحسان وانقشعت
عنها العماية والإملاق والظلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما
يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تُخشى بوادره
يزينه خصلتان الحلم والكرم
لا يخلف الوعد ميمونا نقيبته
رحب الفناء أريب حين يعترم
من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم
ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
في كل فرض ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
خيم كريم وأيد بالندى هضم
لا يقبض العسر بسطا من أكفهم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
إن القبائل ليست في رقابهم
لأولية هذا أو له نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الأمم
بيوتهم في قريش يستضاء بها
في النائبات وعند الحكم إن حكموا
فجده من قريش في أرومتها
محمد وعلي بعده علم
بدر له شاهد والشعب من أحد
والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له
وفي قريظة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت في كل نائبة
على الصحابة لم أكتم كما كتموا

فأمر هشام بحبس الفرزدق فحبس بعسفان وبعث إليه الإمام زين العابدين(عليه السلام) باثني عشر الف درهم وقال: اعذر يا ابا فراس، فردها وقال: ما قلت إلاّ غضباً لله ولرسوله فردها الإمام وقال بحقي عليك لما قبلتها فقبلها[1].

الثاني: الإمام محمد الباقر(عليه السلام).

الثالث: ابان بن عثمان بن عفان.

ح- مؤلفات زيد بن علي:

1- المجموع الفقهي.

(1) حياة الإمام زين العابدين، ج1 ص269.

2- المجوع الحديثي.

3- تفسير غريب القرآن.

4- اثباة الوصية.

5- النير الجلي في قراءة زيد بن علي.

6- مدح القلة وذم الكثرة.

7- مناسك الحج[1].

❖ ثالثاً: اسباب خروج زيد بن علي

نشأ زيد بن علي في المدينة وكانت الأحداث السياسية والتغيرا الاجتماعية التي شهدتها الدولة الأموية عامة وتلك التي شهدتها الدولة على عهد عبد الملك بن مروان ومن خلفه على السلطة بخاصة، قد أثرت في حياة زيد وفكره، فقد تولد في نفسه شعور بوجوب التغيير ووضع الأمور في نصابها الصحيح، فضلاً عن مسوغات الثورة بوصفها أسلوباً من أساليب المعارضة في مواجهة السلطة، قد عادت لتكون السمة البارزة لعهد هشام بن عبد الملك، فقد أشرت هذه المرحلة أن مستلزمات التغيير تتطلب أمرين أساسيين هما:

أولهما: الوعي الديني السليم الذي يستند في جذوره إلى رسالة محمد(ﷺ).

وثانيهما: القيادة التي تتكامل معها الظروف الموضوعية للثورة، وقد وجدت تلك المتطلبات مبتغاها في زيد بن علي(عليه السلام) العالِم العابد الزاهد.

اختلف المؤرخون في ذكر سبب تحرك زيد، فمنهم من ذكر أن زيداً وفد على هشام بن عبد الملك طالباً منه قضاء بعض حوائجه إلا أن هشاماً لم يقضها له وأسمعه كلاماً قاسياً، فخرج زيد غاضباً يريد الكوفة وهو يردد ما أحب الحياة أحد إلا ذل ومنهم من ذكر أن خالد القسري[2] والي العراق والمشرق (105-120هـ/723-737م) الذي عزله هشام عن العراق لفساد في إدارته المالية أدعى أنه أودع مالاً عند زيد وآخرين، فكتب فيهم والي العراق الجديد يوسف بن عمر بن محمد الثقفي إلى هشام بن عبد الملك، بعد أن قبض يوسف على خالد عندما حل محله في ولاية العراق، وكان زيد يومئذ في الشام يخاصم بني الإمام الحسن(عليه السلام) في أوقاف الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) فبعث بهم هشام إلى يوسف في الكوفة وقيل إن زيداً قَدِمَ على هشام ليرفع عنه نزاعه مع بني الإمام الحسن(عليه السلام) الذي استغله أمير المدينة لإثارة الخلاف بين العلويين، إذ اشتد أذى أمير المدينة على زيد فذهب زيد إلى دمشق يطلب مقابلة هشام بن عبد الملك ليشكو إليه ظلم عامله وأرسل إليه ورقة بها طلب الأذن فلم يأذن له هشام إذ كتب على الورقة يأمره بالرجوع إلى أمير المدينة أو إلى منزله مما حدا بزيد أن يصرَّ على مقابلة هشام الذي سمح له أخيراً بمقابلته فدار حوار بين هشام وزيد، قال فيه هشام: بلغني أنك تريد الخلافة، ولا تصلح لها، لأنك ابن أمة. قال: زيد فقد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة، وإسحاق ابن حرة، فاخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد أدم محمد(ﷺ). فعندها قال له: قم. قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره... فخرج زيد غاضباً وعزم الخروج إلى الكوفة[3].

وجد زيد الأوضاع ملائمة في مواجهة السلطة الأموية، فدعا إلى ثورته التي استهوت كثيراً من الناس على اختلاف اتجاهاتهم فقد كان زيد يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه(ﷺ) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفئ بين أهله بالسواد، ورد المظالم... ونصر أهل البيت...، ولعلنا نجد فيما سبق من روايات أن زيداً قد خطط للثورة قبل لقائه بهشام مدفوعاً بالضيق والضنك والبلاء الذي أصاب العلويين وشيعتهم نتيجة لسياسة السلطة الأموية وتعكس تلك الروايات أيضاً، صلابة موقف زيد حين اتهمه هشام بالسعي للخلافة فهو لم ينكر ولم يعتذر عن هذه التهمة بل أكد حقه وأهليته فيها وكان ذلك في وقت كانت الكوفة مهياة للثورة بسبب سياسة السلطة الأموية التي أغاظت الكوفيين أشد غيظ فكانوا كما كان ديدنهم من أشد المعارضين للسلطة، وقد وصل بهم الأمر أن يعبروا عن تلك المعارضة حتى بملبسهم، ففي الوقت الذي أصبح لباس الخز واجباً على الرعية، على عهد هشام ارتدى الكوفيون ملابس صوفية مناقضة للذي أمرت به السلطة تعبيراً عن تلك المعارضة.

لقد كان زيد بن علي لا يقبل الذل والهوان صاحب شخصية فذة مما جعله شامخاً كالطود فقد اتصف بالغيرة على الحق ومحبة العدل ومحاربة الظلم وقد ساهمت اسباب عديدة في خروجه على هشام منها اسباب مباشرة وغير مباشرة.

❖ اما الاسباب المباشرة فهي:

1- تأثره بما حدث لأهل بيته من تقتيل وتشريد وقتل جده الإمام الحسين(عليه السلام) وتعرضه هو بالذات إلى الإهانات من ولاة هشام ومن هشام نفسه.

---

(1) زيد الشهيد، ص25.

(2) خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كزر البجلي ثم القسري، وكان يزيد أسد من جده وفد على النبي (صلى الله عليه وسلم)، فاسلم ونزل بالشام ثم اشترى خالد بن عبد الله لما ولى العراق خططاً بالكوفة، وابتنى بها وله عقب بها كثير، وكانت أمه نصرانية. ؛ ولمزيد من التفاصيل في سبب عزل خالد بن عبد الله القسري. ينظر: المعارف،ص 398.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص165- 166.

2- تغيير الحكم من الشورى إلى حكم ملك العضوض مع مجيء الأمويين وماحدث من سفك الدماء من قبل الأمويين واستخدام العنف والقسوة ضد الثورات الخارجة عليهم.

3- شعوره بالظلم الواقع على الناس وللمنكرات التي تفشت في زمانه جعله يخرج آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر رافعاً الظلم عن الناس وخاصة الموالي الذين كانت الجزية تبقى مفروضة عليهم حتى بعد إسلامهم وقد صرح بظلم هشام له عندما راجعه على غير ذنب من الحجاز إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ثم إلى رئيس ثقيف يلعب بنا[1].

❖ اما الاسباب المباشرة التي ذكرها المؤرخون فهي:

1- عدم قيام هشام بن عبد الملك بمعرفة حق زيد وتحمل ديونه وقضاء حوائجه وبدلاً من ذلك اغلظ له القول واساء معاملته فقد روى ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر قال قال لي سالم مولى هشام: دخل زيد بن علي على هشام فرفع ديناً كثيراً وحوائج فلم بقضِ حاجة وتجهمه واسمعه كلاماً شديداً فخرج من عنده وهو يأخذ شاربه ويقلبه: ما أحبَّ الحياة أحد إلاّ ذل ثم مضى وكانت وجهته الكوفة[2].

2- عدم استماع هشام لزيد في إحدى خصوماته وعدم إنصافه إيّاه فقد روى ابن الاثير: ان زيداً كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي(عليه السلام) في ولاية وقوف الإمام علي(عليه السلام) وكان زيد يخاصم عن بني الحسين وجعفر يخاصم عن بني الحسن فكانا يتبالغان بين يدي الوالي إلى كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما بينهما حرفاً فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسين فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث وأراد والي هشام على المدينة أنْ يوقع بينهما وأراد عبد الله بن الحسن ان يتكلم فقال زيد لا تعجل يا ابا محمد اعتق زيد بما يملك ان خاصمك إلى خالد أبداً ثم اقبل على خالد فقال: جمعت ذرية رسول الله(صلى الله عليه وآله).

لأمر كان يجمعهم عليه أبو بكر وعمر فقال خالد: اما لهذا السفيه أحد..... ثم ذهب زيد إلى هشام يشكو إليه مما فعله خالد فجعل هشام لا يأذن له فيرفع القصص فكلما رفع إليه قصة كتب هشام في اسفلها: ارجع إلى منزلك[3].

3- اتهام هشام بن عبد الملك لزيد بالإعداد للخروج عليه وتحقيقه معه في ذلك وإغلاظه القول له في التحقيق فقد قال له هشام ذات يوم: لقد بلغني يا زيد انك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن امة فقال زيد: إنَّ لك جوابا، فقال: تكلم قال: إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي اتبعه وقد كان إسماعيل ابن امة وأخوه ابن حرة فاختاره الله عليه واخرج منه خير البشر وما على واحد من ذلك اذ كان جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأبوه علي بن أبي طالب(عليه السلام) ما كانت امه. قال له هشام: اخرج ثم لا اكون إلا بحيث تكره فخرج من عنده وسار إلى الكوفة[4].

4- كان السبب الحقيقي والوحيد الدافع لهذه الثورة هو تنبيه الامة على زلات ولاة الامر وتعريفهم مضار تلك السلطة الغاشمة وذلك الحكم الجائر ولولا نهضة الهاشميين في سائر الانحاء والأزمان لذهب الدين الحنيف ادارج الرياح الذي لاقى المتاعب وكابد في تأييده كل شدة اداراج المنكرات وذلك النهوض الباهر افاد الامة شعوراً واحساساً بما عليه القوة العادية من الاخذ بالمشاق والحكم بالشفاعات ويظهر ان الاحداث القاسية التي وقعت في الحجاز من استابحة المدينة وضرب الكعبة بالمنجنيق كان لها اثر عميق في نفس زيد بن علي الذي قال: إنما خرجت على الذين اغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار.

والواقع إنَّ هذه الاحداث كان لها تأثير عميق في نفوس ائمة المسلمين وأهل الورع والتقوى قاطبة قال الحسن البصري (ت 110ه/728م) عن الأمويين وهو بعض مما قيل: قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقتلون أهله ثلاثاً فقد اباحوها لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا كعبته وأوقدوا النيران بين احجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار[5].

لذلك نرى قد جرت مراسلات بين زيد وأهل الكوفة، بادر أهل الكوفة فيها إلى دعوة زيد للخروج على السلطة الأموية، وهذا ما دعا زيداً إلى الإقامة بالعراق عشرة أشهر، قضى أغلبها في الكوفة لتنظيم أمر دعوته، متنقلاً من مكان إلى آخر، لأنه عرف، على ما يظهر، متابعة السلطة له، وهذا ما يتوضح في الكتاب الذي بعثه هشام بن عبد الملك إلى يوسف بن عمر، ورد فيه: «إذا قدم عليك زيد بن علي... ولا يقيمنّ قبلك ساعة واحدة، فإني رأيته رجلاً حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله»[6].

علم هشام بتحركات زيد في الكوفة، فأخذ يبعث برسائله إلى يوسف بن عمر محذراً إياه من أمر زيد تارة، وموبخاً إياه لغفلته عنه تارة أخرى، منها ما جاء فيها: «إن رجلاً من بني

(1) الإمام زيد المفترى عليه، ص120.
(2) ثورة زيد بن علي، ص40.
(3) المصدر السابق، ص42.
(4) الدولة الأموية، ج2 ص463.
(5) زيد الشهيد ص95، ثورة زيد بن علي، ص103.
(6) تاريخ اليعقوبي ج2، ص 314.

أمية كتب إلي باجتماع أهل الكوفة على زيد، ولقد تعجبت من غفلتك وجهلك وزيد غارز ذنبه في الكوفة يبايع له، فارسل في طلبه وأعطه الأمان، فإن لم يقبل فقاتله» ولهذا فقد أخذ يوسف بالتحرك طالباً زيداً، فلم يتمكن من التعرف على موضعه، مما ألجأه إلى استعمال حيلة من حيل السلطة الأموية لإيجاد مكان زيد، إذ دسَّ يوسف له مملوكاً خراسانياً، وأعطاه خمسة آلاف درهم، وأمره أن يخبر شيعة زيد أنه قادم من خراسان حباً لأهل البيت، ومعه مالٌ يريد أن يقويهم به ولم يزل يخبرهم عن المال حتى أدخلوه على زيد، ثم خرج من عنده، فأعلم يوسف بن عمر بمكان زيد لكن زيداً كان مناوراً جيداً في التحرك، على ما يظهر، فقد فوت الفرصة على السلطة في القبض عليه وحدث أن أخبر رجل يوسف بن عمر عن رجلين يختلفان إلى زيد وقد بايعاه فبعث يوسف طالباً زيداً في منزلهما فلم يجده، فأخذ الرجلين وعرف منهما أمر زيد وأصحابه ثم ضرب عنقيهما[1].

❖ رابعاً: بيعته، واستشهاده

دخل زيد الكوفة في شهر شوال سنة 120 هجرية فاقام بها خمسة عشر شهراً وفي البصرة شهرين فأخذت الناس عنه الحكمة فبايعه الناس وقد بلغ ديوانه خمسة وعشرين الفاً وقيل اربعون الفاً كلهم من أهل الكوفة وكانت بيعته: انا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه(ﷺ) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين اهله بالسواء وردّ المظالم ونصر اهل البيت ورسوله لتفينَّ ببيعتي ولتقاتلنَّ عدوه ولتنصحنَّ لي في السر والعلانية فإذا قالوا: نعم مسح يده على يده قم قال: اللهم اشهد. فأمر اصحابه بالاستعداد فاقبل من يريد ان يفي له ويخرج معه ويستعد ويتهيأ فشاع امره في الناس[2].

وقد اعترض بعض الناس على خروج زيد منهم:

أ- عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ﷺ) فقد كتب إليه كتاباً جاء فيه: أما بعد فإن أهل الكوفة نفخ في العلانية خور في السريرة هرج في الرخاء جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت أذني عن ندائهم وألبستُ قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم وإطراحاً لهم وما لهم مثل إلاّ ما قال علي بن أبي طالب(ﷺ): إن أمهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على إمام طعنتم وان اجبتم إلى مشاقة نكصتم[3].

ب- داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: قال داود لزيد: يا بن عم إنَّ هؤلاء يغرونك من نفسك اليس قد خذلوا من كان اعز عليهم جدك علي بن أبي طالب(ﷺ) حتى فشل؟ والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه وجرحوه؟ أوليس قد اخرجوا جدك الحسين وحلفوا له وخذلوه واسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه؟ فلا ترجع معهم. وقال له: اني خائف عليك ان رجعت معهم ان لا يكون احد اشد عليك منهم وأنت اعلم ومضى داود إلى المدينة.

ت- سلمة بن كُهيل الحضرمي: جاء سلمة فذكر لزيد قرابته من رسول الله(ﷺ) وحقه فأحسن ثم قال: ننشدك الله كم بايعك؟ قال فكم جعل معه؟ قال ثلاثمائة قال، أنشدك الله انت خير ام جدك؟ قال جدي. قال فهذا القرن خير ام ذلك القرن؟ قال: ذلك. قال افتطمع أنْ يفي لك هؤلاء وقد غدر اؤلئك بجدك. قال بايعوني ووجبت البيعة في عنقي واعناقهم. قال أفتأذن لي ان اخرج من هذا البلد فلا آمن ان يحدث حدث فلا املك بنفسي فأذن له فخرج إلى اليمامة[4].

أسماء من بايعه من الفقهاء:

1- عبد الله بن شبرمة بن الطفيل.
2- الاعمش سليمان بن مهران.
3- مسعر بن كدام.
4- قيس بن الربيع الاسدي.
5- الحسن بن عمار البجلي.
6- أبو حصين عثمان بن عاصم بن الحصين.
7- يزيد بن أبي زياد القرشي.
8- هارون بن سعيد العجلي.
9- حجاج بن دينار.
10- أبو هاشم الرماني.
11- منصور بن المعتمر.
12- أبو يقظان عثمان بن عمير الثقفي.
13- سفيان الثوري.
14- محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى.
15- زيد بن الحارث اليمامي.
16- الحسن بن سعيد الفقيه.
17- هلال بن خباب.
18- سليمان بن خالد بن دهقان.

(1) تاريخ الطبري، ج7 ص181.
(2) ثورة زيد بن علي، ص105.
(3) تاريخ الطبري، ج8 ص265.
(4) تاريخ الطبري، ج8 ص256.

❖ خامساً: بيعته، واستشهاده

خرج زيد بن علي من منزل معاوية بن اسحق الانصاري في الموعد المحدد وهو 23/محرم الحرام/122 هجرية بدلاً من الاتفاق السابق وهو 1/صفر/ 122 هجرية وهو دليل على وعي زيد بالظروف المحيطة به في ليلة شديدة البرد محاطاً باصحابه وقد اوقدوا النيران في المشاعل ايذاناً باعلان الثورة ودوت في سماء الكوفة صيحات: يا منصور امت اشارة بدء الهجوم وحاول الثوار السيطرة على المدينة.

كان والي المدينة ابن هبيرة يعمل على استفزاز زيد للخروج وأظهر معرفته بشأنه ليستعجل خروجه وقد كان له ذلك فقد قرر سريعاً أن يخرج في يوم اربعاء فدعا ابن هبيرة اهل الكوفة إلى المسجد يوم الاثنين واغلق الابواب عليهم ومنعهم من الخروج وكان اليوم بارداً فقضوا ليلتهم مرتجفين من البرد حتى إذا أسرع زيد إلى لمّ جماعته لم يجد إلاّ مئتي رجل وأقبل زيد على المسجد بالمائتين من اتباعه وفتح الابواب لأهل الكوفة فخرجوا معتذرين عن اللحاق به للبرد الذي ألمَّ بهم وكان جيش اهل الشام متجهاً من الحيرة إلى الكوفة فخرج زيد إليه وقاتل معه مع من معه قتالاً شديداً وهو يتمثل:

أذل الحيـاة وعـز الممـات ... وكـلاّ أراه طعامـاً وبـيلا
فـإن كـان لابـد مـن واحـد ... فيسري إلى الموت سيراً جميلاً

إلاّ أن السهام كانت أقوى منه فانهزم جماعته وحال الماء بين الفريقين فراح زيد مثخناً بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا له من ينزع النصل فأتوا بحجام من بعض القرى واستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا على ذلك وحضر الحجام دفن زيد فعرف الموضع وقال ليوسف بن عمر بن هبيرة فأستخرج جثته وبعث برأس زيد إلى هشام وصلب جسد زيد[1].

أما هشام فقد أمر بنصب رأس زيد على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة حيث نصب عند قبر النبي يوماً وليلة[2].

ثم أرسل الرأس الشريف إلى مصر حيث طيف به وهناك سرقه أهل مصر ودفنوه[3].

ولم تزل جثته مصلوبة حتى أيام الوليد بن يزيد فلما ظهر يحيى بن زيد في خراسان سنة 125 هجرية كتب الوليد إلى يوسف بن عمر إذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فأحرقه وانسفه في اليم نسفاً والسلام. فأحرقه ثم ذره في الفرات وقال: والله يا أهل الكوفة لأدعنَّكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم[4].

ولما بلغ نبأ استشهاد زيد بن علي الإمام الصادق(عليه السلام) فاستعبر باكياً ثم قال: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ثم قال: ذهب والله عمي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جده علي والحسن والحسين عليهم السلام شهداء من اهل الجنة التابع لهم بإحسان مؤمن والشاك فيهم ضال والراد عليهم كافر وانهم ليحشرون يوم القيامة احسن الخلق زينة ولباساً وفي ايديهم كتب لهم مثال الطوامير فيقول الخلائق: من هؤلاء؟ فتقول الملائكة: هؤلاء خلف الخلف ورعاة الحق ولا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى الفردوس الأعلى فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء[5].

وبعد مقتل زيد أقبل يوسف بن عمر من الحيرة إلى الكوفة فدخل مسجد الكوفة وصعد المنبر وشتم علي بن أبي طالب(عليه السلام) وولده أجمعين شتماً قبيحاً ثم شتم أهل الكوفة وأوقع بهم وقال: أبشروا يا أهل الكوفة بالذل والصغار فوالله لأحرمنكم العطاء ولأفعلنَّ بكم ولأصنعنَّ، وأمرهم بتفتيش الدور فكان لا يؤتى باسير ولا جريح إلا قتله وأحرقه بالنار ثم أرسل إلى زوجة زيد بن علي فأتي بها فلما دخلت عليه قال لها: يا عدوة الله تزوجت زيد بن علي. فقالت: نعم والله تزوجت بزيد بن علي ولو خطب إليك لزوجته ابنتك فغضب يوسف بن عمر وقال: خرقوا ثيابها وعليّ بالسياط فقالت زوجة زيد: ويلك يا عدو الله إني امرأة ليس يجب علي أن تخرق ثيابي فقال: دعوا كلامهما وشقوا ثيابها وأخذتها السياط من كل ناحية. فقالت: ويلك إني إحدى خالاتك إني امراة من الأزد فقال لها: لعن الله من أنت خالته. فقالت: نعم والله من هي أقل نسباً منك أمك فقال للجلادين: اقلوها فجعل القوم يضربونها اشد ضرب وهي تقول: ويلك ما أنت حر ما أنت من العرب والقتل بالسيف يا بن عبد آل أبي ثمود فلم تزل كذلك حتى ماتت ثم أمر بها فألقيت على قارعة الطريق فجاء إليها قوم من بني عمها في جوف الليل فحملوها ودفنوها[6].

❖ سادساً: أسباب فشل ثورة زيد بن علي

1- الجهاز الأمني عند الأمويين: استطاع الجهاز الأمني الأموي أن يخترق التنظيم الثوري الذي كان يقوده زيد فقد راقب رجال الأمن الأموي رجال زيد وتحركاته وعرفوا الاماكن التي كان يختفي فيها وكثيرا من اتباعه وعلموا بساعة الصفر المحددة للثورة وهذا ما حمل زيداً على تقديم موعد الثورة

(1) ثورة زيد بن علي ص122.
(2) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص258.
(3) الولاة والقضاة، 281.
(4) مقاتل الطالبيين ص147.
(5) الفتوح، ج8ص294.
(6) المصدر السابق ج8 ص293.

والتعجيل بها قبل موعدها الذي جعله وكان لهذا السبب أثره في ضعف الوسائل التي أريد بها تحقيق الخطط الموضوعة للثورة[1].

2- خوف أهل الكوفة وجبنهم: كانت للتدابير المشددة التي اتبعها يوسف بن عمر أثر بليغ في نفوس أهل الكوفة وتخاذلهم فلما أراد يوسف بن عمر الحيلولة بين الناس وبين المشاركة في الثورة وأمرهم بالدخول إلى المسجد اندفعوا إليه لا يبدون أية مقاومة لهذا الأمر كان يخيل للناظر أنهم رحبوا بالأمر لأنهم اعتبروه بمثابة عذر لهم عن التخلف وعن المشاركة في القتال ويدل هذا على أنّ زيداً وأصحابه لما حرضوا الناس على الخروج من المسجد ومشوا لفك الحصار عنهم لم يروا استجابة من الناس وكثير من الناس فيمن بايعوه نكثوا بيعتهم فكان ذلك من أسباب فشل الثورة[2].

3- جند أهل الشام: كان جند الدولة الأموية النظامي من أهل الشام له وجوده في العراق منذ عهد معاوية وقد ساهم في القضاء على كثير من الثورات بالعراق فلما ثار زيد في الكوفة هب الأمويون للقضاء على هذه الثورة بكل ما أتوا من قوة معتمدين بصورة رئيسة على الجند الشامي بالإضافة إلى المرتزقة وكان هشام يرسل نجدات من الشام لتكون سند لجند الكوفة.

4- العجلة التي حدثت للثورة: يظهر للمتتبع لثورة زيد بن علي بأنّ التعجيل في إعلانها على الأمويين أدى هذا التعجيل لقتله ولما علم الزهري بمقتل زيد بكى وقال: أهلك أهل هذا البيت العجلة.

5- الدعوة العباسية: لعبت الدعوة العباسية دوراً مؤثراً سلبياً في الجهود التي بذلها زيد بن علي فالمؤرخون يرون أنّ عام 100 هجرية كان بداية لتأليف الجماعت السرية التي تدعو إلى بني العباس وتعمل للقضاء على الدولة الأموية فقد توجه دعاة الدعوة العباسية بأمر محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المتوفى سنة 125هجرية إلى مختلف الأقطار يبثون الدعوة وينشرونها بين الناس وقد لاقى الدعاة أقصى ضروب التعذيب والتنكيل على يد ولاة بني أمية ولكن الدعاة استمروا واستطاعوا أن يجذبوا الكثير من المؤيدين بفضل براعتهم وخبرتهم بأحوال الناس[3].

فكانوا يدورن كورة كورة وبلداً بلداً في زي التجار وكانت الكوفة إحدى القواعد الرئيسة التي اعتمدوا عليها في نشر دعوتهم والتبشير بها فكانت الكوفة مسرحاً لدعوتين تعملان في وقت واحد لكل منها دعاتها وأنصارها وهاتان الدعوتان وإن اختلفتا في بعض أهدافها إلا أنّهما كانتا تهدفان إلى خلع بني أمية وبيعة بني هاشم وقد أثارت سرعة نجاح زيد مخاوف العباسيين وهذا ما حمل محمد بن علي على أن يطلب من بكير بن ماهان وكان يتولى الدعوة في العراقين أن يخذّل الناس عن زيد حيث قال له: أظلكم خروج رجل من أهل بيتي بالكوفة يغتر في خروجه كما اغتر غيره فيقتل ضيعة ويصلب فحذر الضيعة قبلكم أمره[4].

وهكذا انصاع بكير بن ماهان لأمر محمد بن علي ورجع إلى الكوفة وأمر أصحابه بالخروج من الكوفة إلى الحيرة كي يحول بينهم وبيم المساهمة في القتال إلى جانب زيد بن علي ولما قتل زيد عادو إلى الكوفة وكان هذا من الأسباب التي دعت إلى التخلي عن زيد بن علي من بعض أهل الكوفة الموالين للأمويين.

❖ سابعاً: آثار استشهاد زيد بن علي على الدولتين الأموية والعباسية.

أولاً: أثره على الدولة الأموية:

كان لثورة زيد بن علي تأثير في سير الاحداث التي وقعت في العصر الأموي وتمخضت عنها نتائج بعيدة وكان فشلها بمثابة الدافع لثورات اخرى حذت حذوها فقد هرب يحيى بن زيد إلى خراسان واعلن الثورة على الأمويين وهناك ايفاءً بوعده الذي قطعه لوالده حين قال له: اقاتلهم والله لو لم اجد إلاّ نفسي ومع ان يحيى بن زيد فشل كما فشل ابوه إلاّ ان هاتين الثورتين مهدتا بصورة غير مباشرة الطريق للقضاء على الدولة الأموية واستغل العباسيون العطف الذي لقيه يحيى في خراسان لكسب الاتباع والأنصار لهم وحين قتل يحيى بن زيد في خراسان ظل أهل خراسان يبكون عليه صباحاً ومساءً والواقع أن شعار السواد الذي اتخذه العباسيون إنما يستمد جذوره من ثورة زيد بن علي وما حدث لابنه يحيى بعد ذلك فقد اتخذ أهل خراسان السواد بسببها ولما كانت المسودة هي التي نفذت الثورة العباسية في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني وقضت على جيوش الدولة الأموية فتكون القوى الزيدية هي أساس الارتكاز للثورة العباسية[5].

وأول حادثة شهدها البيت الأموي وأدت إلى تصدع وحدته ما حصل في فتنة عمرو الأشدق، فلما رأى الناس أن عبد الملك بن مروان خرج للصلاة دون عمرو وسمع بذلك أخاه يحيى بن سعيد أقبل في ألف عبد لعمرو ومعه جمع كبير

(1) ثورة زيد بن علي ص131.
(2) المصدر السابق ص138.
(3) الاخبار الطوال، ص337.
(4) ثورة زيد بن علي ص138.
(5) ثورة زيد بن علي ص150.

من أصحابه وكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف، حتى أن الوليد بن عبد الملك لم يسلم منها فقد أصابه يحيى بن سعيد بالسيف على رأسه فجرحه، ثم دخل هو ومن معه على بني مروان فجرّحوهم ومواليهم، فلما قتل عمرو وحبس آل سعيد بأمر عبد الملك ومنهم إخوة الأشدق يحيى وسعيد شهراً، أشار عليه الناصحون بتسييرهم إلى مصعب بن الزبير فإن قتلوا فقد كفى أمرهم بيد غيره وان سلموا ورجعوا رأى فيهم رأيه فأخذ بذلك الرأي وسيَّرهم إلى مصعب[1].

ويبدو أن الذي بين عبد الملك وبين بني سعيد لم يكن وليد تلك الحركة، وإنما كانت هناك أوليات، فقد دخل بنو الأشدق وهم (أمية وسعيد وإسماعيل ومحمد) بعد مقتل والدهم عليه، «فلما نظر إليهم عبد الملك قال لهم إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لنا وأن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قديماً في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية» فلما استعطفه سعيد بن عمرو رق لهم رقة شديدة ووصلهم وبعد الفتنة الثالثة أخذ بنو أمية يقاتلون بعضهم بعضاً كل يرى أنه محق في فعله، وهو في الحقيقة أحد أسباب تقويض خلافتهم، وكان معاوية بن أبي سفيان محقاً في نصيحته لهم بعدم الفرقة، ومحاولة كل واحد منهم الاستئثار بالخلافة لنفسه لأن ذلك سيضعفهم ويذهب ملكهم.

و إن أبناء البيت الأموي انقسموا قسمين: فريق منهم يطالب بدم الخليفة المقتول، وأميرهم مروان بن محمد الذي استأثر بالخلافة بعد ذلك، وفريق الخلافة بقيادة الخليفة يزيد بن الوليد الذي جهز الجيوش لرد من انتقض عليه بحجة المطالبة بالثار. فمن أفراد البيت السفياني الذين خرجوا يطالبون الخلافة بدم الخليفة المقتول حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الذي قاد أهل حمص لذلك الغرض، والذي قتل لدى مواجهته جيش الخلافة، وكان معه محمد بن سنان بن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان الذي قتل بدمشق قرب عذرا، وقيل أن المقتول كان عبد الله بن سنان.

وكان أبرز أعوان الخليفة الوليد بن يزيد من البيت السفياني – أبو محمد، زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية الذي أرسله الوليد الثاني إلى دمشق، فأقام بها ولم يصنع شيئاً، ثم استقر في حمص، فلما قتل الوليد خرج بالجيش يطالب بدمه، فقبض عليه وحبس حتى خلافة مروان بن محمد الذي أطلقه بعد أن نجا من الموت باعجوبه لما حاول أتباع الخليفة يزيد الثالث قتله فأغلق عليه باب السجن حتى دخلت جيوش مروان بن محمد[2].

(1) تاريخ الطبري، ج 6 ص146.

(2) تاريخ الطبري، ج 7ص 302.

وقد كان معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان خير مشير وناصح حينما حاول تبصير الخليفة الوليد بن يزيد بما يجري ونصيحته له وخشيته عليه، إلا أن الوليد رده رداً جميلاً فقال له «نعود ونسمع منك» وممن أيد الخليفة مروان بن محمد من البيت السفياني أيضا عبد الله بن سفيان بن عتبة ابن يزيد بن معاوية حيث تلقاه بدمشق لما دخلها مروان يطالب بالخلافة وبدم الخليفة الوليد. ومع أن ذلك يبدو للوهلة الأولى ضمن الجهود المبذولة في تثبيت خلافة مروان بن محمد وتدعيمها، إلا انه في الحقيقة احد مظاهر ضعف الخلافة عموما لما فيه من انقسام البيت الأموي وانشقاقه على نفسه. وكان يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية كحال أفراد بيته في مناصرة مروان بن محمد ومحاولاتهم طلب الثار، فقد توجه يزيد بن خالد إلى حمص ثم إلى دمشق في الجيش الذي خرج يطالب بدم الخليفة الوليد، فاسر وسجن في الخضراء بدمشق، مع السفياني ويزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ثم بايع لمروان بن محمد بالخلافة عام 127هـ/ 744م بعد أن سار هو وبنو عمه ومحمد بن عبد الملك بن مروان إلى (عذراء) لمبايعته بالخلافة. ولعل انتفاض البيت السفياني وخروجه للمطالبة بدم الخليفة المقتول لأنه يرى في قتله انتهاكا واضحا لحرمة الخلافة، سيما وان الوليد كان الخليفة الشرعي المقر له بالبيعة من قبل والده يزيد بن عبد الملك والناس، وكذا الحال بالنسبة لأشراف البيت المرواني، فقد رأى العباس بن الوليد «في نقض عهد الله –أي في مقتل الوليد– فساد الدين والدنيا»[3].

أما السبب الثاني الذي دعا إلى نصرة السفيانية للوليد فهو قرب نسبهم إليه من المروانية لأن جدته –أي جدة الوليد عاتكة بنت يزيد بن معاوية– وممن دعا للمطالبة بدم الخليفة الوليد من الفرع المرواني، مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان– عامل الوليد على حمص– حين وافق أهل حمص على ما زعموا عليه من اخذ الثار، إلا انه وقبل أن يتحرك بهم إلى دمشق خطب فيهم بعد مباركته خروجهم لجهاد عدوهم فقال: «ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم» فقام أحد أشراف المدينة بتثبيط الناس عنه فثار عليه أهل حمص فقتلوه هو وابنه كما وثبوا على دار العباس ابن الوليد بن عبد الملك وهدموها متهمين إياه بالخيانة والانحياز لعدوهم مع انه بذل جهداً كبيرا في محاولاته لمنع الناقمين على الوليد بن يزيد من التآمر عليه لقتله، وأولهم أخوه يزيد ابن الوليد، لأن في ذلك هلاك بني أمية، فقد أرسل لهم بأبيات شعرية منها:

إنـــي اعيـــذكم بـــالله مـــن فـــتن

مثـــل الجبـــال تـــسامى ثـــم تنـــدفع

(3) المصدر السابق، ج 7 ص 237.

إن البريـــة قـــد ملـــت سياســـتكم
فاستمـسكوا بعمـود الـدين وارتـدعوا
لا تلحمـــن ذئـــاب النـــاس أنفـسكم
إن الـــذئاب إذا مـــا ألحمـــت رتعـــوا
لا تبقـــرن بأيـــديكم بطـــونكم

فـــثم لا حـــسرة تغنـــي ولا جـــزع

إلا إن المتآمرين قبضوا عليه وأسروه فبايع مكرها، مما حمل الشاميين أتباع الوليد بن يزيد بعد ذلك على هدم بيته ونهبه بعد إن حاولوا القبض عليه، إلا انه هرب فحبسوا بنيه ونساءه، ولما دخل مروان بن محمد دمشق زج العباس في السجن حيث توفي هو وعبد الله ابن عمر بن عبد العزيز وإبراهيم الإمام في وقت واحد. وقد تضاربت الروايات التاريخية في طريقة وفاتهم فقيل أنهم ماتوا بالوباء، وقيل أن وسائد وضعت على وجهي العباس وعبد الله بن عمر فقعدوا عليها فماتوا لساعتهم، وقيل أن رأس العباس ادخل في كيس كلس في درجة الغليان فمات من ساعته، والأرجح إن الرواية الأخيرة كانت في حق إبراهيم الإمام لا العباس كما أكدت على ذلك المصادر التاريخية. ولما بلغ أهل فلسطين خروج أهل حمص للطلب بدم الوليد خرجوا هم أيضا، وطلبوا من عاملهم سعيد بن عبد الملك الارتحال عنهم -مع انه ولي من قبل الوليد بن يزيد- لأنهم ارتضوا لهم يزيد بن سليمان بن عبد الملك الذي كانوا يحبونه وولد أبيه لجواره -لأنهم سكنوا فلسطين- فدعا يزيد بن سليمان إلى قتال الخليفة يزيد بن الوليد. وكذلك خالف أهل الأردن فبايعوا محمد بن عبد الملك بن مروان، فبلغ الخليفة يزيد الثالث انتفاض المدينتين فوجه إليهم سليمان بن هشام بن عبد الملك في جيش من أهل دمشق وحمص، واستطاع من إقناع القائمين بالأمر بضرورة مبايعة يزيد الثالث مقابل مساومتهم بالمال والولايات، فوافقوهم، ولحقوا بقراهم، بل قاموا اثر ذلك بنهب متاع يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك[1].

ومن خلال ذلك يتبين أن الكثيرين ممن أعلنوا العصيان والخلاف لم يكونوا أصحاب مبادئ وقيم ثابتة يؤمنون ويقاتلون من اجلها، فلم تكن مسألة الطلب بالثار للوليد سوى حجة للخلاف، وان السبب الحقيقي في ذلك محاولة الحصول على اكبر قدر من المصالح والامتيازات وإنهم مع الفريق الذي يكون الكسب المادي من ورائه اكبر. أما عبد الله بن مروان بن محمد فقد كان مع الغمر بن يزيد بحرّان منصرفا من ضائقته المادية، فلما أتاه خبر قتل الوليد، وثب على حران ومدائن الجزيرة فسيطر عليها، واخرج عامل الوليد منها وكتب إلى أبيه بأرمينية يشير عليه بتعجيل السير إليه، فاظهر مروان مطالبته بدم الوليد، إلا انه لما عرض عليه الخليفة يزيد ولاية الجزيرة وأرمينية والموصل بايع له. ويبدو من ذلك أنَّ مروان كان غير جاد في المطالبة بدم الوليد، وانه فكر بالحصول على الخلافة لأن مؤهلاته تمكنه من ذلك، وذلك يتضح من فعل ولده عبد الله الذي احكم السيطرة على حران وطرد عامل الوليد منها، إلا أنَّ مروان آثر قبول عرض يزيد الثالث ريثما تحين له الفرصة للانقضاض والسيطرة وهو ما سيحصل.

أما أنصار الفريق الثاني وهو فريق الخلافة الجديد بقيادة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فقد حاولوا الدفاع عنها من خلال تضافر جهودهم للقضاء على الفتن والاضطرابات التي عمت الخلافة بسبب الأحداث المذكورة.

ومن ابرز الأبناء الذين بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تحقيق ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان، الذي ولاه الخليفة يزيد الناقص العهد بعد أخيه إبراهيم، وقد كان احد ابرز أعوانه، فهو الذي تولى قتال الخليفة الوليد بن يزيد حتى قتل، ثم وجهه الخليفة يزيد بن الوليد لقتال أهل حمص في ثلاثة آلاف، واستمر في مناصرته الخلافة وتأييده للخليفة الجديد لحرصه على وحدة الصف الأموي، فخرج بجيش لقتال أهل حمص مرة أخرى لأنهم امتنعوا من بيعة إبراهيم بن الوليد وعبد العزيز نفسه من بعده، إلا انه رحل عنهم اثر سماعه بتقدم الأمير مروان بن محمد إليهم، ولما دخلت جيوش مروان دمشق بعد ذلك ثار من فيها من موالي الخليفة الوليد بن يزيد إلى داره فقتلوه. وكان يزيد الافقم بن هشام بن عبد الملك من أنصار يزيد الناقص أيضا، فقد دخل على عثمان والحكم ولدي الوليد بن يزيد في الحبس وجعل يشتم أباهما الوليد لأن الأخير كان قد ضربه وحلقه، فأجابه عثمان بأنه لن يشتم عمه هشام[2].

آما مسرور بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم فقد وجهه أخوه الخليفة يزيد بن الوليد إلى أهل حمص لقتالهم وردهم إلى الطاعة فخرج بجيش من دمشق لذلك الغرض ومعه الوليد بن روح بن الوليد، فنزلوا حوارين ثم قدم سليمان بن هشام فأمر الخليفة يزيد مسرور وروح بالسمع والطاعة لسليمان حيث جعله أمير القوم فاستطاعوا من هزيمة أهل حمص، وفي سنة 127هـ/744م قام الخليفة إبراهيم بن الوليد

(1) كفاية طارش العلي: الأسر الأموية التي لم تتـول الخلافـة دراسـة فـي أحوالها الاجتماعية والإداريـة والـسياسية الفكريـة (41-656هـ/661-1358م) رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب، جامعة البصرة، 2004، ص270.

(2) كفاية طارش العلي: المصدر السابق ص276.

بإرسال أخويه بشر ومسرور لحرب مروان بن محمد، إلا أن يزيد ابن عمر بن هبيرة تمكن من تسليم بشر ومسرور ولدي الوليد إلى الأمير مروان بن محمد فحبسهما حيث كان مسرور أمير قنسرين.

ومن ضمن المنتفضين على مروان بن محمد الذين رفضوا بيعته وانضموا إلى مخالفيه، وخاصة لدى خلاف ثابت بن نعيم له، معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية الذي هرب من الابرش الكلبي - أحد أعوان مروان الذي سأله أن يأتي مخالفيه ويحذرهم فأجابه عامتهم، وهرب من لم يثق به منهم إلى برية كلب وباديتهم ومن ضمنهم حفيد يزيد بن معاوية هذا. أما سليمان بن هشام فقد كان وحده سبباً في ضعف وسقوط الخلافة بتلونه وعدم وقوفه على حال، فقد ظهر لأول مرة مناصراً للخليفة يزيد بن الوليد ومحاولا القضاء على الفتن والاضطرابات التي عمت الشام اثر مقتل الوليد بن يزيد واستمر على مناصرته للخلافة حيث أرسله إبراهيم بن الوليد لقتال مروان بن محمد بمئة وعشرين ألف مقاتل، وكان مروان قد وصل إلى حمص ودعا أهلها للبيعة لولدي الوليد المحبوسين الحكم وعثمان فبايعوا ثم بايعه -أي سليمان- السوريون بالخلافة فخلع مروان إلا انه ما لبث أن انضم إليه لما لم يقوَ على مناصرته فخسر أمامه في موقعة عين الجر عام 127هـ/744م، ثم انضم إلى حركة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ضد الخلافة الأموية، ثم عاد وطلب الأمان فأمنه مروان هو والخليفة إبراهيم بن الوليد -حيث كان حريصا على وحدة البيت الأموي، فلم يقم بقتلهما بل أكرمهما كثيرا، وكانوا هم وبقية إل مروان معه أينما حلّ -، ثم انضم للخوارج بقيادة الضحاك بعد أن دعوه إلى خلع مروان فاستجاب لهم، وخسر معركة أخرى أمام مروان هي معركة خساف عام 127هـ/744م أيضا فهرب إلى حمص ومن ثم إلى تدمر بعد أن خلف في حمص أخاه سعيد بن هشام، حتى إن شاعر الخوارج قال فيه:

الـــم تـــر أن الله اظهـــر دينـــه
فـصلّت قـريش خلـف بكـر بـن وائـل[1]

واستمر على مناصرته أعداء الخلافة من الخوارج هو وأهل بيته ومواليه، ثم تزوج أخت شيبان بن عبد العزيز الحروري، ثم أشار سليمان عليهم بان ينصرفوا حتى ينزلوا الموصل، فتحصنوا بها فقتل إثناء ذلك ابن أخ لسليمان بن هشام هو أمية بن معاوية بن هشام، حيث قتله مروان بعد أنْ أمر بقطع يديه، ثم أشار عليهم بالارتحال من الموصل أثر مجيء عامر بن ضبارة المري لمواجهتهم، ثم تفرق فلهم أثر مقتل شيبان الحروري في البحرين، وارتحل سليمان وأهل بيته إلى السند حتى مجيء الخلافة العباسية، حيث أمنه الخليفة السفاح لجهوده التي بذلها- دون أن يعلم أن ذلك يفت في عضد بني قومه ويضعفهم فتسبب في سقوط خلافتهم، إلاّ أنه ما لبث أن قتل على يد بني العباس هو وولداه كما سنأتي على ذلك في الفصل الخامس، وهكذا فقد رأينا تلون سليمان بن هشام، فتارة يظهر بمظهر المدافع عن الخلافة لما أسهم في قمع الفتن والاضطرابات عام 127هـ/744م في خلافة يزيد الثالث وأخرى يبايع مروان بن محمد الذي كان يقاتله بالأمس وثالثة يعود لينقلب ضده ويخرج عليه بعد أمانه له، ورابعة ينضم للحركات المعادية للخلافة وأخطرهم الخوارج، فنحن نضم صوتنا لأحد الباحثين في أن سليمان انساق «بروح الشباب بلا تخطيط متزن وأيديولوجية واضحة أي انه كان يهمه أن يثور ويسهم في الأحداث دون أن يعي إلى أين تقوده في النهاية: وممن كانت جهوده ضد الخلافة لا في خدمتها هو أبان بن يزيد - ابن أخت مروان وزوج ابنته أم عثمان الذي ما أن قدم عبد الله بن علي العباس حرّان حتى خرج إليه أبان مسوداً فأمنه عبد الله[2].

ويُعَدّ الصراع القبلي بين القيسية واليمانية أحد أهم مظاهر ضعف الخلافة الأموية وتفكك وحدتها وبالتالي سقوطها، ومع أن هذا الصراع بدا واضحا على مستوى الخلافة وتشجيع الخلفاء لذلك من خلال ميولهم الشخصية لأحد الفريقين مما لا علاقة لموضوع البحث.

ثم أن بني فزارة أغارت على بني عبد ود وبني عُليم من كلب، بعد أن أخذت الديات من الخليفة عبد الملك على قتلاهم من قيس فاشترت بها خيلاً وسلاحاً وهم على ماء يقال له (بنات قين) فقتلوا منهم مائة وثمانين، وقيل نيف وخمسين وقيل نيف وثمانين، وكانوا بقيادة سعيد بن عينية بن حصن وحلحلة بن قيس بن الاشيم بن سيار، وحين عرض الأمر على الخليفة عبد الملك عرض على بني كلب الديات فابوها وانسحب ذلك الخلاف على أبناء البيت الأموي فقال أبناء القيسيات وهم الوليد وسليمان ابنا عبد الملك وأخوه إبان بن مروان بان لا يجيبهم الخليفة إلا إلى الديات في حين وقف خالد بن يزيد وأبناء الكلبيات موقف الضد فابوا إلا القتل «واختصموا وتكلم الناس في ذلك في المقصورة حتى علت اصواتهم وكاد يكون بينهم شر فلما رأى عبد الملك ذلك اخرج سعيد بن عينية وحلحلة بن قيس -فقتلوهم-» ويبدو أن عبد الملك بن مروان لم يشأ أن

(1) تاريخ الطبري، ج7 ص 327.

(2) البداية والنهاية، ج 10 ص 44.

يتخذ إجراء شديداً بحق الكلبيين خشية إثارتهم لأنها عماد الخلافة ومؤيدوها من القبائل اليمنية كثيرون كما أن الخليفة نفسه غضب من بني فزارة لاخفارهم ذمته، سيما وان عبد الله بن الزبير لا زال يشكل خطرا بوجوده في الحجاز يدعى له بالخلافة[1].

أما خالد بن يزيد فقد كان يتعصب لأخواله كلب على قيس ويعينهم في حربهم عليهم حتى قال شاعر قيس:

يـا خالـد بـن آبـي سـفيان قـد قرحـت
منـا القلـوب وضـاق الـسهل والجبـل
أأنـــت تـــأمر كلبـــا أن تقاتلنـــا
جهـــلا وتمـــنعهم منـــا إذا قتلـــوا

وتجدر الإشارة إلى أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك كتب إلى عامله على الحجاز محمد بن هشام أن يمنع أهل مكة والمدينة عطاءهم سنة لأنه عرف عنهم الميل إلى زيد، واظهروا الحزن أيام مجيء خبره، وكتب أيضا إلى عامله فيها أن يحبس قوما من بني هاشم ويعرضهم للسجن والعذاب، حتى قال الفضل بن عبد الرحمن في قصيدة طويلة اقتطفنا بعض منها:

كلما أحدثوا بأرض نقيقا ضمونا السجون أو سيرونا
قتلونا بغير ذنب إليهم قاتل الله امة قتلونا[2]

وزيد بن علي بن الحسين(عليه السلام) من شخصيات البيت العلوي المهمة والرفيعة وقد خلفت ثورته آثاراً مهمة وواضحة في تاريخ الدولة الأموية وما بعدها، فقد تمخضت عن الفرقة الزيدية التي كانت منطلقاً لكثر من الثورات التي حدثت في العصر العباسي وغدا أسم الزيدية باعثاً على القلق في نفوس الحكمين.

ثانياً: أثر ثورة زيد بن علي على الدولة العباسية:

فتحت ثورة زيد بن علي باب الثورات على العباسيين فعندما كشف العباسيون عن نواياهم الحقيقية ونكثوا بعهودهم للعلويين بعدما ظفروا بثمرة الدعاية الشيعية لأنفسهم واستبدوا بالسلطة لأنفسهم أخذ اتجاه زيد الثوري يجد طريقه إلى المسرح السياسي فظهرت ثورات مسلحة تقوم على فكرة زيد الداعية إلى الخروج على السلطان وهكذا استهوت ثورة زيد بن علي على أصحاب الهمم العالية وأشعلت بين جوانحهم نيراناً طالما ظلت كامنة خشية الحاكم وجبروته فقامت:

1- ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب محمد ذو النفس الزكية.

2- ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

3- ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

4- ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

5- ثورة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

6- ثورة إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

7- ثورة محمد بن الإمام جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

8- ثورة علي بن محمد بن الإمام جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

9- ثورة إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

10- ثورة عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

11- ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

❖ من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب محمد ذو النفس الزكية في المدينة المنورة في عهد أبي جعفر المنصور سنة 145هـ/762م

اتخذ العلويون موقفاً تجاه الخلافة العباسية، استمراراً لموقفهم السابق من الأمويين، لاعتقادهم بأن العباسيين قد خدعوهم فسلبوهم حقاً كان المفروض أن يؤول إليهم لأنهم أولى وأحق به منهم لقرابتهم القريبة من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أن نظرة العلويين العدائية للحكم العباسي لم تكن واحدة، فالفرع الحسني برئاسة عبد الله بن الحسن كانت أشد عداوة وتعلقاً لطلب الخلافة، أما الفرع الحسيني الذي يتزعمه الإمام الصادق(عليه السلام) فإنه مال إلى الهدوء والسكينة وعزف عن المطالبة بالخلافة ناصحاً اتباعه بعدم شهر السلاح لأن الظروف السياسية غير مؤاتية للقيام بمثل هذا العمل.

شهد عصر أبي جعفر المنصور أول ثورة ثورية تقوم بها الشيعة ضد الدولة العباسية وقد حمل لواء هذه الثورة زعيمان أخوان هما محمد ذو النفس الزكية واخوه إبراهيم، وهما ابنا عبد الله بن الحسن الذي أصبح أبناؤه واحفاده يحملون لواء الثورة ضد الدولة العباسية.

كان من ابرز زعماء الشيعة عند تولي أبي جعفر المنصور

(1) الخلافة الأموية، ص 154 – 155.

(2) كفاية طارش العلي: المصدر السابق ص277.

الخلافة (الإمام الصادق(عليه السلام) ومحمد ذو النفس الزكية).

أما الإمام الصادق(عليه السلام) فقد آثر الركون إلى الهدوء والامتناع عن المطالبة بالخلافة إذ رأى أن الظروف غير مؤاتية فقد كانت الدولة العباسية لاتزال في أول عهدها وفي أوج قوتها كما رأى بطش أبي العباس السفاح والمنصور باعدائهما إذ لم يجد المنصور بأساً من الخلاص من أبي مسلم الخراساني الذي حمل لواء الدعوة العباسية وأرسى قواعد الدولة العباسية كما أقدم على التنكيل بعمه عبد الله بن علي على الرغم من بلائه من اجل دولة بني العباس.

أما الزعيم الآخر هو محمد ذو النفس الزكية فكان أكثر العلويين تطلعاً إلى الخلافة وقد بدأ طموحه فيها أواخر العصر الأموي حين بايعه كثير من بني هاشم ومن بينهم أبو جعفر المنصور، وآل أبي طالب وآل العباس[1].

كان الاجتماع في الابواء وهي قرية بين مكة والمدينة وبها يقع قبر آمنة بنت وهب أم الرسول(صلى الله عليه وآله) عُقد الاجتماع في سنة (127هـ/744م) حين اضطراب أمر بني أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد في جمادى الآخرة سنة (126هـ/743م) وكان الهدف من الاجتماع مناقشة الوضع السياسي المتدهور للدولة الأموية والاتفاق على شخصية يبايعونها بعد أن أصبحت الدلائل تنبئ بقرب نهاية الأمويين. حضر الاجتماع كل من عبد الله بن الحسن وابنه محمد ذو النفس الزكية والإمام الصادق(عليه السلام) وإبراهيم الإمام وأبو جعفر المنصور وأبو العباس السفاح وبعض مواليهم وأنصارهم، وحين بدأ عبد الله بن الحسن بشرح الوضع السياسي المتدهور للدولة الأموية رشح ابنه محمداً للخلافة وطلب من الحاضرين مبايعته فعارض الإمام الصادق(عليه السلام) طلبهُ بشدة ونهى الحاضرين عن المبايعة وقال لهم: لا تفعلوا فأن هذا الأمر لم يأتِ بعد، واستطرد موجهاً كلامهُ لعبد الله بن الحسن: إنّ كنت ترى ابنك هذا هو المهدي، فليس به ولا هذا اوانهُ، وان كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك، وذهب الإمام الصادق(عليه السلام) إلى ابعد من هذا حين تنبأ بأن الخلافة ستؤول لبني العباس وخص منهم ابا العباس والمنصور[2].

كانت ولادة محمد ذو النفس الزكية في سنة (100هـ) أي في بداية الدعوة العباسية وحين بدأت هذه الدعوة تأتي أكلها كان محمد قد بلغ الثلاثين من عمرهِ، وقد أطلق القوم على محمد اسم النفس الزكية. يفسر المسعودي هذه التسمية فيقول: وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه كما اطلق عليه اسم المهدي ويكنى ابا عبد الله فقد بدأ الشك يتسرب إلى قلب المنصور تجاههم وزاده اتخاذ محمد لقب المهدي وهذا اللقب يعدُ من ابرز مميزات العقيدة الشيعية وأولها ظهوراً والذي جذب الكثير من الأتباع والأنصار إليه، سواء أكانوا من ذوي الميول العلوية أم غير علوية، لاعتقادهم بأنه المنقذ المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد إن ملئت ظلماً وجوراً[3].

وفي ذلك يقول صاحب الفخري: كان محمد ذو النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وديناً وشجاعةً وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلاً، وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين الناس انه المهدي الذي بشر به واثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس وكان يروي أن رسول الله- ص- قال: «لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك حتى يبعث فيه مهدياً أو قائماً اسمه اسمي واسم أبيه كاسم أبي»[4].

كما أطلق عليه اسم صريح قريش لأنه لم يقم عنه أم ولد في جميع آبائه وأمهاته وجداته.

ظل محمد ذو النفس الزكية منذ أواخر العصر الأموي يعتقد انه صاحب الحق الشرعي في الخلافة دون أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور بل اعتقد أن هذين الخليفتين قد اغتصبا حقه في الخلافة وان في عنقهما بيعة له ولذا امتنع ذو النفس الزكية عن البيعة للخليفتين.

وقد حرص أبو العباس والمنصور على طلب البيعة من محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم ما كان في عنقهما من بيعة للنفس الزكية ولما ظهرت الدعوة العباسية وملكوا حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وأخيه إبراهيم لما في أعناقهم من البيعة لمحمد وتواريا فلم يزالا يتنقلان في الاستتار والطلب يزعجهما من ناحية أخرى حتى ظهرا فقتلا.

أمتنع محمد ذو النفس الزكية واخوهُ إبراهيم عن البيعة لأبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين وقد سكت عن ذلك فقد كانت الدولة العباسية في أول عهدها، تواجه كثيراً من المشكلات والاضطرابات فرأى أن يؤجل أمر الزعيمين العلويين إلى حين تتهيأ الفرصة لهُ على أن أبا العباس السفاح مات سنة 136هـ وخلفهُ أبو جعفر المنصور الذي كان فيه كل صفات رجل الدولة الذي لا يقف دونهُ شيء لتحقيق مآربهِ وضمان سلامة مركزه من أي خطر.

(1) مقاتل الطالبيين ص207، تاريخ الخلفاء ص173، تاريخ الإسلام للذهبي ج7 ص93.

(2) اختيار معرفة الرجال ج3 ص214، قاموس الرجال ج1 ص243.

(3) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص514، مروج الذهب ج3 ص306.

(4) الفخري في الآداب السلطانية، ص165.

كان أبو جعفر المنصور حازماً يقظاً وحين يعزم على تنفيذ أمر لا يردهُ راد، وكان إلى حزمه وإقدامه ماكراً داهياً وحين اعتلى المنصور عرش الدولة العباسية داهمه ثلاثة رجال طامحين في السلطة وهم:

1- عبد الله بن علي عمه الذي هزم مروان بن محمد الحمار يوم الزاب واستقر بالشام والياً عليها.

2- أبو مسلم الخراساني المتربص بخراسان بين انصاره الكثر وفي بلاده التي تدين له بالطاعة والولاء.

3- محمد ذو النفس الزكية.

أما عبد الله بن علي فقد أعلن انه اولى بخلافة أبي العباس من أبي جعفر المنصور فأعلن العصيان في الشام ودعا إلى نفسه فبعث المنصور ابا مسلم الخراساني الذي استطاع أن يهزمه بيسر ولم يلبث عبد الله بن علي أن استسلم للمنصور الذي أودعه السجن.

وأما أبو مسلم الخراساني فقد أراد العودة إلى خراسان ليمتنع بها فما زال به المنصور حتى اقنعه بالعودة واوقعه بين فكي الأسد كما هو مشهور ومتداول في التاريخ.

لم يبق سوى محمد ذو النفس الزكية متخفياً بين النواحي داعياً إلى نفسه ورافضاً خلافة بني العباس.

وتتحدث الروايات أن المنصور كان كثير التنويه بمحمد أيام الأمويين ومن أكثر الداعين حماسة إلى عقد البيعة له يوم الابواء، وإذا علمنا أن ابا جعفر كان من أعلام الدعوة العباسية وما كان يظهر منه تجاه محمد ذو النفس الزكية لم يكن إلاّ رياء يقنع به محمد والعلويين بأن ما يحدث لم يكن إلاّ لصالحهم، غير أن المنصور بدأ يترقب تحركات محمد منذ أن بويع لأبي العباس السفاح فتذكر الروايات انهُ تفقد ذو النفس الزكية واخاهُ إبراهيم عندما كان اميراً للحجاج سنة 136هـ وهمهُ تخلفهما عن حضوره وحين بلغته وفاة أبي العباس وهو في الطريق أفضى إلى أبي مسلم تخوفه من شر عمه عبد الله بن علي وشيعة علي بن أبي طالب[1].

وفي خضم هذه الأحداث رأى المنصور أن يقف على أمر ذي النفس الزكية ولذا نراه في موسم الحج سنة 138هـ يعهد إلى أمير الحج الفضل بن صالح بن علي العباسي بالوقوف على أمر ذي النفس الزكية واخيه إبراهيم دون أن يثير اضطراباً فقال له: إنّ وقعت عيناك على محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن فلا يفارقك وان لم ترهما فلا تسأل عنهما وقدم الفضل إلى المدينة فتلقاه أهلها جميعاً عدا محمداً وإبراهيم فتوجه لعبد الله بالسؤال عن ولديه فقال: ما منع ابنيك أن يلقياني مع أهلهما؟

فأجاب عبد الله بن الحسن: ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء ولكنهما مهمومان بالصيد واتباعه لا يشهدان مع اهليهما خيراً ولا شراً، وسكت الفضل وما لبث أن عاد إلى العراق بعد نهاية موسم الحج.

وفي عام (140هـ/757م) خرج المنصور إلى بلاد الحجاز حاجاً ورأى أن يولي أمر الدعوة العلوية الاهتمام وجمع المنصور بني هاشم وفيهم العلويون فأغدق عليهم الصلات والأعطيات ثم اختلى بكل منهم على حدة، فكان المنصور يسأل عن محمد ذي النفس الزكية فكان كل منهم يقول: يا أمير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه وهو لايريد خلافاً ولا يحب لك صلة[2].

ولم يحد عن هذا القول من بني هاشم غير (الحسن بن زيد بن علي) الذي قال للمنصور: والله ما آمن وثوبه عليك فإنه للذي لا ينام عنك قرارك.

ورأى المنصور أن يعاود الكرة مع عبد الله بن الحسن ولعله يظفر منه بمكان ابنيه محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم فدعا المنصور إلى مائدته بني العباس وفيهم (عبد الله بن الحسين) وفيهم (عبد الله بن الحسن) وتوجه المنصور إليه فقال: يا أبا محمد، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي واني لأحبّ ان يأنسا بي ويأتياني فأصلهما وأزوجهما واخلطهما بنفسي واطرق عبد الله طويلاً ثم قال: وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد ولقد خرجا عن يدي.

ورأى المنصور أنْ يتمالك نفسه ويصبر على عبد الله بن الحسن، حتى أنَّ المنصور امتنع عن غذائه ذلك اليوم ليتفرغ الترحيب بعبد الله بن الحسن ومحادثته في أمر ابنيه واستمر المنصور يلحُ على عبد الله في السؤال عن مكان اختفاء ابنيه واستمر عبد الله يقسم بأنه لا يعرف موضعهما يقول المنصور: لا تفعل يا ابا محمد لا تفعل يا ابا محمد.

وطلب عبد الله بن الحسن من المنصور إمهاله ثم خرج سراً سليمان بن علي العباسي فقال له: يا أخي بيننا من الصهر والرحم فما قولك فيما نحن فيه مع أبي جعفر؟

فقال سليمان: إنّ أخي عبد الله بن علي في محبسه لأنه ثار عليه والموت بيننا وبينه في كل ساعة ولو كان المنصور عافياً عن أبيك لعفونا عن عمه قبلهِ.

(1) ثورات العلويين، ص208.

(2) تاريخ الطبري ج6 ص156.

والتقى عبد الله بالمنصور ثانية ثم كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد كان المنصور مع ابنه المهدي يطلعان على كتاب ورد عليهما وتكلم المهدي مع أبيه فلحن في الكلام، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه فأنه يفعل كما تفعل الأمة؟

وأبدى المنصور غضبه فصاح في عبد الله: أين ابنيك؟ فأجاب لا ادري. فقال المنصور: لتأتيني به.

فقال عبد الله: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر المنصور من فورهِ بالقبض على عبد الله وأسرته وسجنهم[1].

وقد أراد أنصار محمد النفس الزكية وإبراهيم أرادوا اغتيال أبي جعفر المنصور حينما حج سنة (140هـ) وتعهد الاشتر عبد الله بن محمد بن عبد الله بالقيام بالاغتيال ولكن محمد النفس الزكية رفض هذا المشروع وقال: والله لا اقتله ابداً غيلةً حتى أدعوه وكان قد أنضم إلى هؤلاء المتآمرين قائد من قواد الخليفة يدعى خالد بن حسان وهو من أهالي خراسان وعلم المنصور بأمر هذا القائد وحاول القبض عليه ولكنه اخفق في ذلك ووجه محمد ذو النفس الزكية هذا القائد إلى خراسان للدعوة إليه وانتقم المنصور من هذا القائد بأن قتل كثيراً من رجاله.

بدأت إجراءات المنصور تأخذ جانب القسوة فَحُبس عبد الله بن الحسن والد محمد ذو النفس الزكية وقد أبدى ألمه لما نزل اباه واسرته من اضطهاد وما يعانونه، أدرك المنصور أن إرهاب العلويين وسجن عبد الله بن الحسن وأسرته لم تجدِ نفعاً ورأى أن يتخذ طريق الحيلة والدهاء للكشف عن مكانَ اختفاء محمد النفس الزكية فكتب رسالة على لسان الشيعة موجهة إلى ذي النفس الزكية يذكرون فيها طاعتهم له ويطالبونه بالمسارعة في إعلان ثورته وأرفق المنصور الرسالة بكثير من الأموال والهدايا وتوجه هذا الرجل إلى عبد الله بن الحسن في سجنه فأطلعه على الرسالة، فقال عبد الله للرجل أن ابنه محمد مختفٍ في جبل جهينة وطلب منه أن يقصد علي بن حسن ليدلهَ على مكان محمد النفس الزكية وكادت حيلة المنصور أن تنجح لولا أن كاتباً للمنصور كان يعتنق مذهب الشيعة، كتبَ إلى عبد الله بن الحسن يطلعه على خبر هذا الرسول المزيف الذي بعثه المنصور فبعث عبد الله بن الحسن ببعض رجاله يحذرون علي بن حسن ومحمداً ذو النفس الزكية من رسول المنصور وعاد هذا الرسول إلى المنصور خائباً[2].

كان والي المدينة هو (زياد بن عبيد الله الحارثي) الذي تعهد للمنصور قبل رحيله إلى العراق بالبحث عن مكان اختفاء محمد النفس الزكية ولكنه تعاون في البحث عنه فقد كان يدرك أن المنصور يقتل محمداً إذا قبض عليه ولم يشأ هذا الوالي أن يلقي دمه على عاتقهِ وتوالت كتب المنصور على واليه يستحثه على البحث عن مكانَ محمد النفس الزكية وحدث أن قدم محمد إلى المدينة فأستقبله زياد الحارثي مرحباً واعطاه الأمان وتواعدا على مواجهة الناس في سوق المدينة ووقف زياد إلى جنبه وقال: يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن الحسن، ثم اقبل إليه وقال: إلحق بأي بلاد شئت وتوارى محمد النفس الزكية، فتوجه إلى عدن، ثم السند، فالكوفة، ثم عاد اخيراً إلى المدينة[3].

علم المنصور بموقف زياد هذا من ذي النفس الزكية فغضب لذلك فكتب إلى قاضي المدينة (عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله) بالقبض على زياد ومصادرة أمواله وعزل رجاله وأنصاره ونفذ القاضي أوامر الخليفة فقبض على زياد وكبله بالأغلال والحديد ووجد في بيت المال خمسة وثمانين الف دينار، وولى المنصور والياً جديداً هو (محمد بن خالد بن عبد الله القسري) وامره بالجد في طلب محمد النفس الزكية وبسط يديه في النفقة في طلبه وانفق هذا الوالي كل ما وجد في بيت المال ولكن دون جدوى وأمر أهل المدينة أن يلزموا بيوتهم سبعة أيام وطافت جنده بيوت المدينة يكشفونها بيتاً بيتاً إلاّ أن المنصور استبطأه وهاله أن تنفق كل هذه الأموال من دون جدوى، فكتب إلى المنصور يعلمه بأن النفس الزكية قد غادر المدينة قبل قدومهِ إليها وتنقل في كثير من الأمصار الإسلامية فعزله المنصور منَ ولاية المدينة.

استشار المنصور أحد خاصته وهو (أبو العلاء) فيمن يوليه على المدينة ويوكل إليه أمر محمد النفس الزكية فأشار عليه الرجل بتولية رجل من آل الزبير بن العوام أو من آل طلحة بين عبيد الله فهم يعلنون جميعاً عداءهم لعلي بن أبي طالب وانه قد وقف الزبير وطلحة من الإمام علي(عليه السلام) موقفاً عدائياً في حرب الجمل كما بايع عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز واضطهد آل علي بن أبي طالب وخاصة ابنه محمد بن الحنفية كما قضى على المختار بن أبي عبيد الثقفي[4].

رفض المنصور هذا الاقتراح وربما كان الدافع في عدم تولية المنصور لرجل من آل الزبير أو طلحة هو خشيته أن يتفق هذا مع محمد في إعلان الثورة أو أن تسول له نفسه

(1) تاريخ الطبري ج6 ص163.
(2) تاريخ الطبري ج6 ص163.
(3) الكامل في التاريخ ج5 ص2.
(4) مروج الذهب ج3ص43.

الثورة بعد قبضه على محمد[1].

ورفض المنصور هذا الاقتراح وقال: قاتلك الله ما أجود رأياً جئت به والله ما غبي هذا عليّ ولكني أعاهد الله أن لا أثأر من أهل بيتي بعدوي وعدوهم ولكني ابعث عليهم صعلوكاً من العرب فيفعل ما قلت فولى على المدينة (رياح بن عثمان بن حيان المري) وهو ابن عم مسلم بن عقبة قائد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية الذي حاصر المدينة وقاتل أهلها في موقعة الحرة وقتل كثيراً من أهلها وأباح المدينة لجنده اياماً اعملوا فيها القتل والسلب وانتهاك الإعراض.

إن قرار الخليفة بتعيين والٍ مغمور مثل رياح بن عثمان المري على المدينة يعتبر نقطة تحول مهمة في طرح السياسة القديمة واستبدالها بسياسة الشدة والإرهاب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأن تعيين المري والياً جديداً على المدينة سيجعله يتفانى في مهمته، ويخلص فيها، ليثبت للخليفة حسن ظنه فيه فضلاً عن أن اباه وابن عمه قد خدما الدولة الأموية فترة من الزمن فأبن عمه مسلم بن عقبة هو الذي قضى على ثورة أهل المدينة بوحشية بالغة وذلك في سنة (63هـ)[2].

أما ابوه عثمان المري فقد أساء لعبد الله بن الحسن وبعض أهل بيته أثناء تولّيه المدينة (93- 96هـ) فإذا وضعنا في تقديرنا هذه الأمور، يضاف إليها جنوح الخليفة في استعمال نار العصبية القبلية في هذا الموضوع، لأن رياح المري كان قيسياً.

تبين لنا خطورة ودقة المنصور في اختياره هذا يدل لذلك قوله ليزيد بن أسيد السلمي: أما تدلني على فتى من قيس مقل، أغنيه واشرفه وامكنه سيد اليمن يلعب به، فأشار عليه برياح بن عثمان بن حيان المري.

استدعى الخليفة رياح المري واخبره باختياره والياً جديداً على المدينة طالباً منه التشدد على بني الحسن، وأمره بالجد في القبض على محمد وإبراهيم وقال له: ما وجدت غيرك ولا اعلم سواك وسيره إلى المدينة فوصلها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة (144هـ/761م) بدأ رياح بأول عملٍ قام به أن قبض على محمد بن خالد القسري وكاتبه ومحاسبتهما على الأموال وكبله بالأغلال وأمر بضربه بالسياط ضرباً مبرحاً.

ثم قام على المنبر فخطب خطبة له مشهورة قال فيها: يا أهل المدينة أنا الأفعى ابن الأفعى ابن عثمان بن حيان وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراكم، المفني رجالكم والله لأدعها بلقعاً[3]، لا ينبح فيها كلب. فوثب عليه قوم منهم وقالوا: والله يا أبن المجلود حدّين لتكفن أو لنكفيّنك عن أنفسنا فكتب رياح إلى المنصور يخبره بسوء طاعة أهل المدينة.

فارسل المنصور إلى رياح رسولاً وكتب معه كتاباً إلى أهل المدينة يأمره أن يقرأه عليهم وكان في الكتاب: أما بعد يا أهل المدينة فأن واليكم كتبَ إليّ يذكر غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلكم بعد أمنكم خوفاً وليقطعن البرّ والبحر عنكم وليبعثن عليكم رجالاً غلاظ الأكباد بعاد الأرحام يفعلون ما يؤمرون والسلام.

فصعد رياح المنبر وقرأ كتاب المنصور هذا، فلما بلغ: يذكر غشكم، صاحوا من كل جانب: كذبت يا ابن المجلود حدّين، ورموه بالحصى وبادر المقصورة فأغلقها ودخل دار مروان فدخل عليه أيوب بن سلمة بن عبد الله المخزومي فقال له: أصلح الله الأمير، إنما يصنع هذا رعاع الناس فاقطع أيديهم واجلد ظهورهم.

فقال بعض مَنْ حضر من بني هاشم: لا نرى هذا، ولكن أرسل إلى وجوه الناس وغيرهم من أهل المدينة، فاقرأ عليهم كتاب المنصور فجمعهم وقرأ عليهم كتاب المنصور، فوثب (حفص بن عمر بن عبد الله الزهري) و(ابو عبيدة بن عبد الرحمن بن الازهر) فقالا لرياح: كذبت والله، ما امرتنا فعصيناك ولا دعوتنا فخالفناك. ثم قالا لرسول المنصور: أتبلغ أمير المؤمنين عنا؟

قال: ما جئتُ إلاّ لذلك. قالا: فقل له: أما قولك: إنك تبدّل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً، فأن الله عز وجل وعدنا غير هذا، قال: الله عز وجل ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ** (55)- النور﴾ فنحنُ نعبدهُ لا نشرك به شيئاً[4].

لقد قصد المنصور بهؤلاء الرجال (بعاد الأرحام) أن يبعث إلى المدينة جيشاً من أهالي فارس وخراسان وهم أتباع بني العباس لا نزال العقاب بأهل المدينة.

وفي سنة (144هـ) حج المنصور ورأى أن لا يدخل

(1) سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية ص268.
(2) كتاب التاريخ لابن خياط ج1 ص244.
(3) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها، ويقال اليمين البلقع الفاجرة تذرُ الديار بلاقع. راجع: مختار الصحاح ص 64.
(4) تاريخ اليعقوبي، ج2 ص263.

المدينة وهي تضطرم بنار السخط والثورة عليه فنزل موضعاً خارجاً يقال له الربذة(*) وجاءه رياح بن عثمان يصف له ما عاناه من عصيان أهل المدينة فأمره المنصور بإحضار المسجونين من بني الحسن لعله يظفر منهم بمكان اختفاء محمد النفس الزكية.

حمل رياح المسجونين إلى الخليفة وهم مكبلون بالأغلال والقوا بهم في الموضع الذي أقام المنصور فيه وشعر عبد الله ابن الحسن بالعطش الشديد فصاح يا معشر الناس: مَنْ يسقي ابن رسول الله(ﷺ) شربة ماء؟ فلم يجد مجيباً ولما مثل المسجونون بين يدي المنصور، قال عبد الله بن الحسن للمنصور: يا ابا جعفر والله ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر- يذكره بوقوع العباس بن عبد المطلب اسيراً يوم بدر- فبصق المنصور عليه، وسأل المنصور بني الحسن عن مكان محمد ذي النفس الزكية فلم يظفر منهم بجواب فأخذ يعنفهم ونكل ببعضهم، وأرسل المنصور إلى رياح وهو في الطريق أن يأخذ بقية بني الحسن فيضعهم في السجن مع عبد الله بن الحسن الذي لم يزل محبوساً منذ ثلاث سنوات، فأخذ رياح بن عثمان كلاً من (الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) و(إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) و(حسن بن جعفر بن حسن بن حسن) و(سليمان وعبد الله أبني داود بن حسن بن حسن) و(عباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن) و(علي بن حسن بن حسن بن حسن العابد وأخوه عبد الله) و(موسى بن عبد الله اخو محمد وإبراهيم) و(موسى بن عبد الله اخو محمد وإبراهيم) و(علي بن محمد بن محمد بن عبد الله) وسمع محمد النفس الزكية ذلك فأتى إلى أمه هند وقال لها: إني قد حملّتُ أبي وعمومتي ما لا طاقة لهم به ولقد هممتُ أن أضع يدي في أيديهم فعسى أن يخلى عنهم. فتنكرت أمه ولبست اطماراً ثم جاءت إلى السجن وأخبرت والده عبد الله الذي قال لها: كلا، بل نصبر، فو الله إني لأرجو أن يفتح الله به خيراً. قولي له ذلك فليدع إلى أمره وليجد فيه فأن فرجنا بيد الله[1].

ثم أمر المنصور والي المدينة بحضورهم إلى الكوفة على ظهور ابل بغير غطاء وهناك انزلوا في سجن قصر ابن هبيرة قرب الهاشمية وكان السجن سرداباً تحت الأرض حيث لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل ولقي كثير من المسجونين حتفهم في هذا السجن المظلم فكان منهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عفان، فأحتزوا رأسه وبعثوا به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان فطافوا بالرأس في مدن خراسان وهم يزعمون انه رأس محمد ذو النفس الزكية، وسأل أهل خراسان عن سبب قتله فقالوا لهم: أحتيج إلى رأسه[2].

لقد أفاض المقريزي في وصف ما لحق ببني الحسن فقال: ومضى المنصور ببني حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة واحضر محمد بن إبراهيم بن حسن واقامه، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ثم قتل أكثر من معه من بني حسن وكان إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ﷺ) فيمن حمل مصفداً بالحديد من المدينة إلى الانبار وكان يقول لأخويه عبد الله والحسن: تمنينا ذهاب سلطان بني أمية واستبشرنا بسلطان بني العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه[3].

ولتبرير ما فعل المنصور بالعلويين من مجازر وسجن الكثير من آل أبي طالب وكان يعرف تشيع كثير من أهل فارس وخراسان وتقديرهم الكبير لعلي وآل بيته ولذا كان عليه أن يبرر موقفه من هؤلاء العلويين فصعد على المنبر بالهاشمية والقى خطبة جاء فيها: يا أهل خراسان انتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منّا، إن ولد أبي طالب تركناهم والذي لا آله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير....

ثم استعرض المنصور تاريخ العلويين فتحدث عن موقف الحكمين من الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) وانقسام جنده وما كان من مصرعه. ثم تحدث المنصور عن تنازل الإمام الحسن(ﷺ) عن الخلافة لمعاوية- طبعاً هذا حسب رأي المنصور بالصلح- وأشار إلى خذلان أهل الكوفة للإمام للحسين مما أدى إلى مصرعه، ثم تحدث المنصور عن ثورة زيد بن علي وتحذير محمد بن علي العباسي والد المنصور، وداود بن علي عمه، لزيد من خذلان أهل الكوفة، ثم أشار المنصور إلى ما لاقاه بنو العباس من اضطهاد الأمويين لهم نتيجة ثورات العلويين، ثم تحدث عن موقف العلويين من الدولة العباسية فقال: فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسداً منهم لنا وبغياً علينا بما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا من خلافته ميراثنا من بنيه وجنبا من بني أمية وجرأتهم علينا، وإني والله يا أهل خراسان ما اتيت من هذا الأمر من جهالة ولا عن ظنة[4].

وبالرجوع إلى المدينة المنورة فقد تناهى إلى أسماع واليها رياح بن عثمان أن محمد النفس الزكية مختفٍ في شعب من

(*) وهي من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وفيها قبر أبي ذر الغفاري. راجع كتاب: معجم البلدان ج4 ص222.

(1) تاريخ الطبري ج7 ص539.

(2) تاريخ الطبري ج7 ص548.

(3) النزاع والتخاصم ص74.

(4) مروج الذهب،ج3 ص311.

شعاب رضوى فعهد إلى (عمرو بن عثمان الجهني) وهو من بني جشم، بالخروج في خيل ورجال للبحث عن محمد النفس الزكية والقبض عليه، فعلم محمد بقدوم رجال رياح فاسرع إلى الفرار ولكن ولداً من أولاده هوى من فوق الجبل فلقي حتفه، فأنشده محمد قائلاً:

منخـــرق الـــسربال يـــشكو الـــوجى
تنكبـــهُ أطـــراف مـــور حـــداد
يـــشردهُ الخـــوف فـــأزرى بـــه
كـــذاك مـــن يكـــره حـــر الجـــلاد
قـــد كـــان فـــي المـــوت لـــهُ راحـــة
والمـــوت حـــتم فـــي رقـــاب العبـــاد

لقد نجا ذو النفس الزكية بنفسه وظل ينتقل من مكان إلى آخر، ولم يجد رياح من ينزل به سخطه غير أهل المدينة فصعد على المنبر يسب محمداً وأخاه إبراهيم ووصفهما بالفاسقين الخالعين الطاعة ثم هجا أمهما هند بنت أبي عبيد عبيدة هجاءً فاحشاً مما أثار سخط أهل المدينة فأحتجوا فقال مهدداً: الصق الله بوجوهكم الذل والهوان، أما والله لاكتبن إلى خليفتكم فاعلمنه غشكم وقلة نصحكم.

فثار الناس عليه وصاحوا في وجهه الناس: لا تسمع منك يا ابن المحدود ورجموه بالحصى، فأسرع بالفرار والالتجاء إلى دار مروان واحتشد الناس حول الدار يوجهون إليه أقذع الشتائم والسُباب[1].

وفي هذه الفترة ورد كتاب من أبي عون عبد الملك بن يزيد الازدي عامل خراسان إلى الخليفة يخبره بأن أهل خراسان ينتظرون محمداً وانه جفل منهم فعمد المنصور إلى محمد بن عبد الله المعروف بالعثماني وكان أخ عبد الله بن الحسن لامه، فقتله وأرسل رأسه إلى خراسان ومعه رجال يشهدون انهَ رأس محمد ذو النفس الزكية لتمويه الرأي العام الخراساني، وبعث اليأس في نفوسهم وقد يكون قتل العثماني بالذات راجعاً إلى تحذير رياح المري للخليفة من شعبيته عند أهل الشام حين قال له: يا أمير المؤمنين، اما أهل خراسان فوالله ما علي عندهم إلاّ كافر، وما يعتدون بأحد من ولده، ولكن أخاهم محمد بن عبد الله بن عمرو، ولو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم رجل وقد أثار قتل العثماني تساؤلات البعض فقد سئل محمد بن جعفر بن إبراهيم عن سبب قتله، فقال: أحتيج إلى رأسه، واتبعه بقتل محمد بن إبراهيم بن عبد الله المشهور بالديباج الأصفر، اما عبد الله بن الحسن فقد مات في السجن سنة (145هـ) وتبعه آخرون فدفنوا على شاطئ الفرات.

ونتيجة للسياسة الشديدة التي اتبعها المنصور ضد آل الحسن لم يجد محمد ذو النفس الزكية أمامه إلاّ أن يعلن الثورة كرد فعل لتصرف المنصور تجاههُ وتجاه أهل بيته.

إعلان الثورة

إن لثورة محمد ذو النفس الزكية وثورة أخيه إبراهيم، طابعاً خاصاً عن الثورات الأخرى باعتبارها ذروة كفاح الفرع الحسني العلوي ضد الحكم العباسي أبان تلك الفترة الزمنية التي دامت ثلاثة عشر عاماً، ابتداءً من خلافة أبي العباس السفاح حتى سنة (145هجرية) وقبل عرض أحداث الثورة نرى من المهم إلقاء الضوء على الأسباب الداعية لها ومع اختلاف المؤرخين فيها، إلاّ إننا نرى أن السبب الحقيقي الذي دفع محمداً للثورة هو اقتناعهُ التام بأنهُ أحق بالخلافة من المنصور، أو بالأحرى أن العلويين أحق بها من العباسيين فاعتبرهم من وجهة نظره مغتصبين للخلافة وإنهم خدعوهم فسلبوهم حقاً شرعياً كان المفروض ان يؤول إليهم من دون أدنى شك، ويؤيد هذا ما جاء في رسالة محمد إلى المنصور التي يقول فيها: فإن الحق حقنا وإنما ادعيتم الأمر بنا وخرجتم لهُ بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام(عليه السلام) فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء...؟ وسيأتي نص الرسالة الكامل فيما بعد.

وترتب على هذا الاقتناع انهُ اعتبر العباسيين عامة والمنصور خاصة أكثر ظلماً وعدواناً من الأمويين لذلك فأن الثورة عليهم واجبة بل هي اوجب منها على الأمويين، يقوي هذا الاتجاه قوله: لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا فما بنو العباس إلاّ اقل خوفاً لله منهم وان الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر..... وقد أيدت الأحداث التاريخية صحة ذلك فما ان انبثقت الدولة العباسية حتى وقف محمد وأخوه إبراهيم منها موقفاً عدائياً متمثلاً برفضهما إعلان طاعتهما لها وبثهما الدعوة في الأمصار لتهيئة أفكار الناس للثورة والحصول على المؤيدين والأنصار لها من إرسال محمد ابنهُ عبد الله الاشتر إلى البصرة ثم إلى السند ووجه اخاهُ موسى إلى الجزيرة وأخاه يحيى إلى الري وطبرستان وابنهُ علياً إلى مصر وكان ابوهما عبد الله بن الحسن المحرك الأول لولديه للمضي في طريق الثورة[2].

ولقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن دعوة محمد

(1) تاريخ الطبري ج6 ص171.

(2) كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص111.

ذي النفس الزكية إلى نفسه منذ أن كان صبياً أيام الدولة الأموية، وان الأمويين لم يعيروه اهتماماً، إذ لم ترَ فيه خطراً على كيانها غير ان بيعة أبي العباس السفاح بالخلافة ومن ثم إجراءات المنصور الشديدة والحازمة في محاولة الكشف عن ذي النفس الزكية ورصده ونشاطه جعلت تحركاتهُ تأخذ طابعاً آخر أكثر جدية ويبدو أن ابا جعفر المنصور عرف ذلك وان بعض قادة الجند الخراساني تعاطفوا معهُ، بل أن احدهم أراد اغتيال المنصور في العام الذي حج فيه عام (144هـ) غير أن عبد الله بن الحسن نهاهُ عن ذلك احتراماً لعظمة الموضع الذي هو فيه وهو مكة المكرمة تيقن المنصور إلى انهُ قد اخفق تماماً في التوصل إلى مكان محمد ذي النفس الزكية وكان عليه الانتظار حتى يقوم محمد بالثورة ومالبث محمد حتى ظهر في المدينة واخذ البيعة من الناس بالخلافة وتلقب بأمير المؤمنين.

فما السبب الذي دفع محمد ذو النفس الزكية إلى إعلان الثورة في هذه السنة؟؟

أنقسم المؤرخون حول خروج محمد ذو النفس الزكية فذكروا روايات كثيرة.

يقول الطبري في تاريخه:... إنّ ملاحقة رياح بن عثمان لذي النفس الزكية وتتبعهُ لهُ مما دفعهُ إلى الظهور[1].

وأيد هذا الرأي ابن قتيبة في كتابه المعارف[2].

أما المسعودي فيرى: إنّ ما لحق ببني الحسن على يد المنصور كان هو الدافع إلى ثورة محمد فقال: كان محمد ذو النفس الزكية متخفياً من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومتهِ وكثير من اهلهِ[3].

ويذكر ابن الطقطقي فيقول: كان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشرّ به هذا محمد ابن عبد الله ثم القى الله محبتهُ على الناس فمالوا إليه كافة ثم عضد ذلك ان أشراف بني الحسن بايعوهُ ورشحوهُ للأمر فقدموهُ على نفوسهم فزادت رغبتهُ في طلب الأمور وزادت رغبة الناس فيه ومازال متغرباً منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفاً منهم على نفسه فلما علم بما جرى لوالده ولقومه ظهر بالمدينة امرهُ وتبعهُ أعيان المدينة ولم يتخلف عنهُ إلاّ نفر يسير ثم غلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور ووثب عاملاً وقاضياً وكسر أبواب السجون واخرج مَنْ فيها واستولى على المدينة[4].

أما الأصفهاني فيرى: وكان سبب عجلتهُ بالخروج قبل أن يتم ما أمر دعاتهُ الذين أنفذهم إلى الآفاق، إنفاذ عبد الله بن الحسن إليه موسى اخاهُ ليصير إلى بني جعفر ويحول عما كان عليه فيما أظهرهُ لهُ، وأسر إلى موسى غير ذلك، فسار إلى المدينة وبقي بها حولاً بدافع من رياح بن عثمان، ثم استبطاه وكتب إلى أبي جعفر في أمره يعلمهُ بتربصه، فكتب إليه يأمرهُ بأن ينحدر إلى العراق ففعل ذلك وقال للرسل: إنّ رأيتم احداً قد اقبل من المدينة في طلبكم فاضربوا عنق موسى وقد كان أحس بخبر محمد وبلغ محمداً ذلك فظهر[5].

وقد ذُكرت أسباب أخرى عجلت بخروج محمد ذي النفس الزكية منها: إلحاح انصاره عليه وهم (عبيد الله بن عمر وأبن ذئب وعبد الحميد بن جعفر) فدخلوا عليه وقالوا لهُ: ما تنتظر بالخروج والله ما تجد هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك، ما يمنعك أن تخرج وحدك؟

ويذهب فريق خامس انهُ لما وصلت الأخبار لمحمد ذي النفس الزكية تؤكد له موت أبيه في سجن المنصور، ثار انتقاماً لموته[6].

ويمكن إضافة سبب آخر لما تقدم يعود إلى دهاء المنصور وتمكنه من خداع محمد النفس الزكية حين أمر كبار قواد جيشه أن يكتبوا لهُ بأنهم على استعداد للوقوف بجانبه والانضمام إلى جيشه وقت ثورته وقام المنصور بتزوير بعض الكتب عن ألسن قوادهُ يدعونه إلى الظهور ويخبرونهُ أنهم معهُ، فأنطلت هذه الخدعة عليه واعتقد بصحتها لذلك كان يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم.

فضلاً عن الكتب التي وردت عليه من الأقاليم بإشارة من الخليفة تعلمهُ بتأييدهم لهُ فبنى ببساطة عليها آمالاً كباراً يؤيدها لأهل المدينة: والله ما من مصر يعبد الله فيه إلاّ وقد أخذت لي دعاتي فيه بيعة أهل[7].

وبذلك تمكن المنصور بخطة ذكية وناجحة من إيهام محمد النفس الزكية ودفعهُ للثورة ويمكن أن نلمس مدى سروره بنجاح خطته حين علم بالثورة قوله (أنا جُحره) وعلى اثر التطورات الأخيرة ساد في المدينة جو شديد من الحساسية فأنتشرت الشائعات وتوقع الناس بأن الثورة واقعة لا محالة فتكلموا بها وبدأوا يستعدون لها فأسرعوا في شراء الطعام

(1) تاريخ الطبري ج6 ص183.
(2) المعارف لابن قتيبة ص164.
(3) مروج الذهب ج2 ص306.
(4) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص168.
(5) مقاتل الطالبيين ص230.
(6) تاريخ الموصل ج2 ص181.
(7) الكامل في التاريخ ج5ص530.

حتى باع بعضهم حُلي بناته لتجنب الحصار الاقتصادي المرتقب الوقوع على المدينة بعد ظهور محمد النفس الزكية.

ومهما يكن فقد خرج محمد ذو النفس الزكية في (أول رجب/ سنة 154هـ) وقيل في (28/جمادى الآخرة/154هـ) فأتى المذار وبلغ والي المدينة ذلك فركب يطلبهُ بالمذار، إلاّ أن محمداً تنكب عن طريقه فرجع إلى المدينة وحاول والي المدينة رياح ابن عثمان أن يجمع إليه انصاراً من ذي عمال السلطة إلاّ أن محمداً حين دخل المدينة لم يلقَ كيداً من هؤلاء ولامن غيرهم فهو كان من سادة بني هاشم ورجالاتهم فضلاً وشرفاً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلاً، فتوجه إلى السجن وأطلق مَنْ فيه ومنهم محمد بن خالد القسري والي المدينة من قبل رياح، وابن أخيه وكاتبهُ فطاف الجميع بطرقات المدينة وهم يصيحون فترددت صيحاتهم في جنبات مدينة الرسول(ﷺ) تعلن قيام أحد أحفاده ضد بني العباس وحرص محمد ذو النفس الزكية أن تكون ثورته بيضاء، فنهى أصحابه عن إراقة الدماء فكان يقول لأصحابه: لا تقتلوا، لا تقتلوا.

لم يستطع والي المدينة أن يحرك ساكناً ولم يجد مفراً غير الاعتصام بدار مروان وهدم درج الدار حتى لا يصل الثوار إليه، لم يجد والي المدينة ما ينفس به عن حنقه وسخطه غير كلمات عنيفة وجهها إلى مجالسيه، حيث قال لهم: يا أهل المدينة، أمير المؤمنين يطلب بغيتهُ في شرق الأرض وغربها وهو بين أظهركم، اقسم بالله لئن خرج لا اترك منكم احداً إلاّ ضربت عنقه.

فلم يجد رياح بن عثمان مَنْ يؤيدهُ من أهالي المدينة غير بني زهرة فقدم بعضهم سلاحهُ إلى دار الإمارة لحماية الوالي العباسي بينما آثر بنو سلمة الانضمام إلى محمد ذي النفس الزكية.

دخل محمد ذو النفس الزكية المدينة المنورة ليلاً في مائة وخمسين رجلاً فجاؤوا إلى دار الإمارة فاقتحموها واستولوا على بيت المال وقبضوا على رياح وعلى أخيه عباس بن عثمان وحبسوهما في دار مروان، وفي الغد صلى محمد ذو النفس الزكية بالناس وصعد المنبر وخطب وقال: أما بعد أيها الناس فأنهُ كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر- المنصور- ألم يخفَ عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه وتصغيراً للكعبة الحرام، وإنما فرعون حين قال: (انا ربكم الأعلى) وان أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين، اللهم إنهم قد احلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من اخفت، وأخافوا من أمنت اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم احداً ايها الناس إني والله ما خرجت بين أظهركم وانتم عندي قوة ولاشدة ولكني اختر منكم والله ما جئت وفي الأرض مصر يعبد الله إلاّ وقد اخذ لي فيه بيعة[1].

ومهما يكن فقد احكم محمد النفس الزكية سيطرتهُ على المدينة وبدأ بتشكيل حكومة مؤقتة برئاسته وكان تشكيلها على النحو الآتي:

- تعيين محمد بن خالد بن الزبير والياً على المدينة.
- تعيين عبد العزيز بن عبد المطلب المخزومي.
- تعيين عبد العزيز بن محمد الدراوري على السلاح.
- تعيين ابن القلمس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب على الشرطة.
- تعيين عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور على الديوان.

وكان ابن المسور من ابرز علماء المدينة والفقه والحديث والفتوى وانضم لثورة محمد بن عجلان.

فقدم كثير من أهالي المدينة على الإمام(ﷺ) مالك بن انس يستفتونه في الخروج مع ذي النفس الزكية، وقالوا لهُ: إنّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر المنصور. فقال، مالك لهم: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد والبيعة له[2].

قام محمد ذو النفس الزكية بتعيين الولاة على الأمصار الإسلامية فعين كلاً من:

- محمد بن عبد الله بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على مكة المكرمة.
- القاسم بن اسحق على اليمن.
- اخوهُ موسى بن عبد الله على الشام.
- ابنهُ علي بن محمد على مصر.
- ابنهُ عبد الله بن محمد على خراسان.
- اخوهُ يحيى بن عبد الله على الري وطبرستان.
- اخوه إدريس بن عبد الله على المغرب.
- اخوهُ إبراهيم بن عبد الله على البصرة وأهالي فارس والأهواز.

لكن القاسم بن اسحق الوالي على اليمن وموسى بن عبد الله لم يتسنَ لهما ممارسة الحكم لأن محمد النفس الزكية قد قتل قبل أن يصلا إلى أمصارهما[3].

---

(1) تذكرة الخواص ص231.
(2) تاريخ الطبري ج5 ص560.
(3) تاريخ الطبري ج7 ص191.

أعلنت بعض قبائل الحجاز ولاءها للنفس الزكية وهما قبيلة (مزينة) و(جهينة) ولكن موقف هاتين القبيلتين من الزعيم العلوي جرّ عليهما سخط المنصور فقد أمر بالقبض على (400) شخص من أبناء القبيلتن وتعذيبهم في الربذة قرب المدينة في قيظ الشمس بعد أن قبض على آل عبد الله بن الحسن ومن القبائل التي انضمت لثورة محمد ذي النفس الزكية وأصبح ابناؤها عدة قواته العسكرية قبائل (بنو سليم واسلم وغفار) وقد اشتركت قوات من جهينة ومزينة في السيطرة على الطائف وانتزاعها من الوالي العباسي، وكان بنو شجاع من جهينة أكثر جنود ذو النفس الزكية حماسة واستبسالاً[1].

وأيدت قبائل أخرى الحكم العباسي ولم تنضم للثورة وهم (بنو زهرة وبنو عامر وبنو غفار) الذين ساعدوا العباسيين على طعن قوات محمد ذو النفس الزكية من الخلف حين غزت القوات العسكرية العباسية المدينة ويبدوا أن خروج محمد ذو النفس الزكية بالمدينة وبقاءهُ فيها على قلة ما فيها من المال والرجال سرّ المنصور، فلما بلغهُ خبر خروج محمد هتف: أنا أبو جعفر، استخرجت الثعلب من جحره، وأعطى الرسول تسعة آلاف درهم[2].

وتؤكد المصادر أن المنصور لم يظهر اكتراثاً بخروج محمد ذو النفس الزكية في المدينة، ولكن إجراءاته كانت أكثر حزماً وكان يتوخى في أكثرها أن يبقي محمداً في المدينة ويحرمهُ من مصادر المال والرجال من الأمصار الإسلامية.

لم يسمع المنصور بأخبار الثورة إلاّ في يوم (9/رجب/145هـ) حين آتاهُ الحسين بن صخر يحملُ له أخبارها من المدينة ثم تواترت عليه الأخبار لكنهُ ما لبث ان علم ان الثورة أصبحت حقيقة واقعة وانهُ لابد من اتخاذ خطوات سريعة وحازمة لمواجهتها، فبدأ بسلسلة من الاستشارات ليستطلع فيها آراء أهل الرأي والخبرة بالحروب فاستدعى بديل بن يحيى واعلمهُ بخروج محمد بالمدينة وأشار عليه قائلاً: اشحن الأهواز بالجنود فقال له انه ظهر بالمدينة، قال: قد فهمت وإنما الأهواز الذي تؤتون منهُ، ودعا بجعفر بن حنظلة البهراني وكان أعلم الناس بالحروب، فقال لهُ: يا جعفر قد ظهر محمد فما عندك؟ قال: وأين ظهر؟ فقال المنصور: بالمدينة، قال: فأحمد الله حيث لامال ولا رجال ولا سلاح وكراع، ابعث مولى لك تثق به فيسير حتى ينزل بوادي القرى فيمنعهُ ميرة أهل الشام فيموت مكانهُ جوعاً، وأرسل المنصور جماعة من أهل بيته إلى عمه عبد الله بن علي وهو محبوس عندهُ وكان ذا رأي عندهم يخبرهُ بخروج محمد ويطلب منه ان يشير عليه، فأجابهُ عمهُ: إن المحبوس محبوس الرأي فأخرجني حتى يخرج رأيي، فأرسل إليه المنصور: لو جاءني حتى يضرب بابي ما أخرجتك وأنا خيرلك منهُ، وهو ملك أهل بيتك، فأرسل إليه عمه: ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة، فاجثم على أكبادهم فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم، ثم اخفقها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه، وابعث إلى مسلم بن قتيبة ينحدر عليك -وكان بالري- واكتب إلى أهل الشام فمرهم أن يحملوا اليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد فأحسن جوائزهم ووجههم مع مسلم بن قتيبة، وأرسل إلى اسحق بن مسلم العقيلي الذي أشار عليه (أن يرمي محمداً بمثله إذا قال انا ابن رسول الله(ﷺ) قال هذا: وانا ابن عم رسول الله(ﷺ) وبعد أن وقف المنصور على آراء مستشاريه بادر بالرحيل إلى الكوفة وبدأ باتخاذ الخطوات اللازمة لإخماد الثورة فقرر ضرب الحصار الاقتصادي على المدينة وكتب إلى عامله بمصر يأمرهُ بقطع الميرة عن اهل الحرمين، لأن أكثرها كانت تأتيهم من مصر، ونظراً للعنت الشديد الذي سيصيبهم من جراء قلة الأقوات وأمر أن يكتب إلى العباس بن محمد ابن أخيه وهو على الجزيرة (أن يمدهُ بمن يقدر عليه ولو أن يبعث إليه في كل يوم رجلاً واحداً لينكسر بهم أهل خراسان فإنهُ لا يؤمن فسادهم مع دالتهم وزيادة في الحيطة أمر بحفر خندق على قواته لتفادي أي هجوم مفاجئ قد يشنهُ أهل الكوفة عليه) وقبل ان يقدم المنصور على الإجراء العسكري، رأى المنصور أن يكتب رسالة إلى محمد ذي النفس الزكية جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله: ﴿**إِنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْديهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيا وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ (33) إِلاَّ الَّذينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ (34)**- المائدة﴾.

ولك عليّ عهد الله وميثاقهُ وذمة رسول الله(ﷺ) إن تبت ورجعت من قبل أن اقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وأن أطلق مَنْ في حبسي من أهل بيتك وان أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيء من أمرك، ثم لا اتبع احداً منهم بشيء كان منهُ ابداً، فأن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك الامان والعهد والميثاق به، وكتب على العنوان

(1) الاغاني ج10 ص301.
(2) انساب الأشراف ج3 ص370.

من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله[1].

فكتبَ محمد ذو النفس الزكية للمنصور:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد:

﴿طسم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ (6) القصص﴾.

وانا اعرض عليك من الامان مثل الذي عرضتَ عليّ، فأن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا لأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا، وان أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام(عليه السلام)، فكيف ورثتم ورثه وولدهُ أحياء؟؟

ثم قد علمت انهُ لم يطلب أحد هذا الأمر لهُ مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا، لسنا من أبناء اللعناء والطرداء[2] ولا الطلقاء، وليس يمتّ أحدٌ من بني هاشم بمثل الذي نمت به القرابة والسابقة والفضل، وإنا بنو رسول الله(صلى الله عليه وآله) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم، إنّ الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد(صلى الله عليه وآله) ومن السلف أولهم إسلاماً عليّ، ومن النساء أفضلهن خديجة الطاهرة، وأول مَنْ صلى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ومن المولدين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وان هاشماً ولد علياً مرتين، وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، وان رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولدني مرتين من قبل حسن وحسين واني أوسط بني هاشم نسباً، وأصرَحَهُم أباً لم تعرق فيَّ العجم[3]. ولم تنازع في أمهات الأولاد. فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار، فانا ابن ارفع الناس درجةً في الجنة واهونهم عذاباً في النار وانا ابن خير الأخيار وابن خير الاشرار وانا خير اهل الجنة وابن خير الاشرار وانا ابن خير اهل الجنة وابن خير اهل النار، ولك علي الله إن دخلت في طاعتي واجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر احدثتهُ إلاّ حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما اعطيتهُ رجالاً من قبلي فأي الأمانات تعطيني؟ أمان ابن هبيرة؟

أم أمان عمك عبد الله بن علي؟

أم أمان أبي مسلم؟[4].

وعندما وصل كتاب محمد ذو النفس الزكية هذا إلى المنصور غضب غضباً شديداً وأبى إلاّ أن يجيب عليه بنفسه وعرض عليه وزيره ابو أيوب المورياني أن يتولى عنهُ ذلك فأصر المنصور على رأيه وقال لوزيره: لا بل انا اجيبهُ عليها إذا تقارعنا على الاحساب فدعني واياهُ[5].

فكتب رسالة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك فإذا جل فخرك بقرابة النساء، لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والأولياء لأن الله جعل العم أباً، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا، فقال جل ثناوه عن نبيه عليه السلام **﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ-** يوسف: 28﴾

ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختيار الله لخلقه على عمله لما مضى منهم واصطفاه لهم.

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولاتها فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ابناً ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة رزقهُ عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء، قال الله عزوجل **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (56)-القصص﴾ ولقد بعث الله محمداً عليه السلام ولهُ عمومة أربعة، فأنزل عز وجل **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (214)-الشعراء﴾ فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنان احدهما أبي، وأبى اثنان احدهما أبوك، فقطع الله ولا يتهما منهُ ولم يجعل

(1) تاريخ الموصل ج2 ص 182.

(2) اللعناء والطرداء: هم الذين حاربوا الرسول(صلى الله عليه وآله) ولم يدخلوا الإسلام إلا بعد فتح مكة وكان آل الحكم بن العاص من الطرداء. أما الطلقاء: فهم أهل مكة من الكفار اطلق الرسول(صلى الله عليه وآله) عليهم هذه التسمية بعد فتحه مكة سنة 8 هـ وكان العباس منهم.

(3) كانت أم المنصور أم ولد هي سلامة البربرية ولذلك تقدم عليه ابو العباس السفاح في الخلافة رغم أن المنصور اكبر سناً منهُ.

(4) الكامل في التاريخ ج4 ص113، تاريخ الطبري ج7 ص566.

(5) الوزراء والكتاب للجهشياري ص115.

بينهُ وبينهما إلّاً ولا ذمة ولا ميراثا، وزعمت انك ابن اخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار، وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، وليس في الشر خيار، ولاينبغي لؤمن بالله أن يفخر بالنار وسترد فتعلم ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** (227)- الشعراء﴾ وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي[1]. وان هاشماً ولده مرتين ومن فاطمة أم حسن، وان عبد المطلب ولده مرتين، وان النبي(ﷺ) ولدك مرتين فخير الأولين والآخرين رسول الله(ﷺ) ولم يلده هاشم إلا مرة . ولا عبد المطلب إلاّ مرة.

وزعمت انك أوسط بني هاشم نسباً واصرحهم أما واباً وانهُ لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً، فأنظر ويحك أين أنت من الله غداً! فانك قد تعديت طورك، وفخرت على من هو خير منك نفساً واباً واولاً وآخراً وإبراهيم[2] بن رسول الله(ﷺ) وعلى والدة ولده وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلاّ بنو أمهات أولاد، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله(ﷺ) أفضل من علي بن حسين(*) وهو لام ولد، ولهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي(**) وجدتهُ أم ولد، ولهو خير من أبيك ولامثل جعفر(***) وأما قولك: إنكم بنو رسول الله(ﷺ) فان الله تعالى يقول في كتابه ﴿**ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ**- الأحزاب: 40﴾ ولكنكم بنو ابنته وإنها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث(****) ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة.

فكيف تورث بها! ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً، ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس إلاّ الشيخين وتفضيلهما، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أنّ الجد أبا الأم والخال والخالة لايرثون.

وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله(ﷺ) الوفاة فأمر غيره بالصلاة ثم اخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه، وكان في الستة[3] فتركوه كلهم دفعا لهم ولم يروا له حقا فيها أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان، وقتل عثمان وهو له متّهم وقاتلهُ طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته وأغلق دونه بابه ثم بايع معاوية بعده. ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك شيعتهُ قبل الحكومة ثم حكم حكمين رضي بهما[4]، وأعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعنا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز، واسلم شيعتهُ بيد معاوية، ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حله، فإن كان فيها شيء فقد بعتموهُ وأخذتم ثمنهُ، ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معهُ عليه حتى قتلوه واتوا برأسه إليه، ثم خرجتم على بني أمية، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان وقتلوا رجالكم واسروا الصبية والنساء، وحملوهم بلا وطاء في المحافل، كالسبي المجلوف إلى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم، وسنينا سلفكم وفضلناه، فاتخذت ذلك علينا حجة.

وظننت انا إنما ذكرنا أباك وفضلناهُ للتقدمة منا لهُ على حمزة والعباس وجعفر[5] وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين، متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل، وابتلى أبوك بالقتال والحرب وكانت بنو أمية تلعنهُ كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فأحججنا له وذكرناهم فضله وعنفناهم بما نالوا منهُ، ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم، فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عمر، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام، ولقد قحط أهل المدينة[6]، فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلاّ بابينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به، ولقد علمت انهُ لم يبقَ احد من بني عبد المطلب، بعد النبي(ﷺ) غيره فكان وراثهُ من عمومته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينلهُ إلاّ ولدهُ فالسقاية سقايتهُ وميراث النبي لهُ، والخلافة في ولده، فلم يبقَ شرف ولا فضل في الجاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلاّ والعباس وارثه ومورثوهُ.

وأما ما ذكرت من بدر فأن، الإسلام جاء والعباس يمون ابا طالب وعياله وينفق عليهم للازمة التي اصابتهُ، ولولا أن العباس اخرج إلى بدر كارهاً لمات طالب وعقيل جوعا، وللحسا جفان عتبة وشيبة لكنه كان من المطعمين فأذهب عنكم العار والسبة وكفاكم

(1) وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن عبد المطلب، وقد أنجبت الإمام علياً(عليه السلام) وهو أول هاشمي تولّد في الإسلام بين هاشميين. المعارف ص203، جلاء العيون ج1 ص187.

(2) أم إبراهيم مارية التي أهداها المقوس عظيم القبط للرسول(ﷺ) فتزوجها.

(*) وهو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(**) هو الإمام محمد الباقر(عليه السلام) امهُ أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي، ولكن اخاه زيد كانت أمه امة.

(***) يقصد الإمام الصادق(عليه السلام).

(****) لانها من أصحاب الفروض فتأخذ فرضها فقط.

(3) وهم الإمام علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف.

(4) هما أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص.

(5) يقصد جعفر بن أبي طالب الذي قتل في معركة مؤتة سنة 8هـ

(6) المقصود عام الرمادة سنة 18هـ

النفقة والمؤونة، ثم فدى عقيلاً، فكيف تفخر علينا وقد أعناكم في الكفر، وفديناكم في الأسر، وحزنا عليكم مكارم الآباء، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بثأركم فأدكنا منهُ ما عجزتم عنهُ، ولم تدركوا إلاّ نفسكم. والسلام عليكم ورحمة الله[1].

وعندما وصلت رسالة المنصور إلى ذي النفس الزكية فأجابهُ برسالة يطلق عليها الدامغة وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّما إِلهُكُمُ اللهُ الَّذي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (98) كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً (100) خالِدينَ فيهِ وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً (101)-طه﴾

وبعد فأنك ذكرت أن فخري بالنساء فرأيت أن أوضح ما أمر لهن ما جهلتهُ ومن حق العم لأب وأم خلاف ما اوهمتهُ وليس قرابتهن اقرب القرابة، أو ليس قد ذكر الله الآباء والأمهات والأخوات والبنات ولم يجعل بينهن وبين الآباء والقرابة فرقاً فقال **﴿لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالأَقْرَبُونَ**-النساء:6﴾ وقال **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ فيهِنَّ**-النساء:127﴾ فقد ذكر الأمهات والأخوات والبنات ولم يذكر العم، ثم فرض على عباده البر بالنساء والرجال إذ قال: **﴿أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ**-لقمان:14﴾ وقوله: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ**-لقمان:14﴾ ثم ذكر فضل الأم على الأب فقال **﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً**-الاحقاف:15﴾ وكذلك في ثواب ماعنده، إذ يقول **﴿إِنَّ الْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرينَ اللهَ كَثيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظيماً (35)**- الاحقاف﴾.

وقال: **﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَريضِ حَرَجٌ وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ**-النور:61﴾ وقال: **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً**-يوسف:100﴾ وإنما كانت خالته، وقال النبي: الخالة والدة والخال والد يرث ماله ويفك عانيه.

وأما قولك لو كان الله اختار لهن لكانت آمنة أم النبي(ﷺ) أقربهنَّ رحما، فهل انباتك أن الله اختار لهن واحدا من خلقه ذكرا، فتحتج عليَّ به! ما اختار الله احداً من خلقه ولا اختار له إلاّ على السابقة والطاعة وكانت هذه حالة علي بن أبي طالب، وأمي فاطمة بنت محمد لم تكفر بالله قط ولذلك قال إبراهيم **﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمينَ (124)**-البقرة﴾

وأما فاطمة بنت عمرو أم أبي طالب وعبد الله والزبير وولادتها إياي، فكيف تنكر ذلك وأنت تحتج بالعصبة والعمومة ولم يجعل الله للعباس من قرابة العمومة شيئا لم يجعله لأبي طالب.

وأما قولك إنكم حزتم بابيكم وراثة رسول الله(ﷺ) دوننا فأخبرني أي الميراث حازهُ العباس لكم دون الخلافة ودون المال أو المال دون الخلافة، أو الخلافة والمال معاً، فأن قلت الخلافة دون المال أو الخلافة والمال معاً فأن قلت الخلافة دون المال، فيجب على هذا القياس أن تقسم الخلافة على قسمة المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين، فالولد أحق بها من العم، والعم أولى من ابن الاخ، فأن حاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك وهم أولى منك، ومن أخيك؟ ولمَ ورثت أخاك دون ابنته؟

وليس آراهُ يسعني إلاّ مجاهدتك فأن موعدك الساعة والساعة أدهى وأمر، وانا على بصيرة من أمري، وماضٍ على ما مضى عليه سلفي وأشياعي الذين ذكرهم الله فقال **﴿مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْديلاً (23)**-الأحزاب﴾ وعلى الله فليتوكل المتوكلون[2].

وعلى هذا فإنّ أهمية الرسائل تنحصر في إنها أعطت صورة واضحة للعلاقات السياسية بين العباسيين والعلويين في تلك الفترة حول اخطر مشكلة سياسية ودينية وهي الخلافة، فعكست بجلاء آراء كل من الطرفين المتنازعين حولها فتحمس كل منهما في الدفاع عن وجهة نظره، خدمة لمصلحته الخاصة، ولدحض حجج خصمه بأية طريقة كانت، والملاحظ أن الرسائل لم تؤدِ إلى حسم النزاع بل إنها جعلت الصلح بينهما مستحيلاً وأصبحت الحرب هي الحل الوحيد لإنهاء النزاع بين الطرفين.

قراءة تحليلية في الرسائل المتبادلة بين محمد النفس الزكية والمنصور

(1) تاريخ الطبري ج7 ص570، الكامل في التاريخ ج 4 ص116.

(2) حميد بن احمد البراقي: الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، ج1، ص166-167. من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة، رقم (46/ف).

إنّ الرسائل التي تبودلت بين محمد النفس الزكية والمنصور ربما كانت أهم وأطرف وجه للعلاقات العباسية العلوية في العصر العباسي الأول لأنها:

1- عكست آراء زعيمين متنافسين حول مسألة شائكة هي الخلافة.

2- لقد كانت ذات أهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين حيث بينت وجهة نظرهما ودافعت عنها بشدة.

3- اعتبرت بمثابة إعلان للحرب وتبرير للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم. فلقد كان واضحاً منذ البداية أن الطرفين لم يكونا يتوقعان الخضوع أو الصلح كنتيجة لهذه المراسلات. والحقيقة أن الرسالة الأولى للمنصور تدلُ على استحالة الصلح لأنها تهدد وتتوعد قبل أن تمني أو تعفو. وكان محمد النفس الزكية يدرك ذلك حيث كتبَ إلى عيسى بن موسى القائد العباسي بأن العباسيين لو ظنوا بأنهُ سيقبل بالوعود والامتيازات التي قدموها له لما ذكروها.

اولاً - النقد الخارجي للرسائل

أ) ظروف الازمة:

لقد راسل المنصور محمداً النفس الزكية بعد أن ظهر وأعلن ثورته، ويشير ابن الطقطقي إلى ذلك فيقول: بأن الأمور كانت تمر ببطء والتأزم بلغ أشدهُ حين تكاتبا وتراسلا. وحين يصف هذه الكتب يقول: بأنها كتب نادرة تعد من محاسن الكتب، وإنهما -أي المنصور والثائر- احتجا وذهبا في الاحتجاج كل مذهب[1].

وأما المبرد فيعتبرها: طريفة ومستحسنة جداً.

ولعنا نعيد إلى الأذهان بأن محمداً النفس الزكية أجبر على الخروج من محل اختفائه على حد قول بعض الروايات حيث تذكر بأن المنصور قال: (أنا أبو جعفر استخرجت الثعلب من جُحرهِ).

ولذلك فالخطوة التالية بالنسبة للخليفة كانت على حد قول الروايات نفسها (انذرهُ قبل قتاله)، وعبر المنصور في رسالته عن ما كان يجول في خاطره من أفكار وقد منع المنصورَ وزيرهُ ابا أيوب المورياني من أن يرد عليه وفضل أن يرد عليه بنفسه قائلاً: إذا تقارعنا على الاحساب فدعني لهُ....

ولعنا نذكر كذلك أن المنصور كان دؤوباً في التفتيش عن محمد. يقول عمر بن شبه عن المنصور: لم تكن له همة إلاّ طلب محمد والمسألة عنهُ. وتقول رواية أخرى انهُ: جدّ في طلب محمد وألح في طلبهِ. أو لم تكن لهُ همة إلاّ طلب محمد.

أما الإجراءات التي اتخذها المنصور الذي كان يعرف انه ينازع شخصاً -لايؤمن وثوبهُ للذي لاينام عنهُ- فتتلخص كالآتي:

1- إرسال العبيد للتجسس على محمد النفس الزكية في الحجاز على هيئة تجار وبياعي عطر وغيرهِ.

2- محاولة إقناع عبد الله بن الحسن بإظهار ابنهُ محمد الذي أجاب من دون وجل: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنهُ.

3- حبس الحسنيين والطالبيين من أقرباء محمد وخاصة أبيه.

4- إقصاء الولاة الذين لم يجدوا في طلب محمد وتعيين ولاة جدد.

5- ولم يتورع المنصور عن استخدام السحر لمعرفة مكن اختفاء محمد كما تذكر بعض الروايات.

6- إرسال كتب على لسان الولاة والقواد والأقاليم يدعون محمداً إلى الظهور.

ولعل هذه الإجراءات تعكس مقدرة المنصور في استغلال الموقف لصالحهِ عن طريق الاستفادة من النزعة المعادية لدى إتباعه وتوجيههم ضد محمد الثائر.

كل ذلك يوضح لنا الموقف السياسي المتأزم بين الطرفين.

ب) مصدر الرسائل التاريخية:

لقد ذكر هذه الرسائل عدد كبير من المصادر المتقدمة والمتأخرة وعلى الرغم من أن المتأخرين نقلوا حرفياً أو مختصراً أو أشاروا إلى هذه الرسائل معتمدين على المتقدمين من المؤرخين إلاّ أن سند هذه الروايات والمصادر التي ذكرت فيها لا تدع مجالاً للشك في كونها حقيقة تاريخية معترفاً بها.

ولكن نصوص هذه الرسائل ربما حرفت هنا وهناك من قبل رواة ذوي ميول علوية أوعباسية يقول يزيد بن محمد الازدي في كتابهِ: تاريخ الموصل: فأنبأني محمد بن يزيد عن عمر بن عبيدة عن محمد بن يحيى قال: سمعتُ هذه الرسائل من محمد بن بشر وكان يصححها.

وحدثنيها ابو عبد الرحمن من كتّاب أهل العراق عن أبي حرب وكان يصححها.

ولعل اقوي دليل تاريخي على صحتها هي وجودها في مصادر متقدمة رئيسة مثل:

(1) الفخري في الآداب السلطانية، ص166.

ت	اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الوفاة
1	أنساب الأشراف	احمد بن يحيى البلاذري	279هـ/ 892م
2	الكامل في اللغة والأدب	محمد بن يزيد المبرد	5هـ/898م
3	تاريخ الطبري	محمد بن جرير الطبري	310هـ/ 922م
4	تاريخ الموصل	يزيد بن محمد الازدي	334هـ/ 945م
5	العقد الفريد	شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي	327هـ/ 938م
6	تجارب الأمم	احمد بن محمد بابن مسكويه	421هـ/ 1030م
7	المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	عبد الرحمن بن علي المعروف ابن الجوزي	597هـ/ 1200م
8	الكامل في التاريخ	علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير	631هـ/ 1233م
9	نهاية الأرب في فنون الأدب	احمد بن عبد الوهاب النويري	732هـ/ 1331م
10	تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد بن محمد بن احمد الذهبي	748هـ/ 1347م
11	البداية والنهاية في التاريخ	عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير	774هـ/ 1372م
12	تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن ابن خلدون	808هـ/ 1405م
13	صبح الأعشى في صناعة الانشا	احمد بن علي القلقشندي	821هـ/ 1418م

إنّ المصدرين الرئيسيين للرسائل المتبادلة هما الطبري والمبرد ومع أن نص الطبري يختلف عن نص المبرد فأنهما يتشابهان في المعنى العام، وقد تبع بقية المؤرخين أحد هذين المصدرين الرئيسين.

ثانياً - النقد الداخلي للرسائل

أ- إنّ الرسالة الأولى للمنصور كانت نذيراً ببدء النزاع المسلح وكانت صفتها دعائية ليس إلاّ ذلك لأنها في الوقت الذي تدعو إلى الاتفاق والسلم فإنها تجعل ذلك السلم مستحيلاً فهي تتوعد بالقتل قبل أن تمني بالصلح والوفاق، كما أنها تسأل من محمد ذي النفس الزكية أكثر مما تعطيه فعلاً. وهي لذلك بمثابة الإنذار قبل القتال.

ب- إنّ جواب محمد النفس الزكية على رسالة المنصور يعبر بصورة واضحة وصحيحة عن موقف المعتدلين من العلويين حول مسألة الخلافة. ويمكن إجمالهُ كالآتي:

* لقد استند محمد النفس الزكية في ادعائه بالخلافة لا على كونه من نسل الإمام علي(عليه السلام) ولكن على كونه من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام وكان على محمد أن يؤكد على هذا المفهوم الجديد في نزاعه مع العباسيين لأن العباسيين هم أحفاد العباس عم النبي(صلى الله عليه وآله) بينما الإمام علي(عليه السلام) كان ابن عم النبي(صلى الله عليه وآله) والعم اقرب من ابن العم.

* افتخر محمد النفس الزكية على المنصور بكونه أبناً لام عربية حرة. وهذه الإشارة لابد وان تكون قد أغضبت المنصور الذي كان ابن أمة بربرية اسمها سلامة بينما كان محمد ابن أم هاشمية من نسل الإمام الحسين(عليه السلام) حتى انه سُمي صريح قريش حيث لم يكن بين امهاته أم ولد، وكان هذا المفهوم الارستقراطي في النسب سائداً في عهد الأمويين بصورة خاصة الذين حرموا الكثير من أولاد الإماء مثل مسلمة بن عبد الملك من الخلافة على الرغم من مقدرتهم.

ثم أن افتخار محمد النفس الزكية بنسبه العربي الأصيل لايمكن أن يكون قد لاقى تقبلاً من الموالي- المسلمين من غير العرب- في الحجاز وخراسان والعراق الذين كانوا انصاراً للعلويين خاصة وانهُ كان بحاجة إلى الأنصار لأن أكثر القبائل الحجازية لم تكن علوية كما هو الحال في الكوفة. وربما كان الناس في الحجاز يعطفون على ما لاقاهُ العلويون من شدة وظلم ولكن الذين يعتقدون بأحقية آل علي(عليه السلام) في الخلافة كانوا قلة في الحجاز.

* لقد ذكّر محمد النفس الزكية المنصور بأن جدهُ العباس كان من الطرداء والطلقاء واللعناء. أما الطلقاء فهم أهل مكة من الكفار حيث أطلق عليهم الرسول(صلى الله عليه وآله) هذه التسمية بعد فتح مكة. وقد كان أول من استعملها لتدل على الاستخفاف هو الإمام علي(عليه السلام) حيث أشار إلى معاوية بن أبي سفيان -الطليق

ابن الطليق-.

وفي رواية أخرى أن أمية ليس كمثل هاشم، وحرباً ليس كمثل عبد المطلب، وأبا سفيان ليس كمثل أبي طالب، والطليق ليس كمثل المهاجر.

وعلى ذلك فإن بني أمية من الطلقاء وكذلك العباس عم النبي(ﷺ) من الطلقاء لأنهم اسلموا بعد فتح مكة.

أما الطرداء واللعناء فهم الأمويون ايضاً ولعلها تشير بصورة عامة إلى اولئك الذين حاربوا الرسول(ﷺ) ولم يدخلوا الإسلام بعد فتح مكة سنة (8هـ/632م) والمعروف أن العباس حارب إلى جانب قريش في معركة بدر واسر من قبل المسلمين.

* ولم يلقب محمد النفس الزكية نفسهُ أمير المؤمنين أول الأمر وإنما سمى نفسه المهدي وهي الفكرة البراقة التي كانت تجتذب إليها الجماهير أكثر من آية فكرة أخرى لأنها تبعث فيهم الآمال وترضي فيهم التطلعات نحو المستقبل.

يستهزئ محمد النفس الزكية بأمان المنصور مذكراً إياهُ بالأمان الذي اعطاهُ قبل ذلك لعبد الله بن علي العباسي، ولأبي مسلم الخراساني، وليزيد بن عمر بن هبيرة والي الأمويين على واسط ولم يترك المنصور في جوابه على رسالة محمد ذي النفس الزكية دعوى علوية إلاّ أجاب عليها بدعوى عباسية والواقع أن اجابتهُ تسلسلت نقطة فنقطة من دون أن يهمل شيئاً من ذلك واهم ما في رسالتهُ الجوابية هو:

1- دحض المنصور إدعاء محمد النفس الزكية على اعتبار انهُ يستند على قرابة النساء مبيناً أن قرابة العمومة-العباس - اقرب من قرابة النساء- فاطمة-. لقد كانت محاولة بارعة من المنصور ليبرر ادعاءه على أساس شرعية ودينية وأسس تستند على التقاليد العربية، فالعم يرث ابن أخيه المتوفى حسب الشريعة، كما وان العم يصبح كالأب بالنسبة لأبناء أخيه المتوفى، فالعم أب كما هو معروف لدى العرب.

2- ذكر المنصور بأن العباس كان مسؤولاً عن سقاية الحجاج في الكعبة في الجاهلية والإسلام وهذا ما يسمى -بحق الحرمة- التي زادت من شهرة العباس بين الناس حتى أن عمر بن الخطاب استغاث به حين حصل الجفاف في الحجاز في إحدى السنوات.

3- وكان المنصور متعمداً في رسالته حينما امتدح الفرع الحسيني وفضلهم على الفرع الحسني ففضَل الإمام علياً زين العابدين(ﷺ) على عبد الله بن الحسن، وفضل الإمام جعفراً الصادق(ﷺ) على محمد ذي النفس الزكية.

وبما أن الإمامين زين العابدين والصادق(ﷺ) أبناء أمهات أولاد وان عبد الله بن الحسن وابنهُ من أمهات عربيات هاشميات فإن المنصور يدحض بذلك فخر محمد النفس الزكية بقرابة النساء ونقاوة الدم بصورة غير مباشرة ويثبت مركزهُ باعتباره ابن أم ولد نفسه.

4- إلاّ أن أهم نقطة في رسالة المنصور هي حين تتكلم الحقائق المستنبطة من الوقائع التاريخية وهنا يحقق المنصور كسباً قوياً في مناقشته لذي النفس الزكية، ويبين المنصور بوضوح أن العلويين حاولوا عدة مرات القيام بالثورات ضد الدولة الأموية ولكنهم فشلوا عدة مرات[1]، ثم حاول العباسيون محاولتهم الثورية فنجحت[2] وأكد المنصور في رسالته على الفشل العلوي والانتصار العباسي. وطور المنصور فكرتهُ قائلاً: بأن بني هاشم أو آل البيت عموماً لهم الحق نفسه بالخلافة وبما أن العباسيين قد حققوا الانتصار بالقوة فإن انتصارهم يبرر حصولهم على السلطان على عكس العلويين الذين حاولوا ففشلوا وهذا هو حق القوة. وقد بين المنصور هذه النظرة نفسها في خطبة ألقاها على جميع قوادهُ ومواليه وأهل بيته حين سمع بنبأ ثورة محمد حيث قال: والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴿**كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (64)-المائدة﴾ أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به فما شكروا القائم ولا حيوا القائم. كلا والله لأن أموت معززاً أحب إلي من أحيا مستذلاً ولئن لم يرضَ بالعفو مني ليطلبن مالاً يوجد عندي والسعيد من وعُظ بغيره..

يظهر المنصور نفسه بانهُ يستطيع أن يكون كمنافسه فخوراً ومتعالياً حينما يرد في آخر رسالته على ما ذكرهُ محمد النفس الزكية من أن العباس كان من الطلقاء فيقول: بأن العباس نفسه خلص طالباً وعقيلاً وفداهما من الأسر.

---

(1) قامت خلال فترة انتشار الدعوة العباسية (100- 132هـ) ثورات شيعية عنيفة، قام بها كل من زيد بن علي بن الحسين(ﷺ)، وابنهُ يحيى بن زيد، وثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الملك،وقد شغلت هذه الثورات الخلفاء الأمويين عن التفرغ لمواجهة الدعوة العباسية الآخذة في الاتساع والانتشار، كما استنفذت هذه الثورات كثيراً من جهود الدولة الأموية مما دعم الدعوة العباسية وأفسح لها الطريق.وقد أجهضت هذه الثورات بسبب القمع والوحشية اللامتناهية التي استخدمها الخلفاء الأمويون.

(2) قامت الدولة العباسية على أكتاف الشيعة خاصة وأهل العراق عامة،فأبو مسلم الذي نسميه الخراساني أصله من سواد الكوفة. واستمرت الدعوة العباسية وراء شعار الدعوة للرضا من آل محمد،فكسبت بذلك ولاء كثير من المسلمين الذين يريدون تحويل الخلافة إلى آل بيت الرسول(ﷺ) وخاصة من الموالي الفرس لذلك نجحت الدعوة العباسية في تحقيق أهدافها.وقد تناسى المنصور ذلك!! راجع: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص226).

وذكر كذلك بأن العباسيين قسموا الكثير من الأراضي الأموية على العلويين وأكرموهم.

5- كما وأشار المنصور بأن العباسيين اخذوا بثأر أبناء عمهم العلويين من الأمويين[1].

لقد أظهرت الرسائل والخطب المتبادلة بين محمد ذي النفس الزكية والمنصور شخصية الطرفين وأظهرت الروايات التاريخية مايتصف به محمد من صفات الشهامة والكرم والنبل والشجاعة ولعنا نستطيع أن نختصرها بالفروسية، ثم أن تربيتهُ ورعاية والدهُ الشديدة له حيث سماهُ النفس الزكية التي تدل على المثالية في الخُلق، والمهدي التي تظهرهُ المنقذ السياسي المثالي، جعلتهُ شخصاً ذا كرامة يعتبر الموت أفضل النجاح إذا لم يستطع تحقيقهُ.

بدء المواجهة العسكرية بين الطرفين

لم يلبث أبو جعفر المنصور طويلاً حتى وكل عيسى بن موسى بقيادة الجيش الذي سيقاتل جيش محمد النفس الزكية في المدينة وبعث معهُ حميد بن قحطبة الطائي ومحمد بن أبي العباس السفاح وعدة من قواد اهل خراسان وجندهم بالخيل والبغال والسلاح والمؤن الجيش الذي عدهُ المنصور كان مكوناً من (4000) فارس هذا بقيادة عيسى بن موسى ثم اردفهُ بجيش آخر مكون من (5000) فارس بقيادة حميد بن قحطبة الطائي.

كان سبب اختيار المنصور لعيسى بن موسى لقيادة الجيش دون غيره إلى أنهُ كان كارهاً لتوليه ولاية العهد وكان المنصور يأمل أن تؤول الخلافة إلى ابنه محمد المهدي، ولذا قال لأصحابه حينما بعث عيسى بن موسى لقتال محمد النفس الزكية: لا أبالي أيهما قتل صاحبهُ[2].

كانت سياسة المنصور هي رمي خصمين يبعضهما كما فعل بين عمه عبد الله بن علي وأبي مسلم الخراساني.

كان معظم جند المنصور الذين بعثهم للقضاء على الثورة من الخراسانيين وكانت هذه سياسة رسمها المنصور، فلم يختر الجند من بين العرب، خوفاً من أن يتأثروا بحرمة المدينة ومكانة الثوار من آل البيت العلوي فتخفق الحملة وتكون العاقبة وخيمة.

كانت هذه سياسة المنصور منذ البداية يضرب المتمردين من العجم بالعرب حتى وطد دولته وجمع شتاتها[3].

وكان من إجراءات المنصور الحازمة أن يبعث مع عيسى بن موسى ابا العساكر مسمع بن محمد بن شيبان لما عرفهُ من طاعة أهل البصرة لهُ يضمن بذلك رجوعهم به إن حاولا التحرك لصالح العلويين كما اخذ معهُ جماعة من الطالبيين ليجعلهم رسلاً بينهُ وبين أهل المدينة وحينما وصل عيسى بن موسى إلى مشارف المدينة أعلن العفو العام عن اهلها إن هم جنحوا للسلم، ووقف محمد بن زيد بن علي بن الحسين -وقد جاء مع عيسى بن موسى- وهو يخاطب أهل المدينة قائلاً لهم: يا اهل المدينة أن محمد بن زيد والله لقد تركتُ أمير المؤمنين حياً وهذا عيسى بن موسى قد أتاكم وهو يعرض عليكم الأمان.

فقال أهل المدينة: قد خلعنها أبا الدوانيق، وكتب ذو النفس الزكية رسالة إلى عيسى بن موسى يدعوهُ لطاعته ويعطيه الأمان[4].

ولما اقترب عيسى بن موسى من المدينة وأدرك محمد ذو النفس الزكية خطورة الموقف، جمع أصحابه وقال لهم: أشيروا عليّ بالخروج عن المدينة أو المقام، فقال قوم: نقيم، وقال قوم: نخرج، فقال ذو النفس الزكية لعبد الله بن جعفر: أشر عليّ يا ابا جعفر.

فقال لهُ: أنت في اقل بلاد الله فرساً وطعاماً وأضعفهُ رجلاً، واقلهُ مالاً وسلاحاً، تريد أن تقاتل أكثر الناس مالاً واشدهُ رجالاً واكثرهُ سلاحاً، واقدر على الطعام؟ الرأي أن تسير بمن اتبعك إلى مصر فوالله لا يردك راد فتقاتل بمثل سلاحه ورجاله وماله. وقال لهُ جبير بن عبد الله: اعيذك بالله أن تخرج من المدينة فإن رسول الله(ﷺ) قال عام أحد: رأيتني أدخلت يدي في درع حصينة فأولها المدينة. ورأى محمد ذو النفس الزكية أن يستمر في إقامته دون أن يرحل إلى غيرها من الأمصار.

وقد اقترف ذو النفس الزكية خطأً حينما أمر بحفر خندق حول المدينة، اتباعاً لأثر الرسول(ﷺ) يوم الأحزاب، غير أن هذا الإجراء لم يعجب ذوي الرأي من أصحابه فاعترضوا عليه، فقال احد أمراء بني سليم لذي النفس الزكية: يا أمير نحن أخوالك وجيرانك وفينا السلاح والكلاع والله لقد جاء الإسلام والخيل في بني سليم أكثر منها بالحجاز، لقد بقي فينا منها ما أن بقي مثلهُ عند عربي تسكن له البادية، فلا تخندق الخندق، فإن رسول الله(ﷺ) خندق خندقهُ لما علم به فإنك إن خندقتهُ لم يحسن القتال رجالة، ولمّ توجه لنا الخيول بين الازقة وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم[5].

---

(1) العباسيون الأوائل، ج1 ص162.

(2) العبر في خبر من غبر ج1 ص198.

(3) مروج الذهب ج3 ص307، تاريخ الطبري ج7ص579، أبو جعفر المنصور داهية العرب ص188.

(4) مقاتل الطالبيين ص237.

(5) تاريخ الطبري ج7 ص581.

إلاّ أن محمداً رفض هذه النصيحة الثمينة وكان محمد قد اخذ على أهل المدينة المناقب حين أرادوا مغادرتها إلاّ انهُ حين سمع بعيسى وحميد بن قحطبة قد اقبلا صعد المنبر فقال: يا ايها الناس إنا قد جمعناكم للقتال واخذنا عليكم المناقب وان هذا العدو منكم قريب وهو في عدد كثير والنصر من الله والأمر بيده وانهُ قد بدا لي أن آذن لكم واخرج عنكم المناقب فمن أحب أن يقيم أقام ومن أحب أن يظعن ظعن فخرج عالم من الناس بذراريهم وأهليهم إلى الإعراض والإعجاز[1].

لقد رأى محمد ذو النفس الزكية ان يلجأ إلى الوسيلة التي لجأ إليها الرسول(ﷺ) حينما غزت الأحزاب المدينة وهي حفر خندق حول المدينة يحميها من المغيرين وبدأ بحفر الخندق فأخرج لبنة من خندق رسول الله(ﷺ) كبّر وكبّر الناس معهُ وقالوا: ابشر بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله(ﷺ).

نهاية الثورة

سلك عيسى بن موسى طريق (بطن فراة) حتى وصل إلى الجرف فنزل قصر سليمان بن عبد الملك وذلك في صبيحة يوم (12/رمضان/سنة145هـ) وأراد أن يؤخر القتال حتى ينتهي شهر رمضان ولكنهُ علم ان محمداً يقول: إن اهل خراسان على بيعتي وحميد بن قحطبة قد بايعني ولو قدر أن ينفلت فلت، فرأى عيسى بن موسى ان يعاجل محمداً بالقتال فتقدم نحو المدينة، ولم يشعر أهل المدينة إلاّ يوم (15/رمضان/145هـ)[2]. والخيل قد أحاطت بهم حين أسفروا، حاصر عيسى بن موسى المدينة فنظر إلى اهل المدينة والى مَنْ دخلها وخرج منها وشحن وجوهها كلها بالخيل والرجال إلاّ ناحية مسجد أبي الجراح فقد تركها يخرج منها من أراد مفارقة محمد النفس الزكية.

وخاطب عيسى بن موسى أهل المدينة يدعوهم إلى التسليم فقال: يا أهل المدينة إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض، فهملوا إلى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل دارهُ فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن القى سلاحهُ فهو آمن ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا، فأمالنا أولهُ.

فوجه له أهل المدينة أقذع الشتائم والسباب فعاد من يومه ثم عاد في اليوم التالي فالقى مثل هذه الخطبة فواجهوهُ بالشتائم نفسها فانصرف إلى معسكره ايضاً ثم خرج في اليوم الثالث في أعداد كبيرة من الفرسان المزودين بالأسلحة وبدأت المعركة ونشب القتال وكان في بدايته مبارزة بين أفراد من الفريقين إلاّ أن جيش عيسى بدأ رويداً رويداً نحو الخندق وما لبث أن كشف أصحاب محمد النفس الزكية عنهُ ثم وضعوا عليه ابواباً فعبروها حتى كانوا من وراء جند اهل المدينة ثم اقتتلوا أشد قتال من بكرة حتى صار العصر[3].

رمى جند خراسان أهالي المدينة بالنشاب، فقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً منهم، مما آثار الرعب فأسرع الرعض إلى الفرار وأبلى ذو النفس الزكية بلاءً حسناً هو ورجاله واستبسلوا في القتال فصاح عيسى بن موسى يعاود عرض الامان على محمد وبذل لهُ كثيراً من الوعود ولكن محمداً رفض دعوته وأصر على القتال وقال: لا يثنيني عنكم فزع، ولا يقربني منكم طمع.

وأبدى محمد شجاعة نادرة حتى أنهُ قتل من أعدائه في ذلك اليوم سبعين رجلاً، وعلى الرغم من استماتة أصحاب محمد النفس الزكية في القتال غير أنهم لاحظوا أن لا أمل لهم بالنصر إزاء جيش العباسيين المتفوقين عدداً وعدة، فأقترح عليه عبد الله بن جعفر أن يخرج من المدينة ويلحق بالحسن بن معاوية بمكة لأن معهُ جلّ أصحابه، غير أن محمداً رفض هذا المقترح لأن خروجهُ سيعرض أهل المدينة للقتل فقال لهُ: والله لو خرجت لقُتل أهل المدينة كقتل أهل الحرة وأنت مني في حلٍ يا أبا جعفر فأذهب حيث شئت[4].

كما تقدم ابن خضير الزبيري باقتراح لذي النفس الزكية بالخروج إلى البصرة فرفض محمد هذا الاقتراح أيضاً. إنّ أصحاب محمد النفس الزكية كانوا يقاتلون على يأس من النصر الذي يحرزونهُ وبدأت مقاومة أهل المدينة تضمحل أمام هجمات الجيش العباسي ثم تلاشت مقاومتهم حين صعد الخراسانيون جبل سلع ونصبوا عليه راية سوداء ثم انضموا إلى المدينة إضافة إلى راية سوداء أمرت برفعها على منارة مسجد رسول الله(ﷺ) أسماء بنت حسن بن عبد الله بن العباس) مما جعل أصحاب محمد يظنون أن المدينة قد احتلت من قبل العباسيين كما دخلت فرقة من جيش العباسيين المدينة فصاروا خلف أصحاب محمد النفس الزكية. أما محمد النفس الزكية وبضعة من أصحابه فقد رأوا أن يمضوا إلى نهايتهم بشجاعة وإقدام كما هدم الجند العباسيون جدار الخندق وألقوا قتائب الإبل[5] في الخندق فنجحت الخيل في اجتيازه وبدأ القتال في طرقات المدينة ودبّ الخوف في قلب كثير من أهلها ورأوا أن لا جدوى من القتال فكفوا عنهُ وغادر بعضهم المدينة إلى أطرافها وإلى الجبال المحيطة بها، أدرك ذو النفس

(1) المصدر السابق ج7ص583.
(2) المعرفة والتاريخ ج1 ص125.
(3) تاريخ الطبري ج7 ص586.
(4) مقاتل الطالبيين ص237، تاريخ الطبري ج7ص 591.
(5) قتائب هي الأغطية والبراذع التي كانت على ظهر الإبل.

الزكية حرج الموقف فخرج إلى دار مروان فصلى الظهر فيها واغتسل وتحنط وأمر جماعتهُ بإحراق الديوان حتى لايؤخذ الناس عليه واستأذنه ابن خضير الزبيري بدخول المدينة فدخل السجن وقتل رياح بن عثمان المري ثم أحرق الديوان وعاد إلى القتال.

كان ذو النفس الزكية لا يقاومهُ أحد إلا وقتلهُ، فنادى عيسى بن موسى حميد بن قحطبة أن يبرز إليه إلاّ أن حميد بن قحطبة نظر إلى نفسه حين أبى الإجابة وبينهما هذه الاغمار من الناس، غير أن محمداً لم يلبث حتى رُمي بالسهام ودهمتهُ الخيول فوقف إلى ناحية جدار وقد تحاماهُ الناس ووجد الموت فتحامل على سيفه وكسره، والزبدية تزعم أنهُ كان سيف رسول(ﷺ) ذو الفقار[1](*).

فبرك على ركبتيه وجعل يذب عن نفسه وكان يقول: ويحكم أنا ابن نبيكم مجروح مظلوم، فنزل إليه حميد بن قحطبة فاحتز رأسهُ وبعثهُ إلى عيسى بن موسى.

قُتل محمد ذو النفس الزكية يوم الاثنين قبل العصر (14/ رمضان/145هـ) وهو ابن خمس وأربعين سنة كما أجمع المؤرخون على ذلك[2].

وضع الرأس بين يدي عيسى بن موسى فسألهم ما تقولون في هذا؟

فحاول بعضهم الإساءة إلى محمد النفس الزكية فنهاهم عيسى عن ذلك وقال: كذبتم والله وقلتم باطلاً، ما على هذا قاتلناهُ ولكنهُ خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وإنهُ كان لصواماً قواماً فسكت القوم وحُمل الرأس إلى المنصور بالكوفة فأمر بأن يطاف به في طبق أبيض وتقدمت أخت محمد زينب وابنتهُ فاطمة إلى عيسى بن موسى تطلبان منهُ الإذن بدفن الشهيد فسمح لهما بذلك، فُدفن في البقيع وكان قبرهُ مواجهاً زقاق دار الإمام علي(ﷺ) ونصب عيسى عدة ألوية على دور بعض أنصار العباسيين بالمدينة وصاح مناديه في طرق المدينة: مَنْ دخل تحت لواء منها أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن.

ولما هدأت الأمور في المدينة صادر عيسى بن موسى أموال بني الحسن وقتل كثيراً من أنصار محمد النفس الزكية وصُلبت جثثهم ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز

(1) نهج البلاغة ج3 ص307، مقاتل الطالبيين ص239.

(*) يرى بعض المؤرخين خلاف ذلك فيقول الطبري: لما شعر ذو النفس الزكية بقرب منيتهُ أعطى سيفهُ إلى رجل من التجار كان محمد مديناً لهُ بأربعمائة دينار فقال لهُ: خذ هذا السيف فأنك لا تلقى به احداً من آل أبي طالب إلاّ اخذهُ وأعطاك حقهُ.واستمر السيف عند هذا التاجر حتى اشتراهُ منهُ والي المدينة جعفر بن سليمان ثم اخذهُ منهُ الخليفة المهدي ابن المنصور.راجع تاريخ الطبري، ج 6 ص219.

(2) البداية والنهاية ج10ص89، انساب الأشراف ج3ص111، المحبر ص35، تاريخ الطبري ج7ص597، تذكرة الخواص ص235.

واستمر ذلك ثلاثة أيام في مقبرة لليهود ثم استعد لمغادرة المدينة فولى عليها (كثير بن حصين) فاستمر حكمهُ شهراً حتى بعث المنصور والياً آخر هو (عبد الله بن الربيع الحارثي) وخرج إلى مكة للعمرة[3].

وحين ولى المنصور (جعفر بن سليمان) على المدينة أمرهُ أن يتعقب مَنْ خرج مع محمد النفس الزكية وان يعاقبهم على الأنساب قال لهُ: أنظر مَنْ خرج مع محمد بن عبد الله من قريش فأسجنهُ ومَنْ خرج من العرب فأجلدهُ، ومَنْ خرج معهُ من الموالي فأقطع يدهُ، فلم يكن العفو من شيم المنصور إلاّ انهُ أجل الانتقام إلى حين هدوء العاصفة، كما أن المنصور أمر بالبحر فأقفل على أهل المدينة فلم يحمل إليهم من ناحية البحر شيء حتى كان ابنهُ محمد المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم وأذن في الحمل[4].

وكان قد انضم إلى ثورة محمد ذو النفس الزكية كثير من آل الزبير وولي بعضهم المناصب، كما آزرهُ بعض أحفاد عمر ابن الخطاب فعفا المنصور عن أحفاد عمر بينما عاقب آل الزبير عقاباً شديداً وقتل كثير منهم، وقال: أما والله لعن غير مودة بهم لهُ- أي لمحمد النفس الزكية- ولا محبة لهُ ولا لأهل بيته، ثم قال: لو وجدت الفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعاً، ولو وجدت الفاً من آل عمر مسيء وفيهم محسن واحد لاعفيتهم جميعاً[5].

أستمرت هذه الثورة شهراً وسبعة عشر يوماً.

وبعد إخماد الثورة رأى المنصور أن يزيد من الترابط بين عاصمة الخلافة العباسية والحجاز فأصبحت مدة حكم الولاة قصيرة كما كان الولاة يكتبون إلى الخليفة بكل الأخبار والإجراءات الإدارية مهما كانت كبيرة أو صغيرة، كما عزل المنصور كل مَنْ يتهم بالتشيع من المناصب الحكومية[6].

وسيطر الجيش العباسي على المدينة بعد القضاء على هذه الثورة ولكن الجند العباسيين أساءوا معاملة الأهالي مما أدى إلى قلق واضطراب في المدينة فقد أعلن العباسيون نوعاً من الأحكام العرفية أو النظام العسكري كما سطا بعض الجند العباسيين على الأسواق فأخذوا سلعاً من التجار دون أداء أثمانها، وتجمعت طائفة من الأرقاء سود البشرة، يطلق عليهم السودان وأعلنت العصيان وهاجمت بعض الجند العباسيين وهم في طريقهم إلى صلاة الجمعة وقتلوا معظمهم وهجموا على دار الوالي ومخازن الطعام المخصصة للجيش العباسي فنهبوا ثم اقتحموا السجن وأطلقوا سراح مَنْ فيه من مسجونين

(3) تاريخ ابن الوردي ج1 ص264.

(4) تاريخ الطبري ج 7 ص242.

(5) تاريخ الطبري ج6 ص227.

(6) جهاد الشيعة ص146، صبح الأعشى ج4 ص297.

وخاصة من أنصار العلويين منهم محمد بن أبي سيرة، الذي عمل هو وقاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي على تهدئة ثورتهم وبدأ الولاة العباسيون سياسة تحسين أحوال هؤلاء الرقيق حتى إذا قامت ثورة الحسين بن علي صاحب فخ في عهد الخليفة موسى الهادي انضم إليه عبيد مكة[1].

وبينما عيسى بن موسى في طريقه إلى مكة لأداء العمرة في (19- رمضان - سنة 145هـ/762م) اتاهُ أمر عاجل من المنصور يطلب فيه منه القدوم عليه بقواته لأن إبراهيم بن عبد الله أعلن ثورته في البصرة فغير سيرهُ إلى الكوفة.

أصحاب وأنصار ثورة محمد ذو النفس الزكية

عندما قامت هذه الثورة ساندتها قبائل كثيرة منها بنو سليم ومزينة وبنو بكر واسلم وغفار وجهينة ومزينة وغيهم وناصرت الثورة قوى وفقهاء وسنعرض لهم وهم كالآتي:

تحدثت المصادر إلى ان الإمام الصادق(عليه السلام) لم يقف في صف السلطة كما انهُ لم يشأ ان يتخلى عن محمد النفس الزكية بصورة كاملة فإنهُ حين استعفى محمداً من مشاركته في أعمال الثورة أرسل إليه ولديه[الإمام الكاظم(عليه السلام) وعبد الله] قال ابو الفرج الاصفهاني: كان موسى وعبد الله ابنا جعفر - الصادق- مع محمد بن عبد الله، فأتاهُ جعفر بن مسلم فسلم عليه وقال: تحب ان يصطلم أهل بيتك؟ قال: ما احب ذلك، قال: فإن رأيت أن تأذن لي فإنك تعرف علتي، قال: قد أذنت لك، ثم التفت محمد بعدما مضى جعفر، إلى موسى وعبد الله ابني جعفر، فقال: الحقا بابيكما، فقد أذنت لكما فانصرفا، فالتفت جعفر فقال: ما لكما؟ قالا: قد إذن لنا، قال جعفر: ارجعا فما كنت بالذي ابخل بنفسي وبكما عنهُ، فرجعا فشهد محمداً[2].

وممن خرج مع ثورة ذي النفس الزكية من الطالبيين:

1- الحسن، ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

2- حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

3- علي وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

4- القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

5- علي بن جعفر بن اسحق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الملقب (بالمرجئ).

6- الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

7- الحسن بن علي بن علي بن الحسين الملقب بالافطس.

8- المنذر بن محمد بن المنذر بن الزبير.

9- عبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد الداروردي.

10- ابو بكر بن أبي سيرة الفقيه الذي يروي عنه الواقدي.

11- عبد الواحد بن أبي عون مولى الازد.

12- يزيد بن هرمز.

13- عبد الله بن عامر الاسلمي.

14- اسحق بن إبراهيم بن دينار مولى جهينة.

15- عبد الحميد بن جعفر.

16- عبد الله بن عطاء وبنوهُ جميعاً: إبراهيم واسحق وربيعة، وجعفر، وعبد الله، وعطاء، ويعقوب، وعبد العزيز.

17- عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير.

18- الضحاك بن عثمان.

19- عبد الله بن عمر العمري.

20- ابو بكر بن عمر العمري.

21- عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة.

22- عبيد الله بن عمر.

23- هشام بن عروة.

24- محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان من خيار أهل المدينة وفقيههم وعابدهم.

25- عبد العزيز بن المطلب المخزومي.

26- عيسى بن زيد.

27- عبد الله بن عطاء.

28- علي بن الحسن ابني صالح.

29- مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[3].

30- المعتزلة / تلك الجماعة التي تشكلت سنة (100هجرية) حين اعتزل واصل بن عطاء خلفهُ الحسن البصري ومها اختلف المؤرخون في سبب تسميتهم بالمعتزلة فإنها أصحبت منذ تأسيسها فرقة كلامية تعتمد المنطق في جدلها الديني وتعتبر العقل اساساً للمعرفة ويجب ان نذكر هنا أن للأساس الذي اعتمدتهُ في تكوينها الفكري وهو حرية الاختيار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعداً سياسياً يناقض المبدأ الذي اعتمدتهُ الدولة الأموية ومهدت لهُ منذ أيام معاوية وحاربت معارضيه بقوة بلغت القتل وهو مبدأ (الجبر)

(1) تاريخ الطبري ج6 ص271.
(2) مقاتل الطالبيين ص252.
(3) مقاتل الطالبيين ص244، تاريخ الطبري ج7 ص607.

الذي بررت به الدولة الأموية تعسفها على أمور الأمة وحاولت الدولة العباسية تأكيدهُ، وعلى الرغم من قلة المصادر التي تحدثت عن نشاط المعتزلة السياسي لضياع آثارهم، إلاّ إننا نستطيع أن نرجح أنهم حاولوا في البداية تحقيق هدفهم السياسي بإشاعة ثقافتهم اولاً ثم محاولة التسلل إلى السلطة باحتواء بعض الخلفاء وأرباب السلطة بعد إقناعهم باعتناق آرائهم في القدر وغيره وقد نجحوا مع الخليفة الأموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي اعتنق أصول الاعتزال فآزروه على منافسة الوليد حتى ظفر بالخلافة على ان موت يزيد المبكر أصاب الاعتزال بنكسة خطيرة.

وتحدثنا المصادر أن المعتزلة لم يرحبوا بالدولة العباسية ولكنهم لم يعلنوا معارضتهم لها، بل اكتفوا بإسداء النصح وكان العباسيون الأوائل يتقبلون وعظهم بصدور رحبة لاطمئنانهم أن لا طموح لديهم في السلطة إلاّ أن شيوخهم أبوا تولي المناصب التي عرضها عليهم المنصور[1].

غير أنهُ لا مجال للشك في أن المعتزلة تعاطفوا مع العلويين في صراعهم مع بني عمومتهم العباسيين ذلك للتقارب الفكري بين التشيع الزيدي وبينهم وخاصة في أحد أهم أصولهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد دخل المعتزلة معترك السياسة بكل ثقلهم الفكري، إلاّ أنهم كانوا يبحثون عن علم يستفيئون بظله لتحقيق أهدافهم في إقامة دولة العدل والتوحيد ويبدو أن المعتزلة وجدوا في محمد النفس الزكية الرجل الذي طالما بحثوا عنهُ وقد نصت بعض الروايات انهُ التقى بهم وتباحث معهم في بداية نشاطه السياسي[2].

وأنهُ -ذو النفس الزكية - كان يحمل أهم مبادئهم ذات البعد السياسي وهي العدل وحرية الاختيار ومفهوم العدل الاجتماعي في الإسلام ومما لاشك فيه ان محمد النفس الزكية كان يعول كثيراً على استجابة المعتزلة لثورته، ولعل ذلك يفسر لنا سبب اهتمامه بالدعوة إلى نفسه في البصرة مركز المعتزلة وميدان نشاطهم وكان آنذاك عمرو بن عبيد وكان مطاعاً فيهم، إلاّ ان المصادر اختلفت في مدى استجابته لدعوة الثائر العلوي، فقد أكد البلاذري: أن محمداً ذهب بنفسه إلى البصرة ولقي عمرو بن عبيد فطالت بينهم النجوى، إلاّ أن عمراً لم يجبه ووعظهُ وحذرهُ الدماء وسوء العاقبة[3].

وان المنصور قدم البصرة واستدعى عمراً وقال لهُ: إن الناس مجمعون على انك بايعت محمداً، فقال عمرو: والله لو قلدني الناس أمرهم على ان اختار لهم إماماً ما اخترتهُ، فكيف أبايع؟

إلاّ أن المنصور لم يطمئن إلى رد عمرو بن عبيد لعلمه أن المعتزلة كانت تلتقي بالزيدية في أكثر من منحى وتتفق معها في كثير من توجهاتها السياسية فكتب على لسان محمد كتاباً إلى عمرو بن عبيد فلما قرآهُ قال للرسول: ليس لهُ جواب عن ذلك.

قال لهُ: دعنا عافاك الله نعيش في هذا الظل، ونشرب هذا الماء البارد حتى يأتينا الموت، فلما رجع الرسول إلى المنصور واخبرهُ قال: هذه ناحية قد كفيناها[4].

إلاّ أن ابا الفرج الاصفهاني روى خبراً عن أبي فضالة النحوي عن موقف المعتزلة أثناء تخفي محمد النفس الزكية، يغاير بشكل وبآخر ما رويناهُ عن البلاذري آنفاً فقد قال: اجتمع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبد الرحمن المخزومي من أهل البصرة، فتذاكروا الجور، فقال عمرو بن عبيد: فمن يقوم بهذا الأمر ممن يستوجبهُ وهو لهُ أهل؟ فقال واصل: يقوم به والله من أصبح خير هذه الأمة محمد بن عبد الله بن الحسن.

فقال عمرو بن عبيد: ما أرى ان نبايع، ولا نقوم إلاّ مع مَنْ اختبرناه وعرفنا سيرتهُ. فقال واصل: والله لو لم يكن في محمد بن عبد الله أمر يدلُ على فضله إلاّ أن اباه عبد الله بن الحسن في سنه وفضله وموضعه قد رآهُ لهذا الأمر اهلاً، وقدمهُ فيه على نفسه لكان ذلك يستحق ما نراهُ فكيف بحال محمد في نفسه وفضله؟

وفي خبر آخر روى الاصفاني: خرج جماعة من أهل البصرة من المعتزلة منهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما حتى أتوا سويقة فسالوا عبد الله بن الحسن ان يخرج لهم ابنهُ محمداًحتى يكلموهُ فطلب لهم عبد الله فسطاطاً واجتمع هو ومن شاروهُ من ثقاته ان يخرج إليهم إبراهيم بن عبد الله، فأخرج إليهم إبراهيم وعليه ربطتان ومعهُ عكازة حتى اوقفهُ عليهم فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمد بن عبد الله وحالهُ ودعا إلى بيعته وعذرهم في التأخر عنهُ فقالوا: اللهم إنا نرضى برجل هذا رسولهُ فبايعوهُ وانصرفوا إلى البصرة[5].

إن هذا النص يؤكد ان المعتزلة وعلى رأسهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد قد بايعوا محمداً لقيادتهم إلى أهدافهم السياسية، وثمة أخبار أخرى تؤكد ان المنصور كان يشك في تحركات عمرو بن عبيد ويتوجس منهُ خفية وانهُ حاول ان يختبرهُ فدس عليه العيون والأرصاد فلم يجد عندهُ ما يخشاهُ

(1) مروج الذهب ج 2 ص279.
(2) مقاتل الطالبيين ص258.
(3) انساب الأشراف ج3 ص 178.
(4) انساب الأشراف ج3ص 188.
(5) مقاتل الطالبيين ص238.

فكان يشكر ذلك لهُ.

وعلى اختلاف ما اوردتهُ المصادر نستطيع ان نقول ان عمرو بن عبيد آثر العافية ولربما صح قولهُ: لا نبايع إلاّ من اختبرناهُ وان العباسيين شكروا لهُ موقفهُ.

ولعلهُ لم يشأ ان يقف موقفاً حاسماً وآثر انتظار النتائج إلاّ انهُ لم يكتب لهُ ان يعيش إلى أيام إعلان الثورة فقد مات سنة (144هـ)[1].

غير انهُ من المؤكد ان المعتزلة وفيهم من أصحاب عمرو بن عبيد قد شاركوا في ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في البصرة مشاركة فعالة كما سيأتي لاحقاً.

أوضاع المدينة المنورة بعد الثورة

لقد ساد المدينة في أعقاب ثورة محمد النفس الزكية، جو من عدم الاستقرار نظراً للإجراءات التعسفية التي قامت بها السلطات العباسية من ضربها الحصار الاقتصادي عليها ومصادرة أموال وأملاك من اشترك من أهلها فأدى استمرار هذه الإجراءات إلى غليان الموقف وساعد على انفجاره السياسة التي اتبعها الوالي الجديد عبد الله بن الربيع الحارثي، الذي عينهُ المنصور والياً عليها في شوال سنة (145هـ/762م)[2].

فبدلاً من ان يعمل هذا على تهدئة الحالة ومعالجة الموقف المتدهور، انحاز إلى صف جنده الذي أساءوا التصرف ضد أهل المدينة، فكانوا يشترون البضائع ولا يدفعون ثمنها، فقام وفد من أهلها بعرض الأمر عليه وطلبوا منهُ العمل على شجب هذه التصرفات ومحاسبة مرتكبيها فلم يلتفت إلى طلبهم واعتبره تدخلاً في شؤونه، فزجرهم وشتمهم فطمع فيهم الجند فتزايدوا في سوء الرأي وتمادوا في غيهم وقاموا بعمليات سلب جريئة، وهددوا الأهالي بقتل كل من يتقدم بالشكوى منهم فزادت الحالة حرجاً وبات الموقف يهدد بالانفجار بين لحظة وأخرى ولم تستمر حالة التوتر هذه طويلاً، فانبعثت الشرارة الأولى من سوق القصابين بعد قتلهم لأحد الجند العباسي وبذلك بدأت أعمال العنف تجتاح المدينة، وزاد الحالة سوءاً انضمام العبيد إلى صفوف المتمردين وقتلوا عدداً من الجند، وتمكنوا من أجبار الوالي على الفرار من المدينة واستولوا على مخازن الطعام الخاصة بالسلطة وخاف أعيان البلد من سوء العاقبة فقام الاصبغ بن سفيان بن عاصم، وعبد الله بن أبي سبره- الذي أطلق سراحهُ المتمردون من السجن بعد ان سجنهُ رياح المري- الذي قام بإعادة الأمن وإرجاع الوالي ابن الربيع إلى المدينة الذي قام بقطع أيادي زعماء المتمردين العبيد وسيطر على الوضع[3].

بعدها عين المنصور جعفر بن سليمان والياً جديداً على المدينة خلفاً لابن الربيع، وطلب منهُ تنفيذ سياسة الشدة والحزم تجاه أهلها، فقال لهُ: أنظر من خرج مع محمد بن عبد الله من قريش فأسجنهُ ومن خرج من العرب فأجلدهُ ومن خرج من الموالي فأقطع يدهُ[4] فسار إليها وتسلمها من ابن الربيع في ربيع الأول سنة (146هـ/763م).

نتائج الثورة

من أهم النتائج التي أسفرت عنها ثورة محمد النفس الزكية، هي:

1- مصادرة أموال بني الحسن من قبل عيسى بن موسى وأيده المنصور في تصرفه هذا واقرهُ عليه كما صودرت قطيعة الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) رغم عدم اشتراكهُ في الثورة ورفض المنصور ردها طيلة مدة خلافته، فلما كان المهدي ردها إلى الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)[5].

2- وقد يكون رفض الخليفة راجعاً إلى اشتراك بعض أنصار الإمام الصادق(عليه السلام) بثورة محمد النفس الزكية.

3- ضرب الحصار الاقتصادي على المدينة من ابتداء الثورة وحتى انتهاء خلافة المنصور، فلما تولى المهدي الخلافة أمر برفع الحصار عنها.

4- قضت الثورة على قمة الخلاف السياسي والعسكري المسلح بين الفرع الحسني من العلويين والعباسيين مدة خلافة المنصور على الأقل.

5- توقف العمل في بناء بغداد لمدة ستة أشهر تقريباً حتى فرغ المنصور من ثورة إبراهيم بن عبد الله.

❖ من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في البصرة في عهد المنصور سنة 145هـ/762م

شهد عصر أبي جعفر المنصور ثورة شيعية كبرى شغلت كثيراً من الأمصار الإسلامية حيث ثار العلوي إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، ونجح في السيطرة على البصرة والأهواز

(1) الطبقات الكبرى ج7ص33.
(2) تاريخ ابن الخياط ج2 ص449.
(3) البداية والنهاية ج10 ص91.
(4) الأخبار الموفقيات ص186.
(5) تاريخ الطبري ج7 ص603.

وفارس وانتشر نفوذهُ في واسط والمدائن وأرض السواد.

تعتبر ثورة إبراهيم بن عبد الله بالبصرة امتداداً لثورة أخيه محمد النفس الزكية، وبمعنى أدق أن الثورتين بالأصل واحد لاشتراكهما في الغاية والهدف فقد كان إبراهيم في عهد أخيه داعية لهُ، وكان على هذا الأساس أن تفجر الثورتان في وقت واحد في كل من البصرة والمدينة، إلاّ أن لظروف اختلفت ساعة الصفر بينهما. فذكرت بعض الروايات أن محمداً خرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاهُ[1].

وقد يكون سبب ذلك سياسة الشدة التي اتبعها المنصور ضدهُ فدفعهُ لإعلان الثورة قبل وقتها المتفق عليه مع أخيه إبراهيم.

وذهبت روايات أخرى إلى أن إبراهيم هو الذي تأخر عن الموعد المحدد للثورة بسبب الجدري الذي اصابهُ[2].

بينما نسبت رواية ثالثة سبب تأخرهُ إلى زواجه عند مقدمه البصرة (بنهكة بنت عمرو بن سلمة) فكانت تأتيه في مصبغاتها وألوان ثيابها فألهتهُ عما حولهُ[3].

ويبدو من مناقشة الروايات، أن الروايتين الثانية والثالثة أولى بالقبول لأن محمداً وإن كان تقدم الموعد المتفق عليه مع أخيه، بنحو شهرين لكنهُ يستبعد جداً أن لايقوم بأخبار أخيه بالتعديل الجديد الذي طرأ على الموعد خاصة وأن الأمر على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة، بل أكدت بعض الروايات أن محمداً أخبر أخاهُ بالموعد الجديد وطلب منهُ أن يعلن الثورة[4].

وعلى الأرجح أن هذا الأمر وصل لإبراهيم بعد أسبوعين من إعلان أخيه الثورة في المدينة على أكثر احتمال لأن، البريد بين المدينة والبصرة لا يأخذ أكثر من هذه المدة بدليل أن خبر مقتل محمد النفس الزكية وصل إلى أخيه بمدة لاتتجاوز الأسبوعين ومن هذا يتضح لنا أنّ سبب تأخر إبراهيم لم يكن بسبب تقدم أخيه بإعلان الثورة، وإنما كان بسبب مرضه مضافاً إليه زواجه فتضافر السببان في تأخيره عن إعلان ثورته أما ما ذكرهُ بعض المؤرخين المحدثين، بأن إبراهيم كان لقربه من المنصور ففي ذلك ما يرهبهُ، إضافة إلى صغر سنه عن أخيه محمد وهو الإمام المبايع لهُ فإذا انتصر محمد فإنَ النصر سيسهل أمرهُ على إبراهيم[5].

ولكننا نرى أن هذا التعليل غير قوي لأن الذي يقدم على الثورة، لايهمهُ أن كان عدوهُ قريباً منهُ أم بعيداً عنهُ، ثم أن البصرة لم تكن قريبة من الكوفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أرض الجزيرة مثلاً والتي هي اقرب إلى الكوفة منها إلى البصرة، كانت مركزاً لثورات وحركات الخوارج لفترة من الزمن، ولم يقف قربهم من مقر الخلافة حائلاً دون إعلانهم لهذه الثورات والحركات، أما: إنّ إبراهيم أصغر من أخيه سناً وهو الإمام المبايع لهُ فإذا انتصر محمد فإن النصر سيسهل الأمرهُ إلى إبراهيم.

صحيح أن إبراهيم لم يكن بإمكانه إعلان الثورة قبل أخيه لأن الدعوة كانت بأسم محمد النفس الزكية لكن هذا لا يمنعهُ من مساندة أخيه في الوقت ذاته فضلاً عن أن هناك روايات تشير إلى أن إبراهيم كان أكبر سناً من محمد فقد ذكرت أن عمر إبراهيم كان تسعة وأربعين عاماً[6].

بينما ذهبت روايات أخرى إلى أن عمر محمد النفس لزكية كان يوم مقتله خمسة وأربعين عاماً[7].

كان إبراهيم بن عبد الله يكنى بابي الحسين وقد وصفهُ المؤرخون: بأنهُ كان جارياً على شاكلة أخيه محمد ذو النفس الزكية في الدين والشجاعة والشدة وكان ينشد الشعر وراوية للأدب، وذكرت المصادر انهُ لما نزل على المفضل الضبي في وقت أستتاره قال ابرهيم للمفضل: ائتني بشيء من كتبك انظر فيه، فأن صدري يضيق إذا خرجت، فأتاهُ بشيء من أشعار العرب فأختار منها قصائد وكتبها مفردة في كتاب، قال المفضل فلما قتل إبراهيم أظهرتها، فنسبتها إليّ وهي القصائد التي تسمى (أخيار المفضل) السبعين قصيدة ثم زدت عليها وجعلتها مائة وثمانية وعشرين[8].

واستشهد المؤرخون على تضلعه باللغة انهُ كان في يوم جالساً فسأل عن رجل من اصحابه فقال بعض من حضر: هو عليل والساعة تركتهُ يريد أن يموت. فضحك القوم منهُ، فقال إبراهيم: والله لقد ضحكتم منها عربية وقال الله عز وجل ﴿**فَوَجَدَا فيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**(77)-الكهف﴾ يعني كاد أن ينقض. فوثب أبو عمرو بن العلاء

(1) البداية والنهاية ج10 ص83.
(2) عمدة الطالب ص104.
(3) تاريخ الطبري ج7ص614.
(4) العبر في خبر من غبر ج1 ص199.

(5) أبو جعفر المنصور وقيام الدولة العباسية، ص255 رسالة دكتواره غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، 1947.
(6) تاريخ الطبري ج7ص647، الكامل في التاريخ ج5 ص270، شذرات الذهب ج1 ص214.
(7) عمدة الطالب ص103، مروج الذهب ج3ص307، البداية والنهاية ج10ص5.
(8) مقاتل الطالبيين ص273.

فقبل رأسه، وقال: لا نزال والله بخير مادام مثلك فينا.

لقد عنى إبراهيم مع أخيه أثناء تخفيه والدعوة إلى محمد واستقطاب الأنصار كثيراً، وبعد القبض على والده غادر إبراهيم إلى الحجاز ناجياً بنفسه وتنقل بين كثير من الأمصار والمدن، فقد رحل إلى عدن والسند والكوفة والموصل والأنبار وبغداد والمدائن وواسط ثم استقر في البصرة مختفياً في أول سنة 143هـ[1].

لقد روى المؤرخ الطبري الكثير من الروايات حول ما قام به إبراهيم من مغامرات خلال تنقله بين الأمصار الإسلامية: ففي الموصل كان إبراهيم يرتاد الموائد التي كان الخليفة المنصور يعدها لعامة الناس وقد نزل إبراهيم في الموضع الذي كان المنصور يقيم فيه عاصمتهُ الجديدة بغداد وكان المنصور يحتفل ببناء قنطرة الصراة العتيقة فوقع نظرهُ على إبراهيم فعرفهُ ولكن إبراهيم أسرع إلى الاختفاء وبحث المنصور عنهُ طويلاً دون أن يصل إليه واختفى إبراهيم فترة على شاطئ دجيل في ناحية مدينة الأهواز واخبر المنجمون المنصور بوجود إبراهيم في الأهواز، فبعث إلى عماله يحثهم على البحث عنهُ ولكنهُ أسرع إلى الفرار فلم يصلوا إليه[2].

وروى المؤرخ اليعقوبي رواية طريفة حول طريقة وصول إبراهيم إلى البصرة تدل على دهائه وذكائه: فقد بعث إبراهيم رجلاً يقال لهُ سفيان بن يزيد العقمي، فصار إلى المنصور وقال لهُ: يا أمير المؤمنين، تؤمنني وأدلك على إبراهيم بعد أن ادفعهُ إليك؟ فقال المنصور: أنت آمن، وأين هو؟

قال: بالبصرة، فوجه معي برجل تثق به، واحملني على دواب البريد، واكتب إلى عامل البصرة حتى ادلهُ عليه فيقبض عليه.

فوجه المنصور (أبا سويد) صاحب طاقات أبي سويد ببغداد، وخرج سفيان بن يزيد ومعهُ غلام عليه جبّة صوف وعلى عنقه سفرة فيها طعام، حتى ركب البريد معهُ ابو سويد وذلك الغلام، فلما صار إلى البصرة قال سفيان لابي سويد: أنتظرني حتى اعرف خبر الرجل ومضى ولم يعد. كان ذلك الغلام الذي عليه الجبة الصوف هو إبراهيم، فعلم المنصور إنها حيلة ومضى إبراهيم في نشر دعوته لأخيه محمد في البصرة[3].

إلاّ أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ دخول إبراهيم البصرة، فقد أورد الطبري روايتين الأولى تقول: انهُ دخلها في أول سنة مائة وثلاث واربعين، والثانية تقول: انهُ دخلها في أول شهر رمضان سنة مائة وخمس وأربعين عندما ظهر محمد وغلب على المدينة والبصرة[4]، وهذا التاريخ يختلط بتاريخ ظهور إبراهيم في البصرة واعلانهُ الثورة فيها كما سنرى لاحقاً.

إلاّ أن المؤرخ البلاذري يورد رواية مختلفة فقد قال: قدم محمد وإبراهيم البصرة فنزلا على أبي حفص مولى آل كدير المازني، ثم رجع محمد إلى المدينة فتحول إبراهيم فنزل عند المغيرة بن الفزع، ثم تحول إلى بني راسب ثم ينتقل من مكان إلى آخر... وكان خروجهُ في أول يوم من شهر رمضان سنة مائة وخمس وأربعين[5].

ووافق هذه الرواية ابو الفرج الاصفهاني في المقاتل[6].

أسباب اختيار إبراهيم بن عبد الله البصرة مركزاً لثورته؟

لقد كان اختيار البصرة موفقاً أفضل من الحجاز الفقيرة من المال والرجال بعد أن حلّ ابو جعفر في الكوفة وحال دون تحركها لنصرة العلويين بشتى الطرق فقد كانت البصرة مركزاً للمعتزلة الذين التقوا مع الثائر العلوي في كثير من توجهاته السياسية وأعربوا عن تأييدهم لهُ كما قلنا آنفاً، ثم أن البصرة كانت احد الميادين التي استجابت لدعوتهِ والتقت فيها الدعوة الزيدية.

وقد أحست الدولة العباسية بأهمية البصرة إلاّ أن أنها لم تحاول اتخاذ الإجراءات نفسها التي اتخذتها في الكوفة، قال الطبري: لما ظهر محمد أرسل المنصور إلى جعفر بن حنظلة البهراني وكان ذا رأي، فقال: هات رأيك؟ قد ظهر محمد بالمدينة، قال البهراني: انصرف حتى أرسل إليك.

فلما صار إبراهيم إلى البصرة، أرسل إليه فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، فقال: إياها خفتُ، بادرهُ بالجنود، قال المنصور: وكيف خفتَ البصرة؟

قال البهراني: لأن محمداً ظهر بالمدينة وليسوا بأهل حرب، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب، فلم يبقَ إلاّ البصرة[7].

ونقل المسعودي خبراً مفادهُ: إنّ المنصور استدعى رجلاً اسمهُ اسحق بن مسلم العقيلي وكان شيخاً ذا تجربة ورأي،

(1) الحور العين ص272.
(2) تاريخ الطبري ج6 ص421.
(3) تاريخ اليعقوبي ج2 ص264.
(4) تاريخ الطبري ج7 ص634.
(5) انساب الأشراف ج3ص 123.
(6) مقاتل الطالبيين ص277.
(7) تاريخ الطبري ج7ص628.

وحدثهُ عن خارج خرج عليه بالمدينة فقال العقيلي: أشحن البصرة بالرجال، فلما خرج إبراهيم بالبصرة استدعاهُ المنصور ثانيةً وسألهُ عن سبب اقتراحه بشحن البصرة بالرجال، أجاب: ذكرتَ لي خروج رجل إذا خرج لم يتخلف عنهُ احد، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش، فقلت انهُ رجل سيطلب غير موضعه ففكرتُ في مصر فوجدتها مضبوطة، والشام والكوفة كذلك، وفكرت في البصرة فخفتُ عليها منهُ لخلوها، فأشرتُ بشحنها[1].

نزل إبراهيم البصرة في دار تدعى أبي فروة اتخذها مركزاً للدعوة واقبل عليه كثير من وجوه البصرة يبايعون اخاهُ محمداً، وأحصى ديوانهُ أربعة آلاف رجل ومنهم فتيان العرب أمثال (المغيرة بن الفزع) وغيره، وكان أول مَنْ بايعهُ (نميلة بن مرة، وعفو الله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمر بن سلمة الهُجيمي، وعبد الله بن يحيى بن الحصين بن المنذر الرقاشي) وغيرهم.

وتحرك إبراهيم إلى واسط من البصرة في دار أبي مروان مولى بني سليم واستمر في دعوته لأخيه محمد. لم يكن أمام إبراهيم سوى مدينة البصرة يعلن فيها ثورته مما حتمتهُ الأوضاع السياسية في الأمصار الإسلامية، وان كانت مدينة الكوفة هي أصلح المدن لهذه الدعوة الشيعية فهي موطن الشيعة منذ عصر الخلفاء الراشدين وهي المدينة التي اتخذها الإمام علي(عليه السلام) حاضرة للدولة الإسلامية وشهدت الكوفة أمجاد الإمام علي(عليه السلام) ثم البيعة للإمام الحسين(عليه السلام) ثم دعت الكوفة الإمام الحسين(عليه السلام) ليقدم إليها من الحجاز للقيام بثورة علوية شيعية ضد الدولة الأموية وقد بلغت الكتب التي ورددت على الإمام الحسين(عليه السلام) ما ملأ خرجين كاملين من الرسائل والكتب[2].

والكوفة سارعت إلى تأييد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أعلن انهُ وزير وداعية محمد بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) المعروف بمحمد بن الحنفية، ثم شهدت الكوفة كثيراً من الثورات الشيعية مثل ثورة زيد بن علي بن الحسين(عليه السلام) في الكوفة[3].

وساهمت الكوفة في أواخر العصر الأموي في الدعوة العباسية التي استترت وراء الدعوة لتولية آل محمد الخلافة ثم كان إعلان قيام الخلافة العباسية في الكوفة.

وكان إبراهيم على الرغم من إدراكه لصلاحية الكوفة التامة لدعوته الشيعية إلاّ انهُ لم يكن يستطيع اتخاذها مركزاً لهذه الدعوة، فقد كان المنصور مقيماً في الهاشمية على مقربة من الكوفة وقد اتخذ المنصور العدة بحيث يستطيع القضاء على ثورة إبراهيم في مهدها وأما بلاد الشام فلم تكن تصلح بأي حال لتكون مركزاً لدعوة شيعية فأهلها على الرغم من قيام الدولة العباسية ما زالوا على ولائهم لبني أمية فقد ارتبطت بلاد الشام بالأمويين ارتباطاً وثيقاً ووقف اهالي الشام وراء معاوية بن أبي سفيان في صراعه مع الإمام علي(عليه السلام) واستعان الخلفاء الأمويون بجند الشام في إخماد جميع الثورات الشيعية التي قامت.

أما مصر فقد استقرت أحوالها السياسية تماماً في عهد المنصور ولم تشارك في مجريات الأحداث في الدولة العباسية مشاركة إيجابية وفعالة كما لم تكن أرض مصر صالحة لبذر المذهب الشيعي فيها، فكانت الغالبية العظمى من أهلها من أهل السنة[4].

أما خراسان فهي موطن شيعة بني العباس فقد شهدت أرضها مولد الدعوة العباسية وتطورها حتى أينعت وكانت ثمارها قيام دولة بني العباس، وحرص الخلفاء العباسيون على الارتباط بأهالي خراسان ارتباطاً وثيقاً فكانوا يتملقونهم ويمتدحوهم ويحسنون إليهم، وقد عرفنا أن المنصور قد بعث معظم جند الجيش العباسي لقتال محمد ذو النفس الزكية من الخراسانية، كما رأينا الخطب التي القاها المنصور ووجهها إلى أهالي خراسان يبرر لهم ما أقدم عليه من سجن عبد الله بن الحسن وأسرته ثم إقدامه على قتل محمد النفس الزكية.

ويتضح سرّ اختيار إبراهيم للبصرة، لقد كانت الظروف السياسية هي التي حتمت على إبراهيم اختيار البصرة مركزاً لثورته فإنها لم تكن صالحة تماماً لذلك، لقد وصف (ابن عبد ربه) الأمصار الإسلامية واتجاهاتها فقال: البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنية[5].

وكان تعرض البصرة لغارات الخوارج في العصر الأموي سبباً في ما لحق بها من تخريب وتدمير، دافعاً لأهلها على الجنوح إلى السلم والهدوء والابتعاد عن السياسة التي أفسدت العلاقات بين الكوفة ودمشق فقد أصبحت الكوفة مركزاً للمعارضة وهدفاً للاضطهاد السياسي وموضع الرقابة الحكومية. وكان المنصور يدرك ميول أهالي الكوفة منذ أمد بعيد نحو آل علي بن أبي طالب(عليه السلام) فرأى أن يأخذ للأمر هبتهُ ويقبض على الكوفة بقبضة من حديد، فنزل المنصور الرصافة في ظهر الكوفة، يحيط به ألف وخمسمائة من جنده، وأجّل بناء

(1) مروج الذهب ج2 ص233.
(2) ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) الأسباب والنتائج ص63.
(3) الثورات الشيعية في العصر الأموي ص55.
(4) الفخري في الآداب السلطانية ص167.
(5) العقد الفريد ج3 ص359.

عاصمته الجديدة بغداد المدورة حتى يتفرغ للقضاء على الثورات الشيعية وقد كان حينئذ مقيماً في دير في شرقي نهر دجلة يشرف على أعمال البناء فتوجه إليه أحد خاصته فنصحهُ بالخروج إلى الكوفة فقال لهُ: إن أهل الكوفة لمحمد شيعة، والكوفة قدر يفور أنت طبقها فأخرج حتى تنزلها[1].

فقام المنصور بإجراءات اتخذها في الكوفة هي: قيام المسيب بن زهير فجزأ الجند ثلاثة أجزاء خمسمائة خمسمائة فكان يطوف الكوفة كلها في كل ليلة، وأمر منادياً فنادى: مَنْ أخذناهُ بعد عتمة فقد أحل دمهُ بنفسه، فكان إذا أخذ رجلاً بعد عتمة لفهُ في عباءة وحملهُ فبيتهُ عندهُ فإذا أصبح سأل عنهُ فان علم براءته أطلقهُ وإلاّ حبسهُ[2].

وكان المنصور إذا علم بميل أحد أهالي الكوفة إلى إبراهيم بعث برجاله إلى بيته ليلاً، حتى إذا غسق الليل وهدأ الناس تسلق هؤلاء الرجال سلماً وتسللوا إلى داره فقتلوه وحملوا خاتمهُ إلى الخليفة.

ولما كان المنصور يعلم بميل أهالي الكوفة إلى مذهب الشيعة فقد أمرهم جميعاً بأن يلبسوا السواد وهو شعار العباسيين وهدد من يمتنع منهم عن ذلك بالعقاب فسارع الجميع إلى صبغ ملابسهم باللون الأسود ولم تتمكن محال الصباغة من القيام بصبغ ملابس جميع الأهالي، فكان البقالون يبيعون المداد لهم ليسودوا به ملابسهم.

وفي خضم هذه الأحداث نرى اتساع الثورة في البصرة وخرج إلى إبراهيم بن عبد الله الكثير من اهالي المدن، فقدم عليه كثير من اهالي الأهواز ووجه رجال المنصور انصارهُ إلى ذلك فأتخذ إجراءات لمنع خروجهم كما خرج كثير من اهالي الكوفة إلى البصرة على الرغم من تشديد المنصور في مراقبتهم ومنعهم من الخروج فكانوا يتسللون متخذين طرقاً ملتوية إلى القادسية ثم العذيب ثم وادي السباع، ثم ينعطفون براً نحو اليسار حتى يقدموا البصرة.

وقد نجح المنصور في قتل بعض هؤلاء الذين خرجوا إلى إبراهيم واحتز رؤوسهم فنصبها في بعض طرقات الكوفة لإرهاب أهلها وأقام المنصور المسالح على الطرقات الرئيسة بين المدن، فكان الجند يرغمون كل مارّ بهم أن يقسم بالطلاق والعتاق، والحلال والحرام، انهُ ليس لإبراهيم شيعة ولا يهوى هواهُ، ولا يضمر إلاّ مثل ما أظهر.

امتدت ثورة إبراهيم إلى فارس وقدم عليه في البصرة قوم من (الدهجرانية) أصحاب الضياع، فقالوا لإبراهيم: يا ابن رسول الله، إنا قوم لسنا من العرب، وليس لأحد علينا عقد ولاء، وقد أتيناك بمال فأستعن به، فقال: من كان عندهُ مال فليعن به اخاهُ، فأما أن آخذهُ فلا[3].

أدرك المنصور خطورة ثورة إبراهيم ورأى أن يحشد الجند استعداداً لمواجهة الثورة فبعث إلى قائد الجيش العباسي الذي كان يقاتل الخوارج في الجزيرة يأمرهُ بالعودة وفي الطريق اعرض أهالي (باحمشا) طريق الجند وكان عددهم نحو الفين وقالوا للقائد العباسي (داود بن سليمان): لاندعك تجوزنا لتنصر ابا جعفر على إبراهيم واشتبك الاهالي مع الجند العباسيين وانتهى القتال بقتل خمسمائة من الاهالي.

اتجه إبراهيم للسيطرة على الأهواز وفارس فبعث إلى كل مصر منها جماعة من رجاله ونجحوا في السيطرة عليهما وفي هزيمة أعداد كبيرة من جند العباسيين فصارت البصرة والأهواز وواسط وكرمان وكسكر وفارس في سلطان إبراهيم[4].

تحدث المؤرخ المسعودي عن اتساع ثورة إبراهيم فقال: ومضى إبراهيم إلى البصرة فأجابهُ آل فارس والأهواز وغيرها من الأمصار وسار من البصرة في عسكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعهُ عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وكان عيسى هذا زعيم الشيعة الزيدية في ذلك الحين وقد حاول المنصور استمالتهُ ليصرفهُ عن تأييد إبراهيم دون جدوى فقد استمر عيسى على اخلاصه لإبراهيم حتى قُتل فتوارى عيسى إلى أن مات[5].

انضم إلى ثورة إبراهيم كثير من أصحاب زيد بن علي وفي مقدمتهم سلام بن أبي واصل الحذاء وحمزة بن عطاء البرني وخليفة بن حسان الكيال، فبلغ عدد مَنْ بايعهُ بالخلافة أربعة الآف[6]. فيهم كثير من المعتزلة والزيدية وايده كثير من الفقهاء والعلماء كبشير الرحال، وابي حنفية، وعبادة بن العوام، وهيثم بن بشير، ومسلم بن سعيد، وعبد الرحمن بن جعفر المدائني. وكان بشير الرحال يقص بالبصرة على الناس ويعرض بالمنصور ويقول: ايها الناس: قابلوا من أماتوا الكتاب والسنة وعطلوا حدود الله ودعوا إلى طاعتهم دون طاعة الله، ايها الناس: كنتم تلتمسون رجلاً يقوم بالعدل فقد أتاكم الله به فأنصروهُ ترشدوا وقوموا معهُ فمن قدر على الخروج فليخرج ومن لم يقدر فليعنهُ بالمال والسلاح.

(1) تاريخ الطبري ج 6 ص247.
(2) المصدر السابق ج6 ص248.
(3) مقاتل الطالبيين ص287.
(4) تاريخ الطبري ج6 ص252.
(5) مروج الذهب ج3ص 308.
(6) قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ص160.

وكان صالح المري يخطب بالبصرة ويقول: قاتلوا المارق (يقصد المنصور) مع ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وابن علي(عليه السلام).

وقال الأعمش لجماعة من أعيان الكوفة: ما يقعدكم عنهُ والله لو كنت مبصراً ما سبقني إليه احد. وأعلن أبو حنيفة النعمان تأييدهُ لإبراهيم وكان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهراً شديداً ويفتي الناس بالخروج معهُ وقد شهدنا تأييد مالك بن انس لثورة محمد النفس الزكية في المدينة، وكان لموقف هذين الرجلين من ثورة الأخوين أثرهُ في انضمام كثير من الناس إلى الثورة[1].

وكتب أبو حنيفة النعمان إلى إبراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة حيث تؤيدهُ الزيدية فكتب إليه: ائتها سراً فان من ها هنا من شيعتكم يبيتون- أي يهاجمونه ليلاً- ابا جعفر فيقتلونهُ أو يأخذون برقبته فيأتوك به.

أدى موقف أبي حنيفة من إبراهيم إلى غضب المنصور عليه حتى قيل أن المنصور وضع له السم في شربة عسل فمات. وبعد هذا التأييد الذي حصل عليه إبراهيم أشار عليه اتباعهُ بالتحول إلى وسط البصرة ليكون قريباً من العناصر التي ترغب بنصرته ومبايعته فأنتقل إلى دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر واتخذها مقراً جديداً لهُ ومنها أعلن الثورة ليلة الاثنين (1/رمضان/145هـ/762م) في عدد قليل من أتباعه لا يتجاوزن العشرين وقد يكون إعلان الثورة بهذا الشكل مردهُ إلى أمرين:

1.توجيه المنصور لخالد ومحمد ويزيد أبناء يزيد بن عمران إلى البصرة قبل ظهور إبراهيم فقدموا جندهم فجعلوا يدخلونها بعضهم على اثر بعض فخشي إبراهيم أن يكثر فيها الجند وعندها يصعب إعلان الثورة فخرج.

2.تحذير بعض أتباعه له بعد اشتهار امرهُ حين قالوا له: اخرج وإلاّ بعث إليك فأخذت فخرج(2).

موقف البصرة من استشهاد محمد ذي النفس الزكية

بينما كان إبراهيم يمضي من نجاح إلى نجاح آخر جاءهُ نبأ استشهاد أخيه محمد النفس الزكية في المدينة الذي استشهد في (14/رمضان/145هـ) جاء هذا الخبر قبل عيد الفطر بأيام ثلاثة فكان لهذا النبأ أسوأ الأثر في نفس إبراهيم فبكى اخاهُ طويلاً.

وخرج يوم عيد الفطر يصلي بالناس وهم يعرفون فيه الانكسار وأخبر الناس بخبر محمد النفس الزكية، ووقف إبراهيم على المنبر يرثي أخاهُ بهذه الأبيات:

أبـا المنـازل يـا خيـر الفـوارس مـن
يفجـع بمثلـك فـي الـدنيا فقـد فجعـا
الله يعلـم إنـي لـو خـشيتهم
وأوجس القلـب مـن خـوف لهـم فزعـا
لـم يقتلـوه ولـم اسـلم أخـي لهـم
حتـى نمـوت جميعـاً أو نعـيش معـاً

ثم بكى وقال: اللهم إنك تعلم أن محمداً إنما خرج غضباً لك، ونفياً لهذه المُسَوّدة وإيثاراً لحقك فارحمهُ واغفر لهُ، واجعل الآخرة خير مددّ لهُ، ومنقلبٍ من الدنيا، ثم جَرِضَ بريقهُ- أي ابتلعهُ بالجهد على هم- وترادّ الكلام في فيه وتلجلج ساعة ثم انفجر باكياً منتحباً، وبكى الناس، وكان إبراهيم يقول: ما أتى عليّ يوم بعد استشهاد محمد إلاّ استطلبهُ حباً للحاق به[3].

لم يزد استشهاد محمد ذو النفس الزكية أخاهُ إبراهيم وأنصارهُ إلاّ حماسة واستبسالاً فعزموا جميعاً على الأخذ بثأر الشهيد من العباسيين وانطلقت ثورة إبراهيم في عنف تكسح أمامها كل مقاومة من العباسيين وخرج إبراهيم من فوره إلى (الساجور) حيث عسكر بجيشه وبدأ استعداداته للزحف نحو الكوفة لقتال المنصور واستنفر الناس للمعركة القريبة وأقبلت الرايات من كل صوب واحتشدت الشيعة في البصرة والأهواز وبعث إبراهيم كتائب تسيطر على البلاد المجاورة.

كان موقف المنصور حرجاً فما زال الجيش الذي يتولى عيسى بن موسى قيادتهُ في الحجاز، كما فرق المنصور جيوشه في الأمصار المختلفة وقدم جعفر ومحمد ابنا سلمان على المنصور من البصرة يرويان مشاهداتهما في البصرة ويتحدثان عن قوة إبراهيم وكثرة جنده وشيعته واعترف المنصور بقلة جندهِ وحرج موقفهُ فقال لهما: والله ما أدري كيف اصنع والله ما فيَ عسكري إلاّ ألف رجل، فرقتُ جندي، فمع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن الأشعب بإفريقيا أربعون ألفا، والباقون مع عيسى بن موسى والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً[4].

وكلام المنصور هذا يكشف مقدار حرج موقفهُ العسكري والحالة التي هو فيها، كتب المنصور إلى عيسى بن موسى بالمدينة يحثهُ على الرجوع فسرعان ما قدم عليه مسلم بن قتيبة من الري، فضم المنصور جيشه إلى جيش عيسى بن

(1) تاريخ الطبري ج5 ص560.
(2) أعيان الشيعة ج5 ص265.
(3) مقاتل الطالبيين ص294، شرح نهج البلاغة ج1ص324.
(4) تاريخ الطبري ج6 ص254، البداية والنهاية ج10ص93.

موسى على الرغم مما كان بين القائدين من تحاسد وبغضاء، وراسل قبيلة بالبصرة، فأعلنت ولاءها للعباسيين وكتب المنصور إلى ابنيه وولي عهده المهدي الذي كان بالري يأمرهُ بتوجيه حازم بن خزيمة إلى الأهواز فأنفذهُ المهدي في اربعمائة الف جندي[1].

إعلان الثورة

ذكر المؤرخ الطبري أن إبراهيم بن عبد الله قدم إلى البصرة في أول سنة (143 هجرية)، فأقام مختفياً يدعو أهلها في السر إلى البيعة لأخيه محمد ويتفق الطبري والأصفهاني بأن أول خروج إبراهيم بالبصرة كان في (1/رمضان/145هـ).

خرج إبراهيم في (1/رمضان سنة 145هـ)، في أربعة عشر فارساً قاصدين ناحية بني يشكر وقدم إليه هناك بعض أنصاره من بني تميم وقصدوا جميعاً إلى دار الإمارة حيث يقيم الوالي العباسي (سفيان بن معاوية) فحاصروا الدار وقدم ابو حماد الأبرص لنجدة الوالي على رأس ألفين من الجند، فنجح إبراهيم وأنصارهُ في الانتصار عليهم واستولوا على دوابهم واستخدموها في القتال، وأشعل إبراهيم النيران في رحبة القصر فأضطر سفيان ومن معهُ من رجاله إلى طلب الأمان فأمنهم إبراهيم على أرواحهم وأمر بحبس سفيان في القصر.

وقدم جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي العباسي وكانا في البصرة يومئذ على رأس ستمائة جندي لنجدة الوالي العباسي ولكن أحدً أنصار إبراهيم قاد ثمانية وأربعين رجلاً ونجح في هزيمة الأخوين العباسيين واستولى إبراهيم على بيت المال فوجد فيه مليوني درهم ففرض لكل رجل من رجاله خمسين درهماً فكان الناس يقولون: خمسون والجنة[2].

ثم اتجه إبراهيم إلى السيطرة على الأهواز وفارس فبعث إلى كل مصر منها جماعة من رجاله ونجحوا في السيطرة عليهما وفي هزيمة أعداد كبيرة من جند العباسيين فصارت البصرة والأهواز وفارس في قبضة إبراهيم، ثم استطاع إبراهيم أن يمد نفوذه إلى واسط أيضاً بعد اشتباكات حربية عنيفة بين أنصاره وأنصار العباسيين ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره يفرق العمال في النواحي ويوجه الجيوش إلى البلدان حتى أتاهُ نعي أخيه محمد.

شهدت الأهواز أول صدام عسكري بين جند العباسيين وقوات إبراهيم فقد قدم حازم على رأس الجيش العباسي إلى الأهواز حيث كان المغيرة مسيطراً عليها باسم إبراهيم وقام حازم بقطع الجسر واستولى على السفن وبدأ الصدام بين القوتين وعلى الرغم من أن اتجاه هبوب الرياح كان لصالح الجيش العباسي إلاّ أن حازماً نجح في إلحاق الهزيمة في أول الأمر بالعباسيين، ولكن توافدت الإمدادات على حازم ونجح في الانتصار على المغيرة الذي آثر الانسحاب إلى البصرة وفقد إبراهيم بذلك الأهواز.

قضى المنصور فترة قلقة ينتظر فيها عودة جيش عيسى بن موسى من الحجاز حتى يعهد إليه بالقضاء على ثورة إبراهيم بالبصرة وكان المنصور مقدراً خطورة الموقف شاعراً بالحرج حتى انهُ خرج من قصره فأقام في معسكره وسط جنده وظل يقيم فوق مصلى أكثر من خمسين ليلة فكان عليه مجلسه ونومه ولم يغير الجبة حتى اتسخت وكان إذا حاول احد خاصتَهُ تهدئهُ خاطرهُ. أنشد:

ونصبت نفسي للرماح دريئة إن الرئيس لمثل ذاك فعول

قدم عيسى بن موسى على المنصور فتنفس الصعداء فعهد إليه بقتال إبراهيم، ويبدو مدى تقدير المنصور لمقدرة عيسى بن موسى في هذه العبارات التي قالها لأحد خاصته: إنّ إبراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناصيتي وخشونة قرني وإنما جرأهُ على المسير إليّ من البصرة، اجتماع هذه الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معهُ على الخلاف والمعصية وقد رميت كل كورة بحجرها، وكل ناحية بسهمها ووجهت إليهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى في كثرة من العدد والعداوة واستعنت بالله عليه، واستكفيتهُ إياه فإنهُ لاحول ولا قوة لأمير المؤمنين إلاّ به[3].

بدء المواجهة العسكرية بين الطرفين

كان نجاح إبراهيم في البصرة ونواحيها ساحقاً فقد استقامت لهُ البصرة والأهواز وفارس وكادت واسط أن تستقيم لهُ بعد أن بايعهُ أهلها وكثر أنصارهُ حتى قيل أنه أحصى ديوانهُ من أهل البصرة فكان ستين الفاً[4]، وقيل مائة الف[5].

وعلى الجانب الآخر كان المنصور الذي حلّ بالكوفة التي تدين بالولاء للعلويين فجعلها تحت وطأته ولكنهُ لم يكن ليجلس على فراش ممهد فلقد كانت الكوفة كالنار تحت الرماد، تنظر الصيحة لتثب به ولم يكن معهُ جند كثير، فقد فرق جنده إلى أطراف بعيدة ولم يكن في معسكره غير ألفي رجل، فكان المنصور يأمر بالحطب فيؤخذ بالليل فيراها الرائي فيحسب أن هناك ناساً وماهي إلاّ نار تضرم وليس عندها أحد.

(1) تاريخ الطبري ج6 ص255.
(2) تاريخ الطبري ج6 ص251.
(3) تاريخ الطبري ج6 ص257.
(4) تاريخ اليعقوبي ج2ص264.
(5) تاريخ الطبري ج6 ص642، العبر في خبر من غبر ج1ص201، مقالات الإسلاميين ج1ص 29.

كان المنصور قد أرسل جنداً كثيرة مع ابنه المهدي إلى الري وآخر مع محمد بن الأشعث إلى أفريقيا، وأرسل عيسى بن موسى لقتال إبراهيم فتقدم على رأس جيش قوامهُ خمسة عشر الفاً، وجعل المنصور حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف جندي وصحب الجيش العباسي حتى بلغ البصريين ثم عاد إلى الكوفة وتقدم إبراهيم على رأس جيش كان يتألف من عشرة آلاف جندي وعلى الرغم من أن، ديوان إبراهيم كان يضم أسماء مائة الف من أهل البصرة وبدأ إبراهيم زحفهُ من خريبة البصرة نحو الكوفة.

ويبدو أن إبراهيم كان تنقصهُ الحنكة العسكرية على الرغم من شجاعته إذ لو سار إلى المنصور الآن لما كان في انتصاره سوى شك قليل، ولكنهُ رضي بما حققهُ ولم يتحرك باتجاه الكوفة إلاّ بعد أن وصلهُ الخبر باستشهاد أخيه محمد وبذلك فقد سمح للمنصور أن يجمع إليه جنده ويلم أطرافه.

وحين ظهر إبراهيم بالبصرة وكان ذلك متوقعاً عند مستشاري المنصور لحاجة الثائر بالمدينة إلى ميدان آخر أكثر حيوية قرر المنصور أن يشحن البصرة بالجنود وان يشغل الأهواز عنه كونها الباب الذي يؤتى منهُ ريثما يعالج أمر الكوفة وقد نفذ المنصور رأي مستشاريه فأرسل إلى البصرة جنداً مع قائدين إلاّ إنهما لم يفعلا شيئاً بسبب تعاطف أمير البصرة مع إبراهيم فكانت العدة التي قدما بها على البصرة غنيمة باردة لإبراهيم.

وأما الأهواز التي بايعت إبراهيم الذي بعث احد قواده وهو المغيرة بن الفزع، وكان المغيرة فيما يبدو شجاعاً شديد القلب فاخذ الأهواز ونفي عنها أميرها محمد بن الحصين رغم وفرة عدد جندهُ إلاّ أن المنصور لم يلبث أن كتب إلى ابنهُ المهدي وهو في الري أن يبعث إلى الأهواز حازم بن خزيمة على رأس جيش لاستعادة الأهواز، وعبثاً حاول المغيرة بن الفزع أن يثبت بجنده القليل أمام زحف حازم بن خزيمة الذي عسكر بعيداً عن قصبة الأهواز في اثني عشر الف مقاتل فلما دخلها حازم أباحها لجنده ثلاثة أيام، فنهبوها وعاد المغيرة إلى البصرة فدخلها في اليوم الذي استشهد فيه إبراهيم.

وأما واسط التي وليها هارون بن سعد فقد ضم إليه إبراهيم جيشاً كثيراً فأخذها ولم يتخلف عنهُ احد من الفقهاء فوجه إليها المنصور عامر بن إسماعيل المسلمي في خمسة آلاف وقيل عشرين الف مقاتل فكانت بينهم وقعات انتهت إلى الموادعة حين شخص إبراهيم إلى الكوفة لملاقاة جند المنصور السائر إليه على أن يكونا مع الغالب، فلما استشهد إبراهيم انحدر هارون إلى البصرة فمات بُعيد دخولها على أن عامر المسلمي صالح أهل واسط على أن لا يقتل أحداً منهم بواسط، فكان جنده يقتلون كل من يجدونهُ من أهل واسط خارجاً منها[1].

وفي الكوفة التي وصفها مستشارو المنصور بأنها (قدر يفور سيكون المنصور طبقها لو نزلها) فكان أول إجراءاته أن نزل الكوفة وجعلها تحت وطأته، إلاّ إنهُ لم يكن إلاّ في معسكر ضئيل العدة والعدد، إلاّ أنهُ حاول أن يُرهب أهل الكوفة ويجعلهم يشعرون أنهم أمام أمر شديد فجعل جندهُ يطوفون في الكوفة كلها كل ليلة، وأمر منادياً ينادي: مَنْ أخذناهُ بعد عتمة فقد احل نفسه وكما كتب إلى عامله على الشام ان يحمل إليه جند الشام فكانوا يقدمون عليه إرسالاً وبعضهم على أثر بعض فكان إذا جن الليل أمرهم فرجعوا منكبين على الطريق فإذا أصبحوا دخلوا فلا يشك أهل الكوفة إنهم جند آخرين.

وبذلك استطاع المنصور أن يُخضع الكوفة تحت سيطرته فكان جند المنصور إذا اتهموا أحداً قتلوهُ ويأخذون خاتمه، ولكثرة ما قتلوا ذكروا أن رجلاً قال لابنه: والله لو لم يورثك أبوك إلاّ خواتيم من قُتل من أهل الكوفة لكنتَ أيسر الأبناء!![2].

ويبدو أن إبراهيم قنع بما احرزهُ في البصرة فلم يبادر المنصور وهو في قلة من جندهِ إنما منحهُ فرصة أغتنمها المنصور ببراعة وسرعة وبدأ يجمع لحرب إبراهيم، فلما بلغهُ خروج محمد وجعفر أبني سليمان من البصرة حتى وجه إليهما جنداً مع قائدين وأمرهما أن يحبساهما وان يعسكران معهما.

وكتبَ المنصور إلى الرواندي وكان في ألفي جندي وامرهُ بالعودة لمقاتلة إبراهيم فلما وصل قرية باحمشا[3] اعترض أهلها وقالوا لحرب الرواندي: لا ندعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم فقاتلهم فأبادهم وحمل منهم خمسمائة رأس فقدم بها على أبي جعفر المنصور الذي اعتبر ذلك أول الفتح.

ولم يزل المنصور يجمع جنده ويلم أطرافهُ حتى إذا بلغهُ انتصار جيشه في المدينة واستشهاد محمد بن عبد الله النفس الزكية، وكتبَ إلى عيسى بن موسى أن يقدم ويدع كل ما هو فيه، ولم يلبث إبراهيم حتى عسكر من الغد واستخلف على البصرة أحد قوادهُ وخلف معهُ ابنهُ حسناً، غير أنهُ أزمع الشخوص نحو المنصور أشار عليه بعض قواده أن يقيم بالبصرة ويوجه إلى المنصور الأجناد فإذا هزم جند أمدّهم بجند، وإن هزم لك قائد أمددتهُ بقائد مخيف مكانك واتقاك

(1) تاريخ الطبري ج6 ص636.
(2) المصدر السابق ج7 ص631.
(3) باحمشا: قرية قريبة من بغداد من جهة تكريت.

عدوك وجبيت الأموال وثبتت وطأتك.

إلاّ أن الكوفيين اعترضوا على هذا الرأي على وجاهته، وقالوا: إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك وإلاّ يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتوك فلم يزالوا به حتى شخص وحين بلغ إبراهيم منطقة (كرختا) في طريقه إلى الكوفة عرض عليه عبد الواحد بن زياد بن لبيد، رأياً لم يأخذ به فقد قال عبد الواحد لإبراهيم: إنّ هذه بلاد قومي وأنا اعلم بها فلا تقصد قصد عيسى بن موسى وهذه العساكر التي وجهت إليك، ولكني أسلك بك إن تركتني طريقاً لا يشعر بك المنصور إلاّ وأنت معهُ بالكوفة فأبى إبراهيم، فعرض عليه عبد الواحد رأياً آخر قال لهُ: فانا معشر ربيعة أصحاب بيات فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتاً، قال إبراهيم: إني اكره البيات[1].

وفي رواية أبي الفرج: إنّ الزيدية اعترضت على رأي عبد الواحد، فقالت الزيدية: إنما البيات من فعل السّراق.

واعترضت أيضاً الزيدية على عودة إبراهيم إلى البصرة قائلين: أترجع عن عدوك وقد رأيتهُ؟؟

فقال عبد الواحد لإبراهيم: فخندق على عسكرك.

فقالت الزيدية: أتجعل بينك وبين الله جُنّة؟[2].

لقد حجبت الزيدية عن إبراهيم وجوه الرأي، ولو أن إبراهيم فعل مثل المنصور في استخلاص آراء الصفوة من ذوي الرأي والتجربة والتقدير لربما كان لثورته شأن غير الذي كان. إلاّ أن إبراهيم كان يعرض تلك الآراء على إفناء عسكره ثم يتبع ما اجمعوا عليه بدوافع من حماسة غير محسوبة النتائج ويبدو أن فكرة البيات راودت أكثر من واحد من قواد إبراهيم، قال الأصفهاني: إنّ المضاء بن القاسم التغلبي أراد أن يبيّت عيسى بن موسى فمنعهُ بشير الرحال[3].

على أن بشير الرحال حال دون تنفيذ رأي آخر اقترحهُ احد القادة في جيش إبراهيم لا يقل وجاهة مما ذكر، فقد ذكر عن سعيد بن هريم ان اباهُ قال: قلت لإبراهيم: إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة فأن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم لهُ بعدها قائمة ولي بعد بها أهل فدعني أسر إليها مختفياً فادعو إليك في السر ثم اجهر فأنهم ان سمعوا داعياً اليك اجابوهُ وان سمع المنصور الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان قال: فأقبل على بشير الرحال. فقال: ما تقول يا أبا محمد، قال بشير: لو إنا وثقنا بالذي تصف لكل رأياً ولكنا لا نأمن أن نجنبك منهم طائفة فيرسل إليهم المنصور خيلاً فيطأ البريء والصغير والكبير، فتكون قد تعرضت لأثم ذلك، ولم تبلغ منهُ ما أملت، فقلت لبشير الرحال: أخرجت حين خرجت لقتال المنصور وأصحابه وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل أو ليس كان رسول الله(ﷺ) يوجه السرية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟؟

فقال: إنّ أولئك كانوا مشركين كلهم وهؤلاء أهل ملتنا ودعوتنا وقبلتنا، وحكمهم غير حكم أولئك. فأتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن لهُ وسار حتى نزل باخمري[4] إلاّ أنّ الطبري يروي عن خالد بن أسيد الباهلي، أن سلم بن قتيبة الباهلي وهو احد قواد المنصور عرض على إبراهيم رأياً يشبه الرأي الذي عرضهُ عبد الواحد بن زياد حيث قال: أن سلماً أرسل إلى إبراهيم حكيم بن عبد الكريم: أنك قد اصحرت، ومثلك أنفس به عن الموت، فخندق على نفسك لا تؤتى إلاّ من مأتي واحد، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى المنصور عسكره فتخفف في طائفة حتى تأتيه فتأخذهُ بقفاهُ غير أن إبراهيم كعادته عرض هذا الرأي على أصحابه الذين أخذهم الحماس مأخذاً بعيداً عن تقدير النتائج وفق خطة محسوبة بدقة.

فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم، فنأتيه وهو في أيدينا متى أردنا.

فقال إبراهيم لحكيم: قد تسمع فأرجع راشداً[5].

على أن سلماً هذا عرض رأياً آخر حين تصاف المعسكران للقتال، إذ قال لإبراهيم بن عبد الله: أن الصف إذا انهزم بعضهُ تداعى، فلم يكن لهم نظام فأجعل عسكرك كراديس إذا انهزم كردوس ثبت كردوس إلاّ أن أصحاب إبراهيم تنادوا: لا إلاّ قتال أهل الإسلام، وقالوا: لانكون إلاّ صفاً واحداً كما قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾، وهكذا ضاعت الفرصة على إبراهيم على الرغم مما كان عليه من شجاعة وحصافة.

إلاّ أن المضاء بن القاسم التغلبي عرض عليه أثناء ذلك رأيا آخر لعلهُ آخر ما عرض على إبراهيم، فقد قال المضاء: إنّ هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع وإنما معك رجالاً عراة من أهل البصرة[6]، فدعني جابيته فوالله لاشتتن جموعه.

فقال إبراهيم: إني اكره القتل. فقال المضاء: تريد الملك

(1) تاريخ الطبري ج7 ص643.
(2) مقاتل الطالبيين ص296.
(3) المصدر السابق ص296.
(4) باخمري: موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة اقرب وتبعد ستة عشر فرسخاً من الكوفة.
(5) تاريخ الطبري ج7 ص644.
(6) كان جيش إبراهيم يقدر بأحد عشر الفاً وسبعمائة فارس والباقون من الرجالة بينما كان جيش عيسى بن موسى في خمسة عشر الفاً.

وتكره القتل؟

وهكذا حالت أخلاق ومثالية الثائر العلوي مرة أخرى دون تحقيق هدفهُ في النصر ووقف بجيشه الذي كان يغلبهُ الحماس وتنقصهُ الحنكة وعلى ميسرته بردَ بن لبيد اليشكري وعلى ميمنته عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وقيل كان على الميمنة عبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي، ووقف هو في القلب ومعهُ العلماء والفقهاء وأهل البصائر، وكان على مقدمة الجيش العباسي حميد بن قحطبة الطائي، ولم يلبث العسكران حتى بدأ القتال بينهما فخرج رجل من عسكر عيسى بن موسى فقال: يا أصحاب إبراهيم أنا والله قتلتُ محمداً- يقصد محمد ذو النفس الزكية- فخرج إليه أربعة رجال من عسكر إبراهيم كأنهم الصقور فبتروهُ بأسيافهم، قال الراوي: فوالله ما قلت خالطوه حتى رجعوا برأسه، والله ما نصرهُ احد من أصحاب عيسى[1].

وبدأ القتال بين الجيشين شديداً والتحم حميد بن قحطبة بجنده مع جيش إبراهيم إلاّ انهُ صُدم صدمة عنيفة اجبرتهُ على التراجع ثم الهزيمة، وظهر إبراهيم ظهوراً بيناً وقد أثرت هزيمة حميد بن قحطبة على بقية جند عيسى بن موسى الذي تفرق عنهُ الناس فلم يبقَ معهُ إلاّ نفر يسير، إلاّ انهُ ثبت في مكانه ولكن جندهُ هُزم هزيمة قبيحة حتى دخل أوائل المنهزمين الكوفة وتوالت أنباء الهزيمة على المنصور الذي أمر بأعداد الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها[2].

بيد أن تلك الهزيمة تحولت فجأة إلى هجوم كاسح يقودهُ حميد بن قحطبة الذي كان في أول المنهزمين، ويبدو أن المفاجأة أذهلت جند إبراهيم فتضعضعت صفوفهم ولم يلبث اندفاعهم أن تحول إلى تراجع غير منظم إلاّ أن إبراهيم ثبت في القلب وثبت معهُ بضعة مئات من أهل البصرة ثباتاً عجيباً.

لقد وردت روايات ذكرها المؤرخون في سبب ذلك التحول المفاجئ لكلا الجيشين: فقد ذكر المؤرخ اليعقوبي والطبري والأصفهاني كالآتي: عندما تقهقر جند عيسى وتبعهم أصحاب إبراهيم كان محمد بن أبي العباس في ناجية، فلما رآهم لف أعلامه وانهزم، واخذ على المسناة منهزماً وكان في المسناة تعريج فنظروا إليه وقد صار في طرفيها وبُعد عنهم فكان يتبين لهم انهُ خلفهم وانهُ كمين فصاحوا: الكمين، الكمين، فانهزموا، وجاء سهم بينهم فأصاب إبراهيم بن عبد الله فسقط فطلب من خاصته أن ينزلوهُ من فوق فرسه وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا امراً وارد الله غيره.

(1) أنساب الأشراف ج3 ص127، تاريخ الطبري ج7 ص142.
(2) مقاتل الطالبيين ص297.

واجتمع حوله بعض أصحابه وخاصته يحمونهُ ويقاتلون دونه، وشدد حميد بن قحطبة ورجاله الهجوم عليهم حتى اضطروا للانسحاب وتقدم مولى لعيسى بن موسى فأحتز رأس إبراهيم وحمله إلى سيده[3].

وفي رواية عيسى بن موسى نفسه، أن ابني سليمان جعفر ومحمد صمدا لإبراهيم حين انهزم الناس، فخرجا من ورائه ولا يشعر المندفعون بأعقاب جند عيسى حتى نظر بعضهم إلى بعض وإذا القتال من ورائهم فكروا نحوه وعقب عيسى وجنده في آثارهم راجعين. قال عيسى لمحدثه: فوالله يا أبا العباس، لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا فكان منَ صنع الله أن أصحابنا لما انهزموا اعترض لَه ذو ثنيتين مرتفعتين فحالتا بينهم وبين الوثوب ولم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم.

وفي ما نقلهُ المؤرخ اليعقوبي: إن مسلم بن قتيبة الباهلي خرج على أصحاب إبراهيم من ناحية بخيل فتوهموا كميناً فانهزموا وبقي إبراهيم في أربعمائة فحاربوا اشد محاربة[4].

ولعل ما نقلهُ اليعقوبي يطابق رواية عيسى بن موسى إذ كان سلم بن قتيبة احد قواد محمد وجعفر ابني سليمان.

وفي رواية (ابن عنبة في كتابه: عمدة الطالب) عن احد شهود المعركة:

لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم في آثارهم فنادى إبراهيم: لا تتبعوا مدبراً، فكرت الرايات راجعة، فرآها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا، فكروا في آثارهم وكانت الهزيمة[5].

ولئن صحت رواية ابن عنبة، فأن إنسانية العلويين قد تغلبت مرة أخرى فخسروا قضيتهم كما يقول صاحب كتاب مختصر تاريخ العرب[6].

وأما إبراهيم فقد ثبت في القلب وثبت معهُ أربعمائة أو خمسمائة من حماة اصحابه يقاتلون دونه، ويذبون عنهُ إلاّ انهُ لم يلبث أن قُتل بسهم عاثر، وقد وصف بعض اصحابه لحظاته الأخيرة بصورة مختلفة ولعل أتم تلك الروايات التي تحدث بها (المفضل الضبي) الذي قص سيرة إبراهيم منذ ان كان متوارياً عندهُ في دارهِ حتى خروجه من البصرة متوجهاً إلى الكوفة وهي رواية فيها شيء من الإسهاب سجل خلالها الأبيات التي تمثل بها إبراهيم خلال مسيرهُ من المربد حتى باخمري حيث

(3) تاريخ الطبري ج7ص644، مقاتل الطالبيين ص298.
(4) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 264.
(5) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ص109.
(6) مختصر تاريخ العرب ص27.

قال: ثم ظهرت لنا جيوش المنصور مثل الجراد فتمثل إبراهيم بهذه الأبيات:

نُبئتُ أن بني خزيمة اجمعوا
امراً خلا لهم لتقتل خالداً
إنّ يقتلوني لا تصب أرماحهم
ناري ويسعى القوم سعياً جاهداً
أرمي الطريق وان رصدت بضيقه
وأنازل البطلَ الكَميّ الجاردا

فقلتُ: من يقول هذه الأبيات يا بن رسول الله؟

فقال إبراهيم: يقولها خالد بن جعفر بن كلاب يوم شعب جبلة وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميماً.

قال المفضل: وأقبلت عساكر المنصور، فطعن رجلاً وطعنهُ آخر، فقلتُ لهُ: أتباشر الحرب بنفسك وإنما العسكر منوط بك؟

فقال إبراهيم: إليك عني يا اخا بني ضبة كانَّ عويفاً أخا بني فزارة. كان ينظر إلينا في يومنا هذا، فأنشد إبراهيم قائلاً:

ألمت خناس والمامها — أحاديث نفس وأحلامها
يمانية من بني مالك — تطاول في المجد أعمامها
وإن لنا أصل جرثومة — ترد الحوادث أيامها
نردّ الكتيبة مَفْلولة — بها أفْنها وبها ذامُها

والتحمت الحرب واشتدت، فقال لي: يا مفضل: حركني بشيء فذكرت ابياتاً لعويف القوافي لما تقدم بشعره، فأنشدتهُ قولهُ:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما — أجدَّت بسير إنما أنت حالم
أبى كل حُر أن يبيت بوترهِ — وتمنع منهُ النوم إذ أنت نائم
أقول لفتيان كرام تروّحوا — على الجرْدِ في أفواههن الشكائم
قفُوا وقْفةً مَنْ يحْي لا يحز بعدها — ومن يُخترم لا تتبعهُ اللوائم
وهل أنت إن باعدت نفسك منهم — لتسلم فيما بعد ذلك سالم؟

فقال إبراهيم: أعد، وتبينتُ في وجهه إنهُ سيقتل، فتنبهتُ وندمتُ فقلتُ: أوغير ذلك؟ قال: لا بل عدْ الابيات، فأعدتها، فتمطى على ركابيه فقطعهما وحمل فغاب عني وأتاهُ سهم فقتلهُ وكان آخر عهدي به[1].

وهكذا استشهد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وذلك يوم الاثنين في (25/ذي القعدة/سنة 145هـ- شباط/762م)[2].

وهو ابن ثمان وأربعين سنة وبذلك انتهت ثورته التي استمرت منذ خرج إلى ان استشهد ثلاثة أشهر إلاّ خمسة أيام والتي تعتبر من اخطر الثورات على الخلافة العباسية[3].

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لحياة إبراهيم بن عبد الله، وظلت موقعة باخمري ماثلة في الأذهان تروي للأجيال قصة استشهاد احد زعماء العلويين وقد أُطلق على هذه الموقعة أسم بدر الصغرى.

وحسب العادة المتبعة أرسل رأس إبراهيم إلى المنصور الذي يقال انهُ بنى في قصرهِ حجرة مخصصة لجمع رؤوس العلويين المغلوبين. وهكذا حافظت الاسرة العباسية على تماسكها فوق جثث ودماء الضحايا الأبرياء ذلك التماسك الذي دام بعد موت المنصور ثلاثين عاماً[4].

ولما جيء برأس إبراهيم فوضع بين يدي المنصور بكى حتى سالت دموعهُ على خدي إبراهيم، ثم خاطب الرأس: أما والله إني كنتُ لهذا كارهاً، ولكنك أبتُليتَ بي، وأبتليتُ بك!!

ثم تمثل المنصور بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

وأمر المنصور برأس إبراهيم فنصب بالسوق في الكوفة، على أن المنصور لم يستطع أن يكتم ما بنفسه من إكبار وإجلال لشخصية إبراهيم، كما ذكر عن أحد موالي المنصور حيث قال: لما أتي برأس إبراهيم بن عبد الله وضعهُ بين يديه وجلس مجلساً عاماً وأذن للناس، فكان الداخل يشتم ويتناول إبراهيم فيسيء القول فيه، ويذكر منهُ القبيح التماساً لرضا المنصور، والمنصور ممسك متغير لونه حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال للمنصور: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما افرط فيه من حقك فأبدى المنصور رضاهُ على مثل هذا القول مما جعل سائر القوم الذين دخلوا على المنصور يقولون مثله[5].

---

(1) مقاتل الطالبيين ص322، الأغاني ج17 ص109.

(2) عمدة الطالب ص110، البداية والنهاية ج10ص95.

(3) العبر في خبر من غبر ج1ص200، عمدة الطالب ص110.

(4) الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ص210.

(5) تاريخ اليعقوبي ج2ص 265.

(*) الخشبية: سموا بذلك لأنهُ حينما استنجد محمد بن الحنفية بالمختار بن أبي عبيد الثقفي على عبد الله بن الزبير أرسل لهُ جيشاً وأفرجوا عن ابن الحنفية ومن معهُ، وساروا معهم إلى مأمنهم وقد سمى جند المختار هؤلاء بالخشبية لأنهم دخلوا مكة وبأيدهم الخشب كراهة شهر السيوف في الحرم، وقيل لأنهم أخذوا الحطب الذي أعدهُ عبد الله بن الزبير. وقيل لأنهم كانوا يحملون أعمدة من خشب بدلاً من السيوف في أيديهم. راجع: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري، ص21. وقد قيل بأن هذا كان تمشياً مع نصيحة محمد بن الحنفية في تجنب استعمال السلاح في الحرم. ويذكر البلاذري في الأنساب وابن الأثير في

وزيادة في إذلالهم وتهديدهم، صعد المنصور المنبر فخطبهم خطبة شديدة اللهجة تهددهم وتوعدهم فيها فقال: يا أهل الكوفة عليكم لعنة الله وعلى بلد انتم فيه، للعجب ببني أمية وصبرهم عليكم، كيف لم يقتلوا مقاتليكم ويسبوا ذراريكم ويخرجوا منازلكم سبأية خشبية(*)، فمن قائل يقول: جاءت الملائكة وقائل يقول: جاء جبرائيل وهو يقول اقبل حيزوم ثم عمدتم إلى أهل هذا البيت وطاعتهم حسنة فأفسدتموهم وانغلتموهم فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لاذلنكم[1].

لقد نهى إبراهيم جنده عن أن يتبعوا المدبرين من الجنود العباسيين مما أدى إلى هزيمة جنده ومصرعه، وعلى الرغم من أن ابا حنيفة النعمان قد بعث برسالة إلى إبراهيم جاء فيها: إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسرْ فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل فإنهُ لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الأموال ولم يتبع مدبراً، ولم يُذَفّف على جريح، لأن القوم لم يكن لهم فئة، ولكن سرْ فيهم بسيرة يوم صفين، فإنهُ سبى الذرية، وذفف على الجريح، وقسم الغنيمة لأن أهل الشام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم.

فغضب المنصور على أبي حنيفة النعمان لمناصرته لإبراهيم في ثورته فكتب المنصور لعيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمرهُ بإنفاذ أبي حنيفة إلى بغداد، فدعا المنصور أبا حنيفة إلى الطعام فأكل منهُ ثم استقى فسقي شربة عسل وكانت مسمومة فمات من غد ودفن في بغداد[2].

وفي أعقاب فشل الثورة والتي انتهت بقتل إبراهيم وبعض أتباعه أعلن عيسى بن موسى الأمان لكل من يلقي سلاحهُ لكن الأمان لم يطبق بصورة كاملة فقد قتل أتباع إبراهيم سواء من الذين سلموا أنفسهم أم الذين ألقت عليهم السلطة القبض بعدئذٍ، منهم المغيرة بن الفزع والي إبراهيم على الأهواز والذي هربَ إلى البصرة، فقتل فيها كما قتل عمرو بن شداد فيها أيضاً.

هذا وقد أثنى المنصور على عيسى بن موسى بعد قضائه على الثورة من خلال خطبة ألقاها على أهل الكوفة وبغداد قال فيها: إنّ عيسى بن موسى لم يزل مصيباً في رأيه سديداً في أمره ماضياً في عزمه كافياً فيما أسند إليه، ميمون النقيبة- أي المشورة والرأي- فيما استكفيتهُ مؤيداً بالنصر للأناة والصبر قد كفى الغائب فأحمدوا الله على ما وهب لكم من رأي أمير المؤمنين وأهل بيت نبيكم.

وبعد واقعة باخمري غادر الزعماء العلويون المدينة المنورة والبصرة بعد استشهاد محمد ذو النفس الزكية وأخيه إبراهيم ورحلوا إلى الكوفة حيث اختفوا شهراً، ولكن الربعي بن يونس حاجب المنصور فطن إلى مكانهم وقدم بهم ليمثلوا بين يدي المنصور فقال الربيع بن يونس: أين هؤلاء العلوية؟ أدْخِلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى.

فدخل الإمام الصادق(عليه السلام) والحسن بن زيد.

فقال المنصور موجهاً كلامه للإمام الصادق(عليه السلام): أنت الذي تعلم الغيب؟ فقال الإمام: لايعلم الغيب إلاّ الله. قال المنصور: أنت الذي يجبى اليك هذا الخراج؟

قال الإمام: إليك يجبى -يا أمير المؤمنين- الخراج.

قال المنصور: أتدرون لمَ دعوتكم؟

قال الإمام: لا.

قال المنصور: أردتُ أن اهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، واعقر نخلكم وأترككم بالسراة، لايقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق، فإنهم لكم مفسدة.

قال الإمام: يا أمير المؤمنين، إنّ سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك النسل.

فتبسم المنصور وقال: أعد عليّ. فأعاد الإمام الكلام.

فقال المنصور: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم، ووهبتُ لكم جرم أهل البصرة. فقال المنصور: أي البلاد أحب إليك؟

قال الإمام: المدينة المنورة[3].

لم يجد الإمام(عليه السلام) بداً من مقابلته وهو بتلك الحالة من الحقد والغضب عليه إلاّ بهذا الأسلوب الهادئ اللين الذي هو من ابلغ ما يمكن أن يكون في مثل هذه الحالات.

لقد أراد الإمام(عليه السلام) أن يضع حداً لغضب المنصور فقال لهُ

الكامل في رواية غير موثوقة أنهم سموا بالخشبية لأنهم أخذوا الأعمدة الخشبية التي كانت قد جمعت من قبل عبد الله بن الزبير لحرق ابن الحنفية وأتباعه. راجع: أنساب الأشراف ج5 ص231، الكامل في التاريخ ج 4 ص207، وحقيقة كون محمد بن الحنفية ضد استخدام العنف دائماً وأنّهم فقط عند دخولهم الحرم أخفوا السيوف يجعلنا نفضل التفسير الأول. وهناك رواية أخرى تذكر أن جيش إبراهيم الأشتر الذي قاتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام هو الذي كان يسمى بالخشبية. فيذكر كل من ابن قتيبة وابن رسنه والمقدسي: بأن معظم جيش إبراهيم هذا كانوا يحملون أعمدة خشبية ولهذا السبب سموا خشبية. راجع الكتاب القيمّ للدكتور عبد الأمير الدكسن (الخلافة الأموية) ص112.

(6) سياسة المنصور الداخلية والخارجية ص319.

(2) مقاتل الطالبيين ص315.

(3) مقاتل الطالبيين ص302.

ما مضمونهُ: إنّ الله إذا أنعم على عباده استحق شكرهم كما شكره سليمان على نعمه وأنت محاط بنعم الله من جميع جوانبك، والتنكيل بالأبرياء وعلى الظنة والتهمة كفر وجحود لنعم الله، وإذا كنتَ تراني بلاء عليك فلو صبرت على هذا البلاء كما صبر أيوب على أسوأ أنواع البلاء تنال أجر الصابرين، وإذا كنت تراني ظالماً لك فلو أقتديت بيوسف وعفوك كما عفا عمن ظلمهُ كان ذلك اقرب للتقوى والله يحب المحسنين.

لقد أثار استشهاد إبراهيم وأخيه محمد في نفس الإمام الصادق(عليه السلام) ما أثارهُ في نفوس الكثيرين، قضى الإمام الصادق(عليه السلام) وهو يتلوى من الألم على مصير الإسلام وعلى ما حل بالمسلمين من الويلات والمصائب وهو لا يملك سبيلاً لإنقاذهم مما يعانون فآثر بالثورة وقادها بنفسه على الظلم والطغيان والانحراف، ولكن ثورة الإمام الصادق(عليه السلام) ثورة علمية بيضاء ليست حمراء ولم تكن بقوة السلاح كغيرها من الثورات التي كانت تحدث هنا وهناك بين الحين والآخر، بل كانت بنشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى التحلي بالخلق الإسلامي الرفيع الذي يفرض على المسلمين اجتناب المعاصي والمنكرات وحسن الصحبة والجوار والتعاون على المكاره والعمل لخير الناس أجمعين، وأرد من أصحابه أن يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس إلى هذه الخصال الحميدة بأعمالهم قبل أقوالهم فكان(عليه السلام) يقول لأصحابه: مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، فأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا أجلاً ولم يبعدا رزقاً.

إذن لماذا آثر الإمام الصادق(عليه السلام) السكوت ونشر مذهب أهل البيت على أن يقوم بالثورة؟

الجواب: لقد كان الإمام الصادق(عليه السلام) يعلم بحرص الأمويين على طمس آثار أهل البيت وفقههم وبلغ من حرصهم أن رفعوا من شأن بعض الفقهاء وتركوا لهم أمر الإفتاء وبيان الأحكام أمثال (سليمان بن موسى الأشدق المتوفى سنة 119هـ) و(عبد الله بن ذكوان المتوفى سنة 130هـ) و(نافع مولى ابن عمر) و(سليمان بن يسار) الذي كان ملازماً لقصورهم وقد فرضوهُ على المدينة و(مكحول مولى بني هذيل) و(أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى بني مخزوم) و(سليمان بن طرخان) و(إسماعيل بن خالد البجلي) و(عكرمة مولى ابن عباس) و(ابن شهاب الزهري) وغير هؤلاء الموالي الذين قربوهم وفتحوا لهم صدروهم وخزائنهم ولم يسمحوا لأحد أن يحدث عن أهل البيت أو يسند لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ولغيره من ولده الأئمة(عليهم السلام) رأياً في الفقه أو في غيره من المواضع الإسلامية، مما سبب ضيقاً وإحراجاً لكثير من الفقهاء الذين كانوا لا يرون لفقه علي بن أبي طالب وأبنائه بديلاً.

ولعل بعض من عرفوا بفقهاء الرأي كانوا يفتون برأيه وينسبون الفتوى لانفسهم من دون أن يذكروا لها سنداً من مرويات الصحابة أو آرائهم ولا يجرؤون على إسنادها لعلي(عليه السلام) خوفاً من سياط الجلادين وسيوفهم المسلولة على الرقاب فعدوهم لذلك من فقهاء الرأي، ولما أتيح للإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) أن يحدثا عنهُ وعن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وينشرا فقه وآثار الإسلام توافد العلماء وطلاب العلم عليهما في المدينة المنورة من كل جانب ومكان سيما وقد شهد عصرهما نهضة علمية شملت جميع أطراف الدولة وصراعاً عقائدياً كانت وراءه أيد خفية تحاول تشويه أصول الإسلام وتحريفها بما يسيء إلى الإسلام ولا يخدم إلاّ أعداء الإسلام، وكان الرابح الأكبر من ذلك الصراع الذي فرق المسلمين إلى شيع وأحزاب أولئك الحكام الذين يهمهم أن ينصرف المسلمون عن ظلمهم وجورهم وطغيانهم إلى هذا اللون من الصراع مهما كانت النتائج[1].

أما نشاط الإمام(عليه السلام) فتتمثل في مجالات نشر الفكر الإسلامي وتعميق مبادئه ونشر أحكامه وكانت مباشرتهُ لنشر الفكر الإسلامي تتمثل:

1- نشر مفهومات العقيدة وأحكام الشريعة وبث الوعي العلمي وتجنيد جمهرة من العلماء للقيام بتثقيف المسلمين وقد أفتتح الإمام(عليه السلام) معهداً من اكبر المعاهد الإسلامية في عصره واختار يثرب مركزاً لمعهده وجعل الجامع النبوي محلاً لتدريس محاضراته التي خاضَ فيها في جميع العلوم.

2- فتح باب التخصص في الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات والكيمياء ووضع القواعد لمسائل الأصول والفقه ليربي بين تلامذته ملكة الاجتهاد والاستنباط من القواعد الأصولية التي جاءت عن الإمام مثل قاعدة البراءة والتخيير والاستصحاب وقاعدة اليد والفراغ والضمان وغيرها.

والإمام الصادق(عليه السلام) هدف بعمله العلمي هذا ثلاثة أمور هي:

- الأمر الأول: بناء قاعدة متينة للتشريع الإسلامي وركيزة قوة العقيدة الإسلامية وضمان بقاء الإسلام.

- الأمر الثاني: تصحيح المفهومات الخاطئة والأحاديث المكذوبة.

- الأمر الثالث: مقابلتهُ للتيارات الغربية الفاسدة التي أوجدتها الأوضاع السياسية الفاسدة ونتيجة لظهور الفكر الأجنبي عن طريق ترجمة الكتب الإغريقية والفارسية والهندية

(1) سيرة الأئمة الاثني عشر ج2 ص254.

فقد قاوم الإمام جميع الفئات التي ظهرت وصارعهم على صعيد العلم.

وفي أثناء تلك الأيام عَرَفَتَ المساجد وندوات العلم في المدينة المنورة الإمام وهو يتفكر في خلق السموات والأرض بكل ما أتيح لهُ من معرفة وإشراق روحي وهو يرفض الاشتغال بالسياسة وعلى وجهه شعاع من نور النبوة وأدى عكوفهُ على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي إلى أن يؤمن عن إقناع وتدبر وتفكر في ظواهر الحياة والكون فهي دليلهُ إلى الإيمان وبوحدانية الله، هداهُ هذا التفكير إلى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب وعلم النبات والأدوية لأنها علوم تحقق مصالح الناس وتحرر الفكر وتهديه إلى الإيمان العميق والحق الراسخ وجذب أصحاب العقول الذكية إلى الإسلام.

ولما كان دور الإمام الصادق(عليه السلام) دور علم ومعرفة لذلك فقد أزدهرت العلوم الدينية وأتسع نطاق العلم وازدحم مجلس الإمام وكثر روادهُ بالعلماء حتى إن طلابهُ وصلوا إلى أربعة الآف من مشهوري العلم، وقد تتلمذ على يديه العالم العربي جابر بن حيان وأبو حنيفة النعمان، وأبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين بن سنسن، وجابر الجعفي وغيرهم الكثير.

وقد صنفوا كتباً كثيرة في الحديث كانت تسمى الأصول عرف منها أربعمائة أصل ثم جمعت ونقحت في أربع موسوعات في جميع أحاديث أبواب الفقه وما يلحق به، ومن هذه الكتب:

1- كتاب الكافي والذي يشمل على (16199) الف حديث.

2- كتاب مَنْ لايحضرهُ الفقيه المشتمل على (9044) الف حديث.

3- كتاب التهذيب المشتمل على (13590) الف حديث.

4- كتاب الاستبصار المشتمل على (5511) الف حديث.

وهذه الكتب الأربعة تعتبر من أهم الكتب التي أُلفت في التاريخ الإسلامي والحضارة العربية وإن كانت هناك العشرات من الكتب[1].

وكان عبد الله بن الحسن وآله لايزالون في سجن المنصور بعد مقتل محمد النفس الزكية وإبراهيم، وقد تناقص عددهم إذ مات كثير منهم في ذلك السجن المظلم غير صحي فبلغ عدد منْ بقي منهم خمسة وأمر المنصور حاجبهُ الربيع بن يونس بحمل رأس إبراهيم إلى أبيه عبد الله وهو في السجن فأخذ عبد الله رأس أبنهُ ووضعهُ في حجره وقال: أهلاً وسهلاً يا ابا القاسم، والله لقد كنتَ منْ الذين قالَ الله عزوجل فيهم ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ** (20) **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ** (21)-الرعد﴾.

ثم قال عبد الله للربيع: قلْ لصاحبك قد مضى منْ بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام، والملتقى يوم القيامة. ونقل الربيع هذا القول إلى المنصور، ويصف الربيع وقع هذه الكلمات في نفس المنصور فيقول: فما رأيتُ المنصور قط أشد إنكساراً منهُ في الوقت الذي بلغته فيه هذه الرسالة[2].

فمات عبد الله بن الحسن في سجنه ومعهُ الكثير من آله وبقي المنصور طوال مدة خلافته غير راض عنهم وعمن شهر السيف معهم ومن أفتى لهم من الفقهاء بالخروج عليه ومنهم أبو حنيفة النعمان، والفقيه عبد الحميد بن جعفر، وابن عجلان في البصرة ومالك بن أنس في المدينة وقد أصيب هؤلاء كلهم بأذى منهم.

أصحاب وأنصار ثورة إبراهيم بن عبد الله

كان ممن خرج مع إبراهيم بن عبد الله، كل من عباد بن العوام، والحجاج بن الورد العتكي، وابن داود الطهوي، وهارون بن سعد، ويزيد بن هارون، وهشيم بن بشير، والعلا بن راشد الواسطي، والعوام بن حوشب بن يزيد بن رويم، وأسامة بن زيد، وليطة بن الفرزدق، وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، وأبو خالد الأحمر سليمان بن يونس بن حيان، ويونس بن إسحاق، وحمزة بن عطاء البرني وخليفة بن حسان الكيال.

وممن خرج معهُ من المحدثين والفقهاء: عبد الله بن جعفر المدائني، عبد الواحد بن زياد العبدي ابو بشير، أيوب بن سليمان، وابو العوام القطان، عمران بن داود، وإبراهيم الازرق، وعباد بن منصور، وسليمان بن مهران الأعمش الفقيه والمحدث، ومسعود بن كدام بن ظهير الهلالي، وصالح المروزي، وشعبة بن الحجاج. وأمثال هؤلاء من الفقهاء والمحدثين وأهل العلم والورع والتقوى كثيرون[3].

أن هذا العدد الكبير من الفقهاء على إختلاف مذاهبهم يؤكد إن هناك اجماعاً على تأييد ثورة إبراهيم بن عبد الله فنرى فيهم الشيعي الزيدي الذي كان يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشهار السيف بوجه الحاكم الجائر، وفيهم الشيعي الذي كان يتبع الإمام الصادق(عليه السلام) الذي لم يرَ الكفاح المسلح

(1) في رحاب الإمام الصادق(عليه السلام) جريدة الفرات، العدد 108، ص4، بحث للمؤلف، النجف، 2001.

(2) مروج الذهب ج3 ص310.

(3) تاريخ الطبري ج7 ص634، مقاتل الطالبيين ص163.

وسيلة ناجحة فانصرف إلى العلم وتأسيس مذهب يحفظ للمسلمين من مبادئ الدين.

ومما لاشك فيه فان الذي جمع هذه الأطراف هو شخصية إبراهيم المعتدلة وما كان عليه من نزاهة وما أشتهر به من عبادة وعلم، ومن خلال سيرتنا مع تحركاته لم نجدهُ يدعو إلى إمامة أسرته وفق مذهب معين وإنما كانت دعوته إلى إمامة آل الرسول(ﷺ) تشبه إلى حد ما دعوة القرشيين بعيد وفاة رسول الله(ﷺ) إلى ضرورة أن تتولى عشيرة النبي(ﷺ) ما كان يتولاهُ من أمور المسلمين وان استجابة هذا الحشد من الفقهاء كان على أساس انهُ من أسرة الرسول(ﷺ) الكريم التي ينظر إليها الناس على اختلاف مذاهبهم في الإمامة وشرائطها بمنظار الإجلال والاحترام، خاصة عندما يكون الداعي إلى نفسه منهم، من يحمل مبادئ الرسول(ﷺ) صافية مستقيمة ويدعو إلى تطبيق مفهوم العدل الاجتماعي في الإسلام مثلما عرفهُ الإمام علي(ﷺ) وحاول تطبيقهُ بصورة قلّ نظيرها في التاريخ. حتى أصبح رمزاً لكل الفئات المضطهدة في تاريخ الدولة الإسلامية حتى وفاته تلك المفهومات التي يحاول حفيدهُ الآن تطبيقها ثانية حين أعلَن: إنّ هي إلاّ سيرة علي بن أبي طالب(ﷺ) أو النار.

عوامل إخفاق ثورة الأخوين محمد ذو النفس الزكية وأخيه إبراهيم

وهكذا رأينا نهاية ثورة محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم، واستشهد الزعيمان الأخوان، ولنا أن نسأل عن العوامل التي أدت إلى إخفاق هاتين الثورتين الشيعيتين على الرغم من قوتهما وخطورتهما وإتساع انتشارهما في كثير من الأمصار الإسلامية، وإقبال كثير من المسلمين على تأييدهما ومؤازرتهما، فقد انتشرت الدعوة للأخوين في الحجاز والعراق وخراسان ومصر وبلغ جند محمد النفس الزكية مائة الف كما أحصى ديوان إبراهيم بالبصرة مائة الف أخرى[1].

قامت الثورتان في فترات حرجة من فترات حكم الدولة العباسية فقد واجه المنصور كثيراً من الفتن والاضطرابات الداخلية وفي مقدمتها محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، وعداء أبي مسلم الخراساني، كما واجه المنصور ايضاً الفتنة التي أثارها عمهُ عبد الله بن علي وانضم إليها كثير من المناوئين لخلافة المنصور، كما ثارت في عهد المنصور حركات الزنادقة التي هددت كيان الدولة العباسية إلى جانب استمرار الخوارج وترقب بني أمية الفرصة للانتقام والثأر، فضلاً عن المشكلات الخارجية مع الدولة البيزنطية والحركات الفارسية لذلك يمكن أن نصنف العوامل التي أدت إلى إخفاق الثورتين إلى أربعة عوامل هي: عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية.

أولاً: العوامل العسكرية:

من العوامل المهمة في إخفاق ثورتي محمد وإبراهيم هي فشل الخطط الحربية التي اتبعاها في قتالهما لجيوش المنصور فقد اهتم العباسيون بجيوشهم ويرجع هذا الاهتمام إلى سنة (100هجرية) حين بدأت الدعوة العباسية ومضى التنظيم الحربي جنباً إلى جنب مع التنظيم السياسي وأثبتت الجيوش العباسية مقدرتها وتفوقها خلال حروبها مع الجيش الأموي، وزاد الاهتمام بالقوات العسكرية في عهد المنصور فقد جند ألافاً من أهالي خراسان وفارس الذين اشتهروا بصحة الأبدان وجمال المظهر والقدرة وأصبح للمنصور عدة جيوش يوجهها إلى ميادين عدة في الداخل والخارج.

فقد انتصر المنصور بهذه الجيوش على عمه عبد الله بن علي الذي أعلن الثورة ضد المنصور لطمعه في الخلافة وانضمت إليه العناصر العربية الساخطة على العباسيين لاعتمادهم على العناصر الفارسية، ونجح الجيش العباسي بقيادة أبي مسلم الخراساني من إخماد الثورة سنة (136هـ)[2].

وانتصر على حركات الزنادقة وغيرها من الحركات السياسية واستعان المنصور بقواد مهرة على جانب كبير من الكفاءة الحربية، بل لم يجد المنصور حرجاً في الاستعانة ببعض قادة الجيوش الأموية مثل معن بن زائد الشيباني.

كان جديراً بمحمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم أن يضعا من الخطط الحربية ما يحقق لثورتهما النجاح والفوز ولكن أثبتت سير المعارك ونتائجها عكس ذلك، فقد أعلن محمد النفس الزكية ثورته فجأة من دون أن يضع خطة سياسية وحربية ينتهجها وتوصلهُ إلى ما كان يأمل هو وأنصارهُ من انتصار. فلم يكن محمد يملك جيشاً مستعداً مزوداً بحاجته من السلاح، وظل مقيماً في المدينة حتى قدمت عليه الجيوش العباسية بقيادة عيسى بن موسى وحميد بن قحطبة فاتخذ سياسة الدفاع بدلاً من سياسة الهجوم، على الرغم من أن السياسة الأخيرة أكثر جدوى وفعالية وخاصة أن عيسى بن موسى كان قد أجل الهجوم أياماً حتى انتهى شهر رمضان، وعسكر خارج المدينة وكان يمكن لمحمد النفس الزكية أن يبادرهُ بالهجوم ولكنهُ ظل مقيماً في المدينة مما شجع عيسى على أن يحيد عن الأنظار لما بعد رمضان ويسارع بالهجوم على المدينة. جعل محمد ذو النفس الزكية حفر خندق حول

(1) مقالات الإسلاميين ج1 ص29.

(2) مروج الذهب ج3ص 322.

المدينة أساساً لخطته الحربية الدفاعية متشبهاً في ذلك بما فعلهُ الرسول(ﷺ) حينما غزت الأحزاب المدينة وان كانت خطة الرسول(ﷺ) قد نجحت إلاّ أن الظروف كانت مختلفة كما ان العناية الآلهية تظلل الرسول(ﷺ) واصحابهُ وتعُينهم على المشركين، كانت فكرة حفر الخندق حول المدينة لاتجدي شيئاً ولا تحول دون اجتياز الجند العباسيين الخندق فقد كان معظم هؤلاء الجند من الفرسان وتستطيع خيولهم اقتحام الخندق والوصول إلى المدينة بينما كان معظم جند محمد النفس الزكية من الرجالة وقد فطن بعض أصحاب محمد إلى هذه الحقيقة وأشاروا عليه بالعدول عن حفر الخندق، فقال أحدهم: لا تخندق الخندق فأن رسول الله(ﷺ) خندق خندقهُ لما لله أعلم به، فأنك إن خندقتهُ لم يحسن القتال رجاله ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم. وأصر محمد على رأيه وقال: إنما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله-ص-فلا يردني عنهُ احد فلستُ بتاركه.

ونجح العباسيون في اجتياز الخندق ودارت المعارك في طرقات المدينة واختلط الحابل بالنابل ودب الذعر في القلوب، وأنشغل جند محمد بحماية ذراريهم، وخرجوا بهم إلى الجبال، وأمر محمد احد أصحابه بإعادتهم فرد من قدر عليه منهم فأعجز كثير منهم فتركهم[1].

وكان جديراً بمحمد النفس الزكية في هذا الموقف الحرج ان يجمع أشتات جنده ويبث الحمية في قلوبهم ويعيد تنظيم صفوفهم على الصمود والاستمرار في النضال، ولكنهُ ألقى خطبة على جنوده سمح فيها لجنده بالتفرق والنجاة بأنفسهم فخطب قائلاً: يا أيها الناس، إنا قد جمعناكم لقتال وأخذنا عليكم المناقب، وان هذا العدو منكم قريب وهو في عدد كثير والنصر من الله والأمر بيده وانهُ قد بدا لي أن آذن لكم واخرج عنكم المناقب فمن أحب أن يقيم أقام ومن أحب أن يظعن ظعن فخرج عالم من الناس بذرايهم وأهليهم إلى الأعراض والأعجاز. مما أضعفت المعنويات لدى جيشه.

لم يحكم محمد النفس الزكية خطتهُ الحربية، فكان جديراً به أن ينظم طريقة الانسحاب إذا كانت نتيجة القتال في غير صالحه وكان الطريق الطبيعي للانسحاب هو الطريق إلى مكة فكان عليه أن يؤمنهُ وقد أدرك القائد العباسي عيسى بن موسى هذه الحقيقة فرأى أن يسبق محمداً النفس الزكية في السيطرة على طريق مكة، فأصدر أوامر لأحد قوادهُ فقال: جاءتني العيون تخبرني ان هذا الرجل -يقصد محمد ذو النفس الزكية-في ضعف، وأنا أخاف أن ينكشف وقد ظننتُ ألاّ مسلك لهُ إلاّ إلى مكة، فأضم إليك خمسمائة رجل فامض بهم معانداً عن الطريق حتى تأتي الشجرة فتقيم بها.

ووقفت العوامل الطبيعية مع الجيش العباسي وتخلت عن جيش محمد النفس الزكية فقد هطلت الأمطار مدراراً بما جعل مهمة جند محمد عسيرة فقال محمد لاخته قبيل المعركة: إني في هذا اليوم على قتال القوم فان زالتَ الشمس وأمطرت السماء فأني اقتل وان زالت الشمس ولم تمطر السماء وهبت الريح فأني أظفر بالقوم[2].

ومن عوامل إخفاق ثورة محمد النفس الزكية، هي استعانة المنصور بجند من خراسان الذين كانوا جفاة غلاظ الأكباد، أثارت قسوتهم وغلظتهم الرعب بين أهالي المدينة.

وكان المنصور قد وزع قواهُ الحربية إلى فرق أغلبيتها عربية من ربيعة واليمن ومضر، وبعضها من الفرق الخراسانية عليها قادة من العرب وبعض الموالي المقربين إليه ولكن المنصور شاء أن يوجه بفرقة الخراسانية لقتال محمد النفس الزكية وقد حققت النجاح المرجو.

وأدى إخفاق الخطط الحربية التي انتهجها محمد إلى نهايته الحزينة والمؤلمة، كان الحال كذلك بالنسبة لأخيه إبراهيم، فقد إصر إبراهيم على الخروج بنفسه لقتال الجيوش العباسية ونصحهُ بعض خاصته بالبقاء في البصرة وإنفاذ جيوشه لقتال العباسيين فقالوا لهُ: أصلحك الله انك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ووجّه الأجناد، فأن هزم لك جند أمددتهم بجند وان هزم لك قائد أمددته بقائد مخيف مكانك واتقاك عدوك، وجبيت الأموال وثبتت وطأتك.

ولكن أهل الكوفة نصحوهُ أخرى، فحثوهُ على الخروج إلى الكوفة فقالوا: أصلحك الله إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك واخذ إبراهيم بالنصيحة الثانية ونسى ما كان من وعود الكوفة للزعماء العلويين طوال العصر الأموي تلك الوعود التي تبخرت وتبددت مما أدى إلى أن يلقى هؤلاء الزعماء حتفهم على أيدي الجيوش الأموية.

ولم تكن البصرة في الحقيقة هي المدينة المثلى التي تقوم فيها ثورة علوية شيعية فقد اشتهرت البصرة طوال تاريخها بأنها عثمانية أحياناً وأموية أحياناً أخرى ولعل البصرة وجدت في ثورة إبراهيم متنفساً لها تعبر بها عن سخطها على الحكم العباسي[3].

---

(1) تاريخ الطبري ج6 ص209.

(2) مقاتل الطالبيين ص239.

(3) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج2 ص179.

وبدأ إبراهيم زحفهُ نحو الكوفة فاقترح عليه احد أصحابه ويدعى هريم ان يبعث برجاله إلى الكوفة لأعلام أهلها بقدومه ولدعوتهم إلى الثورة فواجه المنصور الذي كان يقيم على أطراف ثورة داخلية، ثم يواجه جيوش إبراهيم، وسأل إبراهيم رجلاً آخر من أصحابه وهو بشير الرحال عن رأيه فرفض الفكرة وقال: إنا لو وثقنا بالذي تصف لكان رأياً. ولكنا لانأمن أن تجيبك منهم طائفة، فيرسل إليهم المنصور خيلاً فيطأ البريء والنطف والصغير والكبير فتكون قد تعرضت لما تم ذلك ولم تبلغ منهُ ما أملت.

فقال هريم: أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل، أو ليس قد كان رسول الله(ﷺ) يوجه السرية فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟

فدافع بشير الرحال عن رأيه وقال: إنّ أولئك كانوا مشركين كلهم وهؤلاء ملتنا ودعوتنا وقبلتنا، حكمهم غير حكم أولئك.

وأتبع إبراهيم مشورة بشير الرحال وترك الاقتراح الأول، وقد كان أكثر نفعاً وجدوىً[1].

نزل الفريقان في باخمري وبدأت الاستعدادات لخوض معركة فاصلة وعرض قواد إبراهيم عليه ان يهاجم الجيش العباسي ليلاً، فيفاجئهُ ويلحق به الهزيمة فقال: إنّ هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مضرب الشمس من السلاح والكراع وإنّما معك رجال عراة من أهل البصرة فدعني أبيتهُ -أهاجمهُ- فوالله لاشتتن جموعهُ.

فرفض إبراهيم هذا الاقتراح وقال: إني اكره القتل.

فقال القائد: تريد الملك وتكره القتل.

وكان تنظيم جيش إبراهيم من عوامل إخفاقه وهزيمته في معركة باخمري فقد جعل إبراهيم جيشهُ صفاً واحداً وأشار بعض أصحاب إبراهيم عليه بترك هذا التنظيم فقالوا لهُ: إنّ الصف إذا انهزم بعضهُ تداعى فلم يكن لهم نظام، فأجعلهم كراديس فأن انهزم كردوس ثبت كردوس، ولكن فريقاً رفض هذا الاقتراح وصاحوا: لانكون إلاّ صفاً واحداً كما قال الله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** (4)-الصف﴾.

لحقت الهزيمة بجيش إبراهيم في موقعة باخمري وأراد الجند الانسحاب ولكن اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين، فحالتا بينهم وبين الوثوب ولم يجدوا بداً فكروا راجعين بأجمعهم.

ويروي الطبري: إنّ إبراهيم هو الذي جعل الماء خلف جيشه حتى إذا انهزم جندهُ منعهم الماء من الفرار[2].

ثانياً: العوامل السياسية:

من العوامل الأخرى لإخفاق الثورتين هي العوامل السياسية فقد واجه المنصور الثورتين بشجاعة ورباطة جأش، ولم يستبد المنصور برأيه حينما واجه الثورة بل لجأ إلى المشورة دائماً في كل موقف، فكان يستشير خاصته ورجاله على اختلاف مراكزهم وخبراتهم بل رأينا انهُ يبعث إلى عمه عبد الله بن علي وهو في سجنه يستشيره، وكان المنصور يناقش المشورات التي طرحت عليه ويقارن بينها ويقيسها بمقياس المنطق والظروف.

بينما لانجد في الروايات التاريخية التي نقلها المؤرخون إلينا لجوء محمد النفس الزكية وإبراهيم إلى الاعتماد على أهل المشورة، لقد رضخ محمد النفس الزكية إلى رأي بعض أصحابه الذين حثوهُ على التعجيل بإعلان ثورته على الرغم انه لم تكن قد توفرت لها بعد جميع مقومات النجاح والظفر حتى ان اخاهُ إبراهيم أبدى وجلهُ وألمهُ حينما وصلهُ كتاب أخيه محمد يعلن له فيه بنبأ خروجه كما أستجاب محمد إلى نصيحة مَنْ أشاروا عليه بالاستمرار في الإقامة في المدينة وعدم الخروج إلى مصر رغم حرج موقفه في المدينة مما ضيع فرصة ذهبية كانت تكتب لهُ النجاة من مصيره المؤلم[3].

تفوق محمد النفس الزكية وإبراهيم على المنصور من نواحٍ عدة فقد كان انتسابهما إلى بيت علي بن أبي طالب(ﷺ) وما إتصفا به من تدين وتقوى وعلم وفقه وسجايا كريمة من عوامل انتشار دعوتهما واتجاه قلوب ومشاعر الناس نحوهما فتفوق الأخوان على المنصور في إقبال الناس على تأييدهما دونه وفي غزو القلوب والنفوس وحشد الجيوش والقوات الكثيفة، ولكن المنصور تغلب عليهما بدهائه ومكره وبوسائله السياسية وخداعه فأنتصر عليهما.

أختفى محمد النفس الزكية عن أنظار المنصور لسنوات عدة وحاول الوقوف على مكان اختفائه وسلك في سبيل ذلك كل المسالك فبذل الوعود وجرب الوعيد والتهديد وغيّر الولاة ورحل إلى الحجاز عدة مرات وقبض على عبد الله بن الحسن وآله، وأضطهدهم وعذبهم فلم يُجدِ ذلك فتيلاً وكان المنصور يعلم انهُ كلما طالت مدة اختفاء محمد النفس الزكية زاد قوة،

(1) تاريخ الطبري ج6 ص261.

(2) تاريخ الطبري ج6 ص207.

(3) تاريخ الطبري ج6 ص261.

وزادت دعوتهُ انتشاراً، ولذا رأى المنصور ان من مصالحه أن يعجل بظهور محمد وبإعلان ثورته قبل أن تتضح وتاتي أكلها كما أراد المنصور أن يُشّعر محمد بقوته واتساع نفوذه حتى يظهر على الملأ فيمكن للمنصور مواجهته والقضاء على ثورته وهي لاتزال في المهد وفي أول الطريق. وتحقيقاً لهذه السياسة اتخذ المنصور الدهاء والحيلة والمكر سبيلاً فكان المنصور يزّيف كُتُباً يزعم انها واردة من قواده وانصاره وقد كتبوها إلى محمد النفس الزكية يدعونهُ فيها للظهور وإنهم ينبذون طاعة المنصور ويعدون محمداً بالولاء والطاعة إن هو أعلن ثورته مما جعل محمداً يظن انهُ إن أظهر أمرهُ سارع قواد المنصور ورجاله بالانضمام إليه.

يروي الطبري: كان المنصور يكتب إلى محمد عن ألسن قوادهُ يدعونهُ إلى الظهور ويخبرونهُ أنّهم معهُ فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم[1].

لقد أوعز المنصور إلى قائده حميد بن قحطبة أن يخدع محمد النفس الزكية فيتظاهر بطاعته والولاء لهُ وقام حميد بدور بارز في الصراع الذي دار بين محمد والمنصور فقد تولى قيادة احد الجيشين اللذين بعثهما المنصور إلى المدينة لقتال محمد وكان محمد يعتمد على ما ابداهُ حميد من ولاء. ولذا ابدى محمد تعجبهُ من استمرار حميد في طاعة المنصور وفي استبساله في قتال أهل المدينة.

فقال محمد النفس الزكية لحميد: ألم تُبايعني، فما هذا؟!

فقال حميد: هكذا نفعل بمن يفشي سرهُ إلى الصبيان[2].

ومن سخرية الأقدار أن يكون مصرع محمد النفس الزكية على يد حميد بن قحطبة وقد قام حميد باحتراز رأس العلوي الشهيد وحمله إلى عيسى بن موسى ثم إلى المنصور.

كان المنصور قد استدعى الإمداد من بلاد الشام فكان يقدم عليه في كل يوم نفر قليل لايزيد عددهم على عشرة نفر ولكن المنصور رسم طريقة دخولهم إلى الكوفة بحيث يشعر أهلها أن الإمدادات تتدفق على المنصور من كل صوب فكان هؤلاء الأشخاص. يدخلون من احد أبواب الكوفة حتى إذا اجتازوا طرقاتها عادوا للدخول مرة أخرى من باب آخر.

وظل المنصور حتى اللحظة الأخيرة متمسكاً بحقه في الخلافة يصور نفسه على انهُ صاحب الحق الشرعي وان محمداً النفس الزكية ثائر خارج على الطاعة وحينما اقتحمت الجيوش العباسية خطب: يا أيها الناس أن هذا الرجل -أي عيسى بن موسى- قد قرب منكم في عدد وعدة وقد حللتم من بيعتي فمن أحب المقام فليقم ومن أحب الانصراف فلينصرف... وقد مرت علينا في الصفحات السابقة.

لقد فسر بعض الكتاب هذه الرسالة نوعاً من اليأس في قلب محمد مما اثر على انصاره وهذا صحيح فعندما يشاهد الجنود قائدهم منكسراً يبدو عليهم الضعف وبالتالي الخسارة وهذا شيء ينطبق على محمد وغيره من الزعماء والقادة.

ولعل من ابرز عوامل إخفاق ثورة محمد وأخيه إبراهيم هو تعجله في الظهور وقيامه بالثورة قبل أن تتوفر لها إمكانيات النجاح وقبل إرساء دعائم وطيدة تحقق لها النصر ويبدو أن عبد الله بن الحسن كان يعلم رغبة ولديه محمد وإبراهيم في التعجيل بالقيام بالثورة.

وكان ينصحهما دائماً بالصبر والتريث.

وكان محمد نفسه يدرك حينما أعلن ثورته انهُ لم يحن بعد الأوان ولكنهُ رضخ لإلحاح خاصته وأصحابه الذين دفعوهُ دفعاً إلى إظهار أمره، فقالوا لهُ: ما تنتظر بالخروج، والله ما تجد هذه الأمة أحداً أشأم منك عليها، وما يمنعك ان تخرج ولو لوحدك.

ويشير الطبري إلى خروج محمد قبل أن يأخذ للأمر أهبتهُ فيقول: إنّ محمداً أخرج، فخرج قبل وقته الذي فارق عليه اخاهُ إبراهيم، وقد مرّ علينا ذلك في بداية إعلان الثورة.

أعتمد محمد النفس الزكية على محبة الناس لآل علي بن أبي طالب(عليه السلام) واعتقادهم أن بني العباس قد اغتصبوا حقهم في الخلافة، إلى جانب بيعة بني هاشم لمحمد أواخر العصر الأموي. وما كان يتصف به من روع وتقوى وأخلاق حميدة ولكن محمداً لم يهتم الاهتمام الكافي ببث دعوتهُ في الأمصار الإسلامية، ولم يضع تنظيماً دقيقاً لنشر الدعوة وتهيئة سبل النجاح لها، وإذا قارنا بين وسائل محمد النفس الزكية في دعوته بالأمصار بوسائل العباسيين حينما نشروا دعوتهم في أواخر العصر الأموي لأدركنا ان بني العباس كانوا أوفر نشاطاً وأكثر دقة، واحكم تنظيماً، فقد بدأت الدعوة العباسية سنة (100هـ) واستمرت حتى أينعت وأتت ثمارها سنة (132هـ) حين قامت الدعوة العباسية ووضع العباسيون لدعوتهم نظماً دقيقة ثابتة، فنظموا الخلايا السرية وبعثوا الدعاة والنقباء إلى كل مكان، واعدوا الجيوش واهتموا بعدها بالأسلحة وبتدريب الجند وما حقق الانتصار للجيوش العباسية حين التقت بالجيوش الأموية[3].

(1) تاريخ الطبري ج6 ص189.

(2) مقاتل الطالبيين ص238.

(3) الأخبار الطوال ص365.

بينما نرى ان محمد النفس الزكية اكتفى بإنفاذ بعض إخوته وأبنائه إلى الأمصار الإسلامية، ظاناً أن الناس يقبلون عليهم مبايعين لهُ، حتى إذا أعلن الثورة في الحجاز قدموا عليه مناصرين مؤازرين. وأحصت دواوين هؤلاء الدعاة من اخوته وأبنائه الألوف من الناس، ولكنهم حينما قامت الثورة لم يحركوا ساكناً، كما لم يهتم هؤلاء الإخوة والأبناء بأعداد القوات العسكرية التي يمكن لها السيطرة على الأمصار حينما يحين الأوان، بل اخفق بعض هؤلاء الدعاة في الوصول إلى الامصار التي بعثهم محمد إليها، فقد اخفق عبد الله في الوصول إلى خراسان ومات محمد في السجن باليمن.

وكان جديراً بمحمد النفس الزكية ان يسير في الطريق الذي انتهجهُ العباسيون حينما بدأوا دعوتهم، وهو الطريق الذي اثبت نجاحهُ، وأوصلهم إلى الخلافة ولكن محمداً اتبع السبيل الذي سلكهُ الثوار العلويون الذين اعلنوا ثورتهم في العصر الأموي مثل ثورة زيد بن علي وابنهُ يحيى بن زيد وعبد الله بن معاوية بن عبد الملك[1]، مثلما حمل أبو مسلم الخراساني لواء الدعوة العباسية في خراسان ولذا نجحت الدعوة الفاطمية وكانت خلافة علوية فاطمية في المغرب فقد قامت الدولة الفاطمية في المغرب سنة (297هـ) وكان عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين وما لبثت أن انتقلت إلى مصر فقد فتح جوهر الصقلي رابع الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله مصر سنة (358هـ) واتسعت رقعة نفوذها ونافست خلافة بني العباس.

أرسل محمد النفس الزكية ابنهُ علياً إلى مصر فقتل بها، وبعث ابنهُ عبد الله إلى خراسان فاضطر إلى الفرار إلى السند حيث لقي حتفهُ، ووجه محمد ابنهُ الحسن إلى اليمن، فسجنهُ العباسيون، ومات في سجنه، كما بعث اخاهُ إلى الجزيرة واخاهُ يحيى إلى الري وطبرستان، فلم يحققا نجاحاً كبيراً كما وجه اخاهُ إدريس إلى المغرب وانتهت حياتهُ باغتياله بالسم.

كان جديراً بمحمد أن يعتمد على دعاة آخرين من غير آل بيته، كما كان عليه الاعتماد على دعاة من أهالي الأمصار، فقد اعتمد العباسيون على الموالي فكان معظم دعاتهم وأصبح ابو مسلم الخراساني وهو احد الموالي، حامل لواء الدعوة العباسية، وظل العباسيون مختفين، حتى اكتملت للدعوة العباسية مقومات النجاح، وتخلص ابو مسلم من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فظهر العباسيون في الكوفة وأعلنوا قيام دولتهم وبايعوا لأبي العباس السفاح بالخلافة.

وخير مايثبت رأينا، ما انتهجهُ العلويون فيما بعد حينما مهدوا لقيام الدولة الفاطمية فقد ساروا على النهج في اليمن لتخرج الدعاة واعتمدوا على دعاة من غير آل أبي طالب، مثل ابن حوشب والسفياني والحلواني، وحمل ابو عبد الله الشيعي لواء الدعوة الفاطمية في المغرب[2].

ومن عوامل إخفاق ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم ان المنصور حال بينهما وبين خراسان والكوفة. أما خراسان فقد كانت ارضاً خصبة يستطيع محمد النفس الزكية ان يجد فيها انصاراً وشيعة، فقد بايع كثير من أهلها الدعاة العباسيين في أواخر العصر الأموي حينما كانوا يدعون إلى الرضا من آل محمد، وكانوا يظنون انهم إنما يبايعون آل أبي طالب. كما أصيب كثير من أهالي خراسان بخيبة أمل حينما تولى بنو العباس الخلافة، وكان موالي خراسان وفارس أكثر تهيؤاً واستعداداً لقبول مذهب الشيعة.

وأدرك المنصور هذه الحقيقة، فرأى ان تصبح خراسان دائرة مغلقة وفرض عليها ستاراً حديدياً، يصد دعاة محمد النفس الزكية، ويمنع خروج أهالي خراسان إلى المدينة، كما كان المنصور يدرك مشاعر أهالي خراسان نحو آل أبي طالب، ولذا حرص المنصور -كما مرّ سابقا - على تبرير موقفهِ منهم، وخاصة حينما سجن عبد الله بن الحسن وآله.

ومن وسائل المنصور في الحيلولة دون تأييد أهالي خراسان لمحمد النفس الزكية ما لجأ إليه لتثبيط هممهم، فيروي الطبري: أنهُ حينما مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان في سجن المنصور، أخذ رأسهُ فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان فطافوا في كور خراسان وجعلوا يحلفون بالله ان هذا رأس محمد بن عبد الله ابن فاطمة بنت رسول الله(ﷺ) يوهمون الناس انهُ رأس محمد بن عبد الله بن الحسن الذي كانوا يجدون خروجهُ على أبي جعفر.

وارد المنصور ان يوهم محمداً ان اهل خراسان على ولاء وطاعة لهُ وانهم يلبون النداء إذا أعلن الثورة، فكان يزيف كتباً يبعثها على السنة زعماء خراسان يعلنون فيها ولاءهم، ونجح حميد بن قحطبة ان يوهم محمداً بانهُ مؤيد لهُ ولكنهُ لا يستطيع ان يتحرر من ربقة المنصور ويتضح من هذا كلهُ من الخطبة التي القاها محمد النفس الزكية في (12/رمضان/145هـ) قبيل المعركة الفاصلة بأيام قليلة إذ قال: إنّ اهل خراسان على بيعتي وحميد بن قحطبة قد بايعني ولو قدر ان ينفلت فعل.

كما سد المنصور ابواب خراسان أمام دعوة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم فقد قطع المنصور ايضاً وشائج أي صلة قد تقوم بين الزعيمين العلويين والشيعة بالكوفة، وقد كانت

(1) لقد فصلنا ذلك في كتابنا الموسوم الثورات الشيعية في العصر الأموي (62-132).

(2) إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص75.

الكوفة دائماً معقل الشيعة وحصن العلويين الحصين منذ الإمام علي(عليه السلام) وكانت موطناً دائماً للشيعة وموئلاً للعلويين وشهدت معظم ثوراتهم في العصر الأموي.

ولكن اختلف الحال بعد قيام الدولة العباسية فقد كان الخلفاء الأمويون يقيمون في دمشق بعيدين عن الكوفة بالعراق، أما اليوم فالمنصور يعيش على أطراف الكوفة، ويقبض بيد قوية، فقد كتم المنصور نبأ ظهور محمد وإعلان الثورة عن أهالي الكوفة، وأغلق أبواب الكوفة فلم يسمح لأحد بدخولها أو مغادرتها وتتبع شيعة محمد وإبراهيم، بالقتل والسجن وأرغم أهلها على خلع اللون الابيض شعار العلويين واتخاذ السواد شعار العباسيين.

ومن عوامل إخفاق ثورة الأخوين ما يشير إليه المؤرخون المحدثون من اخفاق الاخوين في تنسيق جهودهما، بحيث تقوم الثورتان في وقت واحد مما يجعل الخليفة المنصور حرجاً، وينسب هؤلاء المؤرخون المحدثون عدم قيام إبراهيم بالثورة في البصرة في الوقت نفسه الذي اعلن فيه محمد النفس الزكية ثورته في الحجاز إلى مرض إبراهيم حيث أصيب بالجدري[1].

ولكننا نرى أن المرض لم يكن الحائل بين قيام إبراهيم بالثورة في الموعد المتفق عليه، بل كان تعجيل محمد النفس الزكية بالظهور وإعلان الثورة قبل هذا الموعد هو سبب عدم قيام الثورتين في وقت واحد، فأستطاع المنصور ان يتفرغ للقضاء على كل ثورة على حدة.

وقد تطرقنا في ثورة محمد النفس الزكية إلى النصوص التي تثبت عجلة محمد في القيام بالثورة.

ثالثاً: العوامل الاقتصادية:

لعل من أول هذه العوامل هو إعلان محمد النفس الزكية ثورته في المدينة المنورة وهي مدينة تشتهر بقدسيتها وتاريخها الإسلامي كونها تحتضن قبر الرسول(صلى الله عليه وآله)، وثاني العوامل هي كون المدينة المنورة مدينة محدودة الموارد الاقتصادية بحيث لاتصلح لأن تكون مركزاً ثورياً وقاعدة حربية.

وقد أثبت التاريخ ذلك فقد رفض (الزبير بن العوام) وحليفهُ (طلحة بن عبيد الله) اتخاذ المدينة مركزاً لثورتهما ضد الإمام علي(عليه السلام) فأعلنا الثورة في البصرة، وفقدت المدينة صلاحيتها لتكون حاضرة للدولة الإسلامية.

فقد اتخذ الإمام علي(عليه السلام) الكوفة عاصمة لهُ بدلاً من المدينة، ثم قامت الدولة الأموية في الشام، وقامت الدولة العباسية في العراق، وابتعد الإمام الحسين(عليه السلام) وعبد الله بن الزبير عن القيام بثورتيهما في المدينة المنورة.

فخرج الإمام الحسين(عليه السلام) قاصداً الكوفة، كما اعلن ابن الزبير ثورته في مكة المكرمة على الرغم من عدم صلاحيتها ايضاً لتقوم بها ثورة. ولم يستطع اهل المدينة المنورة الصمود طويلاً للجيوش الأموية في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فكانت (واقعة الحرة) فقد أباح يزيد المدينة المنورة لجيشه فيروي إبن قتيبة: هلك من اهالي المدينة نحو عشرة آلاف شخص[2].

وأراقوا الدماء حتى وصل الدم إلى قبر الرسول(صلى الله عليه وآله) وزنوا بالمحصنات من بنات المهاجرين والأنصار حتى ولد (300) طفل من دون أب، وأفتضت الف بكر، وإذا أراد الأب تزويج أبنتهُ فهو لايضمن انها بكر!! وهدم يزيد الكعبة المشرفة لأن عبد الله بن الزبير اعتصم فيها فقد رماها يزيد بالصخور والمنجنيق حتى تهدمت[3].

لقد أدرك كثير من الناس أن مصير ثورة محمد النفس الزكية الإخفاق منذ ظهر بالمدينة وأعلن الثورة فيها وكان مختفياً، ينتقل بين الأمصار المختلفة ولا يعلم المنصور في أي إقليم يعلن ثورته. وربما لم يتوقع المنصور ان تقوم الثورة في المدينة، فقد رأينا الإجراءات الحازمة التي اتخذها في مدن العراق وخاصة الكوفة وفي خراسان وكما شهدنا تتبع المنصور دعاة محمد من اخوته وابنائه، والقتل والسجن في الامصار المختلفة.

وهناك نصوص كثيرة تثبت عدم صلاحية المدينة ليقوم محمد النفس الزكية بالثورة في ربوعها فقد وصف المنصور المدينة حين أعلن محمد الثورة بأنها: بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة[4].

وحين أعلن محمد النفس الزكية ثورته قال جعفر بن حنظلة للمنصور: فأحمد الله، ظهر حيث لامال ولارجال ولاسلاح ولا كراع.

كان المنصور يعلم ان المدينة عاجزة ان تفي لمحمد النفس الزكية بحاجاته من المال والرجال والسلاح والمؤون، بينما كان المنصور مقيماً في العراق وهي البلاد التي وصفها الإمام علي(عليه السلام): موطن الرجال والأموال.

ولذا نرى نجاح المنصور في توفير الجند والأسلحة والإمدادات اللازمة فقد اشتهر المنصور بالشح والتقتير والاقتصاد في النفقات وأدى ذلك إلى توفير الأموال في خزائن الدولة، فأنفقها المنصور في إجهاض ثورة محمد وإنفاذ

(1) تاريخ الإسلام ج 2 ص135.

(2) الإمامة والسياسة ج1ص153.

(3) ثورة الإمام الحسين – الأسباب والنتائج - ص8.

(4) مروج الذهب ج3ص306.

الجيوش الكثيفة للقضاء على الثورة، لقد استنفذ المنصور كثيراً من الأموال التي رصدها لبناء بغدد في إعداد الجيوش التي قضت على الثورتين العلويتين حتى إذا عاود البناء أضطر إلى الاقتصاد في النفقات ببناء بغداد[1].

أراد المنصور ان يحكم الحلقات حول محمد النفس الزكية وان يزيد الطين بلة وان يشن عليه حرباً اقتصادية شعواء، قد تكون أكثر أثراً ووطأةً من الحرب العسكرية، وهو يعلم ان الحجاز تعيش طوال العام على الغلات والمحصولات التي تردمن الشام ومصر.

ولذلك أمر بمنع ورودها إلى الحجاز حتى يضيق على أهلها فيزداد الضغط الاقتصادي عليهم فيتمنون بدافع الجوع والحرمان الخلاص من هذه الثورة التي قامت في ربوعهم، كما اصدر المنصور بمنع الغلات التي كانت ترد من مصر والحجاز وقال لحاجبه الربيع: نكتب الساعة إلى مصر ان يقطع عن الحرمين الطريق إنما هم في مثل حرجه، إذا انقطعت عنهم المادة والميرة- القوافل-من مصر.

أدرك أصحاب محمد النفس الزكية حقيقة عدم صلاحية المدينة المنورة للثورة فنصحوهُ بان يغادر الحجاز إلى بلاد أكثر موارد اقتصادية بحيث تكفي حاجاتهُ المادية وحتى يستطيع ان يقف على قدم المساواة مع المنصور الذي يعتمد على موارد العراق الهائلة.

ولذلك أشار أصحاب محمد النفس الزكية عليه ان يرحل إلى مصر فقالوا لهُ أنت في اقل بلاد الله فرساً وطعاماً وأضعفهُ رجلاً، واقلهُ مالا وسلاحاً تريد أن تقاتل أكثر الناس مالاً واشدهُ رجالاً واكثرهُ سلاحاً واقدرهُ على الطعام؟؟

الرأي أن تسير بمن اتبعك إلى مصر، فوالله لايردك راد، فتقاتل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله[2].

هذه النصيحة صحيحة ولكن محمداً لم يستجب لها واستمع إلى نصيحة أخرى توجه بها إليه أحد أصحابه وهو (جبير بن عبد الله) مدفوعاً فيها بعاطفة دينية إذ قال لهُ: أعيذك بالله ان تخرج من المدينة، فأن رسول الله(ﷺ) قال عام احد: رأيتني أدخلت يدي في درع حصينة فأولها المدينة.

ومما لاشك فيه كانت الظروف في عهد الرسول(ﷺ) تختلف تماماً عن الظروف السائدة وقت قيام محمد النفس الزكية بثورته، فقد فكر الرسول-ص-قبل هجرته إلى المدينة في الهجرة إلى الطائف لما اشتهرت به من خصوبة ورخاء اقتصادي ولقربها من مكة ولوجودها على مرتفع من الأرض.

(1) تاريخ بغداد ج1ص71.

(2) مقاتل الطالبيين ص536.

وبعد الهجرة ظل نفوذ الرسول-ص-عدة سنوات مقتصراً على المدينة في حين كانت في أيدي القرشيين بينما سيطرت قبيلة ثقيف الوثنية على الطائف، كانت مدينة الطائف قبل ان تصبح لثقيف السيادة فيها تسمى (وج) نسبة إلى نوح بن عبد الحي احد الذين سكنوها، وتقع الطائف على بعد اثني عشر فرسخاً شرقي مكة على منطقة الحدائق والبساتين اليانعة الزاخرة بشتى انواع الفاكهة حتى وصفت بأنها (بقعة من الشام انتقلت إلى الحجاز)[3].

لقد اتبع الرسول(ﷺ) يوم احد رأي المسلمين الذين أشاروا عليه بقتال مشركي قريش خارج المدينة ولم يكن ما لحق بالمسلمين في معركة احد نتيجة خروجهم من المدينة، بل كما هو معروف إلى نتيجة عصيان الرماة لأوامر الرسول(ﷺ) وتتبعهم المشركين للحصول على الغنائم، فهاجمهم خالد بن الوليد مما أدى خسارة المسلمين في هذه المعركة سبعين شهيداً بينهم حمزة سيد الشهداء.

رابعاً: العوامل الاجتماعية:

قامت العصبية بدورها في أخفاق ثورتي محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، سواء أكانت عصبية قبيلية أم عصبية مذهبية فقد انضم إلى محمد كثير من القبائل منها قبائل جهينة فآثرها على سائر القبائل مما أثار حنقها وغضبها واتضحت هذه العصبية في مواقف عدة.

فقد عارض بنو سليم فكرة حفر خندق المدينة وأبدوا عيوبها، وأصر بنو شجاع على حث محمد على القيام بحفر هذا الخندق. كما ثارت العصبية ايضاً بين أصحاب محمد وإبراهيم وبين الزيدية من أصحاب عيسى بن زيد الذي كان يرى ان تكون الخلافة له بعد قتل محمد النفس الزكية ورفض إبراهيم واصحابهُ هذا الرأي مما أثار الخلاف. وبعد مقتل محمد النفس الزكية، قدم عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقال: إنّ محمداً جعل الأمر إليه ودعا الزيدية إلى نفسه فأجابوهُ وأبى البصريون ذلك حتى قالوا لإبراهيم إن شئت أخرجناهم عنك من بلادنا فالأمر لك وما نعرف غيرك، حتى كادت تقع فرقة، فسفروا بينهم وقالوا: إنا إن اختلفنا ظهر علينا المنصور، ولكن نقاتلهُ جميعاً والأمر لإبراهيم، فأن ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد فأجمعوا على ذلك. ويشير المؤرخون إلى ما حدث من خلاف بين إبراهيم وعيسى بن زيد فقد صلى إبراهيم على جنازة بالبصرة وكبر عليها اربعاً، فقال عيسى بن زيد: لم نقصت واحدة وقد عرفت تكبير اهل بيتك؟

فقال إبراهيم: هذا اجمع لهم، ونحن إلى اجتماعهم

(3) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي ص8.

محتاجون وليس في تكبيرة تركتها ضرر أن شاء الله ففارقهُ عيسى بن زيد واعتزلهُ وبلغ المنصور فأرسل إلى عيسى بن زيد يسألهُ أن يخذل الزيدية عن إبراهيم، فلم يفعل ولم يتم الأمر حتى قُتل إبراهيم فتوارى عيسى عن الانظار، فقيل للمنصور: ألا تطلبهُ؟

فقال المنصور: لا والله لا اطلب منهم رجلاً ابداً بعد محمد وإبراهيم انا اجعل لهم بعد هذا ذكراً[1].

ويعلق ابو الفرج الاصفهاني على هذه الرواية: ما ذكرهُ إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام الجعفري وهو ناقل الرواية السابقة، أظن هذا وهماً من الجعفري لأن عيسى لم يفارق إبراهيم في وقت من الأوقات ولا اعتزلهُ وقد شهد معهُ (باخمري) حتى قُتل إبراهيم فتوارى عيسى إلى أن مات في أيام الخليفة العباسي المهدي.

وعارضت جماعة عيسى بن زيد كثيراً من الاقتراحات البناءة التي ارتآها قواد إبراهيم فقد رفضت ان يهاجم إبراهيم جيش عيسى بن موسى ليلاً واعتبرت ذلك من فعال السراق، ورفضت الاقتراح الذي تقدم به احد أصحاب إبراهيم يشير عليه بالبقاء في البصرة وقالوا: أترجع عن عدوك وقد رأيتهُ؟

كما عارضت ايضاً فكرة حفر خندق حول معسكر إبراهيم وقالوا: أتجعل بينك وبين الله جنة. وقد مرّ علينا ذلك أثناء المعركة.

لم تكن آراء وافكار أصحاب إبراهيم ناتجة عن كره وحقد على إبراهيم إلاّ إنها كانت مجرد آراء، وقد ذكرنا أن أخلاق ومثالية هذا الثائر العلوي حالت دون النصر. فنحن نرى أن نحو من خمسمائة رجل من الزيدية استشهدوا مع إبراهيم واستبسلوا في القتال ضد الجيش العباسي.

وهكذا انتهت هاتان الثورتان اللتان هزتا أركان الدولة العباسية وكلفتها المبالغ الطائلة، حتى أن المنصور ترك بناء بغداد من اجل القضاء على ثورة الأخوين، فتم لهُ ما أراد كما سجلناها وكتبناها مفصلاً في أحداث الثورتين.

نتائج الثورة

1. قضت الثورة على آخر طموح الفرع الحسني في نيل الخلافة بقوة السلاح في عهد المنصور.

2. إتباع سياسة الشدة ضد العناصر التي اشتركت مع إبراهيم في ثورته، حيث قام الوالي محمد بن سليمان بن علي في أواخر سنة (145هـ/762م) بناء على طلب الخليفة بتهديم دور وإتلاف بساتين بعض هذه العناصر واغتيال البعض الآخر.

3. استمرار توقف البناء في بغداد حتى شهر صفر سنة (145هـ) ولحوق أضرار جسيمة بمواد البناء المتروكة في ساحة العمل حيث قام أسلم مولى المنصور بإحراق المواد التي كانت بعهدته حين علم بانتصار إبراهيم في بداية المعركة خوفاً من وقوعها بيد العدو.

أوضاع البصرة بعد الثورة

لقد ساد البصرة جو من عدم الاستقرار بعد فشل الثورة لخوف أهلها الشديد من انتقام المنصور منهم بسبب تأييدهم لإبراهيم فهربوا براً وبحراً واختفى الناس[2].

وقد قام المنصور بالفعل باتخاذ إجراءات شديدة ضد أهلها بسبب موقفهم العدائي منهُ، فعين في أعقاب فشل الثورة (مسلم بن قتيبة الباهلي) والياً عليها فقدمها سلم الباهلي في أواخر سنة 145 هجرية، وعين (يزيد بن سلم) على شرطته.

فكتب إليه المنصور: أما بعد فأهدم دور من خرج مع إبراهيم واعقر نخلهم.

فكتب إليه سلم: بأي ذلك أبدأ؟ بالدور أم بالنخل؟[3].

ويبدو أن سلم الباهلي اراد من جوابه هذا المراوغة في تنفيذ الأمر، لأن تنفيذهُ سيشمل بعض افراد قبيلة باهلة، الذين أيدوا واشتركوا في ثورته، لكن المنصور أدرك الموضوع فكتب إليه يوبخهُ على فساد رأيه: أما بعد: لو أمرتك بإفساد تمرهم لكتبت تستاذنني بأية أبدأ بالبرني أم بالشهريز؟.

ثم عزلهُ بعد شهرين من ولايته وولى مكانهُ محمد بن سليمان بن علي في السنة نفسها، فتولى هذا تنفيذ أمر المنصور فهدم دار كل من (يعقوب بن الفضل وهو والي فارس السابق من قبل إبراهيم، ودار عبد الواحد بن زياد وهو قائد ميمنة إبراهيم، ودار أبي مروان في بني يشكر وغيرهم).

وقام بعقر نخلهم وحدثت بعض الاغتيالات لبعض أعوان إبراهيم فيها، مثل (المغيرة بن الفزع وعمرو بن شداد) لكن هذه الاغتيالات لم تؤثر على حالة الهدوء والاستقرار التي بدأت تنعم فيها البصرة، فبدأت تمارس نشاطها كمركز تجاري كبير للدولة العباسية.

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في فخ في ذي

(1) مقاتل الطالبيين ص288.

(2) العبر في خبر من غبر ج1 ص203.

(3) البيان والتبيين للجاحظ ج2 ص282.

القعدة سنة 169هجرية / حزيران 786 ميلادية في عهد الخليفة موسى الهادي

وهكذا انتهى عهد أبي جعفر المنصور الذي عرفت الرعية منهُ الشح والبخل والقسوة والإرهاب ومصادرة الأموال وسفك الدماء وكبت الحريات وخنق الأنفاس، استقبل الناس الخبر بالارتياح وكان طبيعياً ان يلي الخلافة من بعده وفق نظام الوراثة العباسي ولده محمد المسمى المهدي، وكان المهدي يحسُ بالسياسة المجحفة الظالمة التي انتهجها ابوهُ، فحاول ان يخفف عن كاهل الرعية في مطلع خلافته، فاطلق سراح السجناء، ورد الأموال المصادرة إلى أهلها. ثمَ أمر بإخراج مَنْ في المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر الناس فاطلقهم وأمر لهم بجوائز[1].

وكان من جملة ما شملهُ القرار أموال الإمام الصادق(عليه السلام) المصادرة فردها إلى ولده الإمام الكاظم(عليه السلام) وهكذا كانت هذه الفترة التي دامت من (3/ذي الحجة/سنة158هـ) حتى (22/محرم/169هـ) تعتبر من أيسر فترات الحكم العباسي بالنسبة للعلويين والطالبيين.

إلاّ أنّ المهدي العباسي لم يدعهُ هاجس الخوف من شخصية الإمام الكاظم(عليه السلام) وقوة تأثيرهُ، فتعرض للإمام الكاظم(عليه السلام) وطلب من واليه على المدينة أن يبلغ الإمام الكاظم(عليه السلام) بالحضور إلى بغداد للمحاكمة والسجن وكان ما أراد المهدي فقد توجه الوالي بالطلب إلى الإمام، وطلب منهُ ان يتوجه إلى بغداد للحضور أمام الخليفة محمد المهدي، فشد الإمام رحال السفر وراح يطوي الفيافي والبيد فسار ركب الإمام حتى وصل بغداد عاصمة الخلافة العباسية فأمر المهدي العباسي بالقبض عليه وزجه بالسجن. ولكن عناية الله اكبر من كيد الظالمين وحراساته لأوليائه اغلب من قوة الطغاة ووسائل تسلطهم.

لقد حدثت كرامة غيبية للإمام الكاظم(عليه السلام) إذ رأى المهدي العباسي بعد سجنه للإمام(عليه السلام) رأى الإمام علياً(عليه السلام) في المنام وهو يقول لهُ: يا محمد ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** (22)-محمد﴾، ففزع المهدي وقام من نومه مذعوراً، واستدعى حاجبهُ الربيع وأمرهُ بإطلاق سراح الإمام[2].

وهكذا خرج الإمام من السجن وعاد إلى مدينة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) ليواصل مهام الإمامة ومسؤولياتها. مات الخليفة محمد المهدي في سنة 169 هجرية، وبويع لابنه موسى الهادي وهو رابع الخلفاء العباسيين الذي كانت خلافتهُ اربعة عشر شهراً، لقد كانت فترة حكم موسى الهادي الخليفة العباسي من الفترات القاسية الرهيبة في تاريخ الطالبيين والشيعة، فقد استمر الحاكم على سياسة آبائه في كراهية آل علي بن أبي طالب(عليه السلام) ومحاربتهم والتضييق عليهم، مما اضطر العلويين إلى إعلان الثورة التي قادها هذه المرة الحسن بن علي بن الحسن سنة 169 هجرية.

كان الخليفة العباسي موسى الهادي شخصية غريبة قلقة تجمع كثيراً من المتناقضات وكانت سياستهُ في فترة حكمه القصيرة صورة لاخلاقه ومزاجهُ الشخصي، عمل ابوهُ محمد المهدي على ان يعد ابنهُ موسى الهادي للخلافة، كما اعدهُ ابوهُ المنصور من قبل لهذا المنصب الخطير، وأراد المهدي ان يكون ابنهُ الهادي جديراً بأن يقدمهُ على عيسى بن موسى في ولاية العهد، لكن موسى الهادي خيب ظن أبيه فيه فانصرف إلى شرب الخمور، وقضى معظم وقته مع الندماء مما أثار غضب المهدي عليه فبدأ يفكر في تقديم أخيه الأصغر سناً هارون الرشيد عليه في ولاية العهد لولا أن عاجلتهُ منيتهُ[3].

هذه صورة الخليفة العباسي موسى الهادي الذي قامت ضدهُ ثورة مهمة وكبرى في التاريخ الإسلامي.

شخصية الحسين بن علي صاحب فخ

هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) ويعرف بأبي عبد الله[4].

كانت أم الحسين هي زينب بنت عبد الله بن الحسن وهي شقيقة محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم اللذين ثارا في عهد المنصور، وقد شهدت زينب ما لحق بأبيها وأخوتها وأعمامها وزوجها علي بن الحسن.

لقد قضت أم الحسن حياتها في حزن وبكاء فكانت دائماً تلبسُ المسوح، ولا تجعل بين جسدها وبينها شعاراً حتى لحقت بالله عزوجل، وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى عليها. وكانت تقول: «يافاطر السماوات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة الحاكم بين عباده أحكُم بيّننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين» ومما لاَشك فيه انهُ كان لهذه الام المثكولة أكبر الأثر فيما انطبع في نفس ابنها الحسين لآل العباسيين حتى بات يتطلع الثائر لقتلى آل علي بن أبي طالب(عليه السلام).

نشأ الحسين بن علي صاحب فخ وسط عائلة كريمة يظلها

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص276.
(2) وفيات الأعيان ج5 ص308، سيرة الأئمة الاثني عشر ج2 ص339.
(3) المهدي العباسي- علي حسني الخربوطلي - ص248.
(4) بطل فخ ص11.

جلال العبادة ويشغلها طلب العلم حتى يقال لأبيه علي الخير وعلي الأغر وعلي العابد.

غير ان هذه العائلة الكريمة نكبت بما لم ينكب بمثله احد، فقد قتل ابوهُ علي، وقتل من اعمامه عبد الله بن الحسن وإبراهيم، والحسن بن الحسن بن الحسن، وقتل من أبناء عمومته عبد الله بن الحسن بن السحن بن الحسن، وأخوه العباس، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن واخوهُ محمد، وعلي بن محمد بن عبد الله بن الحسن[1].

إذن فقد نشأ الحسين بن علي في عائلة احترفت الثورة غير ان هذه النكبات لم تكسر تطلعاته إلى الهدف الذي مات دونهُ أهل بيته حتى انهُ أراد المشاركة في ثورة محمد ذو النفس الزكية بالمدينة على صغر سنه آنذاك فردهُ محمد قائلاً لهُ: يا بني ارجع لعلك تقوم بهذا الأمر من بعدي. عاش الحسين بن علي في المدينة المنورة ونجح في ان يكسب محبة أهلها بكرمه وجوده. فقد رُوي من كرمه طرائف لربما خرجت عما ألف الناس من أخبار الأجواد من الرجال كان يهب ما يجد بحوزته وتتحدث أخباره انهُ باع داراً لهُ بأربعين ألف دينار ففرقها كلها على فقراء المدينة في اليوم نفسه وقبل أن يعود إلى داره.

جاء رجل إلى الحسين بن علي فسألهُ فلم يكن عندهُ شيء ليعطيه فاقعدهُ وبعث إلى أهل داره مَنْ أراد أن يغسل ثيابهُ فليخرجها، فأخرجوا ثيابهم ليغسلوها، فلما اجتمعت قال للرجل خذها. وكان الحسن بن علي يتردد على بغداد في عهد الخليفة المهدي بين وقت وآخر وحدث أن تثاقلت على الحسين الديون نتيجة كرمه وأحسانه فخرج إلى بغداد قاصداً المهدي، وإذن الخليفة للحسين بالدخول عليه على الفور حتى إذا دخل وثب المهدي فسلم عليه وعانقهُ واجلسهُ إلى جانبه، وجعل يسألهُ عن اهله، ثم قال: يا بن عم، ما جاء بك؟

قال: ما جئت ورائي احد يعطيني درهماً. فقال المهدي: أفلا كتبتَ إلينا؟ قال الحسين: أحببت أن احدث بك عهداً. ومنح المهدي الكثير من الدنانير والدراهم، فأعطى الحسين دائنيه ديونهم مضاعفة ثم عاد إلى المدينة وهو خالي الوفاض!!

وكان الحسين علي صاحب فخ يقول: الذهب والفضة والتراب عندي بمنزلة واحدة[2].

بوادر الثورة

بدأت بوادر الثورة منذ تولية موسى الهادي الخلافة سنة 169هـ وهو في الرابعة والعشرين من عمره، الذي سار مع الطالبيين سيرة تختلف تماماً عن سيرة أبيه المهدي، كان حاكم المدينة المنورة هو اسحق بن عيسى بن علي في عهد الخليفة المهدي، فلما توفي المهدي خرج اسحق بن عيسى إلى بغداد للقاء موسى الهادي وطلب منهُ أعفاءهُ من منصبه فاستجاب لرغبته وعين مكانهُ (عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب).

بدأ الوالي الجديد سياسة الاضطهاد والإرهاب للعلويين فحمل على الطالبيين وأساء إليهم وأفرط في التحامل عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن، والحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، وما لبث هذا الوالي الجديد حتى اتهم الحسن بن محمد بن عبد الله مسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر بن الخطاب.

أتهمهم بشرب الخمر، فضرب الحسن بن محمد ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى عمر سبعة اسواط ثم جعل في أعناقهم حبالاً وطيف بهم في المدينة مكشوفي الظهر ليفضحهم[3].

واحتجت جماعة الهاشمية التي كانت قد والت العباسيين خلال ثورة محمد النفس الزكية، على والي المدينة لما انزلهُ بالعلويين قالت: لا ولا كرامة تشهر احداً، من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم، فكفّ عن ذلك وخلّي عن سبيلهم.

وخرج الحسين بن علي إلى والي المدينة ينفي عن العلويين اتهامهم بشرب الخمر ويطلب منهُ إطلاق سراحهم ولكن الوالي لم يجب الحسين إلى طلبه وسجن العلويين يوماً وليلة وعاود الحسين بن علي محادثة الوالي في شأنهم فأطلق سراحهم على ان يتكفل الحسين بن علي بالحسن بن محمد ويضمنهُ وان يقوم الحسين في كل يوم ليقف على امره. وعهد والي المدينة لمولى من الأنصار وهو ابو بكر بن عيسى الحائك مهمة تفقد العلويين في كل يوم.

وحدث أن الحسين بن محمد كان قد تزوج مؤخراً فتغيب عن العرض اليومي ثلاثة أيام هي الأربعاء والخميس والجمعة وقدم العلويون إلى مسجد المدينة يؤدون صلاة الجمعة حتى إذا انتهوا من أدائها حبسهم ابو بكر الحائك في المسجد حتى صلاة العصر، ثم عرضهم ونادى أسماءهم فلم يجد الحسن بن محمد بينهم، فسأل كفيله الحسن بن علي ويحيى بن عبد الله عن الحسن وطلب منهما احضاره وهددهما بالسجن وكان قد قدم

(1) مقاتل الطالبيين ص365.

(2) مقاتل الطالبيين ص371.

(3) مقاتل الطالبيين ص373.

إلى المدينة في هذا الوقت سبعون من الشيعة في انتظاره بداية موسم الحج فأشتبكوا في جدال عنيف مع ابن الحائك، كما تبادل يحيى بن عبد الله وابن الحائك السباب، وخرج ابو بكر الحائك إلى الوالي (عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب) غاضباً ينقل إليه ما حدث في المسجد.

استدعى الوالي الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله، فوبخهما وتهددهما، فتضاحك الحسين في وجهه وقال لهُ: أنت مغضب يا أبا حفص؟

فقال عمر: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟

فقال الحسين: قد كان ابو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية.

قال لهُ عمر: آخر قولك شر من أولهِ.

فقال الحسين: معاذ الله، يأبى الله لي ومن انا منهُ. فقال عمر: أفأنما أدخلك إليّ لتفاخرني وتؤذيني؟

فغضب يحيى بن عبد الله وقال لهُ: فما تريد: منا؟

قال عمر: أريد أن تأتيني بالحسين بن محمد.

فقال يحيى بن عبد الله ساخراً من الوالي: لا تقدر عليه، وهو في بعض ما يكون في الناس فأبعث إلى آل عمر بن الخطاب فأجمعهم كما جمعتنا ثم اعرضهم رجلاً رجلاً فأن لم تجد فيهم مَنْ قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا.

واستمرت ثورة غضب والي المدينة -عمر بن عبد العزيز- واقسم على أن يحرق دار الحسين ويخربها ويضربهُ ألف سوط إن لم يحضر الحسن إليه في يوم وليلة كما أقسم ان يقتل الحسن إذا وقعت عيناهُ عليه.

بعث الحسين بن علي إلى الحسن بن محمد يخبرهُ بما ينتظرهُ على يد الوالي وطلب منهُ بنفسه، ولكن الحسن قال: لا والله يا بن عمي بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي في يدهِ.

فقال لهُ الحسين: ما كان الله ليطلع عليّ وانا مقبل إلى محمد(ﷺ) وهو خصمي وحجيجي في دمك ولكن أقيك بنفسي لعل الله يقيني من النار[1].

ومهما يكن من أمر فأن المؤرخين يرون أسباب ثورة الحسين بن صاحب فخ نتيجة لضغط والي المدينة يوم ذاك على الطالبيين، وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وإرهابه لهم وتحديه إياهم، بما كان يفرضهُ عليهم من الحضور عندهُ كل يوم، للعرض حذاراً لما يتوقعهُ منهم عند غيابهم عن المدينة، فكانت الثورة في الواقع نتيجة الارهاب والضغط الشديدين، واخذهم دعاة الحق بالقوة والاذى مع العلم ان الحسين بن علي في فترات مختلفة وبوسائل شتى حاول في إيجاد التفاهم الايجابي وعدم الركون والرجوع إلى القوة والحرب بينهم وبين ذلك الوالي، فلم يفلح ولم يحظَ منهُ برد مقبول[2].

إعلان الثورة

لقد بدأت الثورة منذ تلك الليلة التي شهدت ذلك اللقاء بين والي المدينة عمر بن عبد العزيز والزعيمين العلويين الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله. لقد دعا الحسين بن علي العلويين فجاءه يحيى وسليمان وإدريس أبناء عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن الحسين، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وعبد الله بن اسحق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام).

فأجتمع ستة وعشرون رجلاً من آل أبي طالب، وبعثوا في استقدام فتيان من فتيانهم ومواليهم، كما قدم عليه عشرة من الحجاج الشيعة الذين قدموا من الكوفة لأداء فريضة الحج.

استمر الاجتماع طوال الليل حتى إذا قرب من آخره خرج يحيى بن عبد الله في نفر منهم إلى دار مروان وهي دار الإمارة فلم يجد الوالي عمر بن عبد العزيز بها فاتجهوا إلى دار عبد الله بن عمر فلم يجد الوالي بها ايضاً فقد علم باجتماع العلويين فأسرع إلى الاختفاء[3].

ولما أذّن المؤذن للصبح دخلوا المسجد النبوي ثم ترددت صيحاتهم داخل المسجد (أحد، أحد) وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس رسول الله(ﷺ) قال للمؤذن: إذّن بحيّ على خير العمل، فخاف المؤذن وأذن بها، فعرف العمري أنها ثورة علوية، فأضطرب وخاف وفقد سيطرتهُ على نفسه، فأخذ يطق العبارات بلا وعي وراح يصيح وهو في دارهِ (أغلقوا البغلة الباب، وأطعموني حبيّ ماء) جلس الحسين بن علي على المنبر وعليه عمامة بيضاء وجعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه(ﷺ) وخطب الحسين بن علي في الناس بعد فراغه من الصلاة بعد ان حمد الله وأثنى عليه وقال: أنا ابن رسول الله(ﷺ)، على منبر رسول الله، وفي حرم رسول الله، ادعوا إلى سنة رسول الله(ﷺ).

أيها الناس: أتطلبون رسول الله في الحجر والعود،

(1) مقاتل الطالبيين ص375.

(2) الحسنيون في التاريخ ص159.

(3) تاريخ الطبري ج6 ص411.

وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منهُ!

واقبل الناس على بيعة الحسين بن علي الذي دعا الناس إلى بيعته بقوله: أبايعكم على كتاب الله وسُنّة رسول الله(ﷺ) وعلى أن يطاعَ الله ولا يعصى وادعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه(ﷺ) والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى ان تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فأن نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نفِ لكم فلا ببيعة لنا عليكم[1].

إنّ نظرات متأملة في هذه الوثائق التاريخية التي تحكي لنا وتصور طبيعة الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها المسلمون عموماً، العلويون وائمتهم وقادتهم خصوصاً، تُعرفنا حقيقة المأساة التي عاشتها هذه الأمة وسبب الثورات المتصلة من أئمة أهل البيت وسادتهم على طول امتداد التاريخ الإسلامي وتألقهم نجوماً في سماء المجد والشهادة، وكم كانوا كراماً أصحاب نفوسٍ أبيةٍ وأنوف حمية، يؤثرون موت الكرام على طاعة اللئام. وتقدمت فرقة من الجند العباسيين تتالف من مأتين جندي بقيادة خالد البربري وكان يتولى الصوافي(*) بالمدينة وتشجيع والي المدينة عمر بن عبد العزيز فظهر بعد أن كان قد اختفى وأنضم إلى خالد البربري واتجهوا جميعاً نحو احد أبواب المسجد وهو باب جبرائيل واقتحموا الرحبة شاهرين سيوفهم واتجه خالد نحو الحسين وهو يصيح في وجهه قتلني الله إن لم أقتلك. فأعترض يحيى بن عبد الله طريق خالد البربري لمنعه من الوصول إلى الحسين، وضربهُ يحيى بسيفه على أنفه فقطعها وسالت دماؤهُ على وجهه وارد خالد الاستمرار في المقاومة فضربهُ إدريس بن عبد الله ضربة قضت عليه فسقط عن دابته فسارع اصحابه فحملوا جثتهُ وأسرعوا بالانسحاب ثم هجم الثوار على بيت مال المدينة، واستولوا على نحو سبعين الف دينار.

وفي اليوم التالي وهو يوم السبت احتشد جماعة من أنصار العباسيين وكانوا يطلقون على انفسهم المسودة وواجههم شيعة العلويين المبيضة وتقاتل الفريقان فيما بين رحبة دار الفضل والزوراء، وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً فاقتتلوا إلى الظهر ثم افترقوا. وفي هذه السنة 169 هجرية تولى إمارة الحج مبارك التركي، فبدأ بزيارة المدينة

(1) مقاتل الطالبيين ص378.

(*) الصوافي: هي أن تحوّل الأموال المصادرة من الذين تسخط عليهم السلطات إلى ملكية الخليفة، وهي سنة سنّها معاوية بن أبي سفيان حيث كان يصادر ما كان للملوك في البلاد المفتوحة ويصيّرها خالصة صافية لنفسه ثم يتوارثها أبناؤهُ،وقد ورث الخلفاء العباسيون أملاك الخلفاء الأمويين لانفسهم، فأتسع الأمر فشمل أموال المسلمين المصادرة ايضا: راجع: تاريخ اليعقوبي ج2ص233.

وعلم أن هناك ثورة يقودها الحسين بن علي فبعث في طلبه ليلاً، وقال لهُ: إني والله ما أحب أن تبتلي بي ولا أبتلي بك فأبعث الليلة إلى نفر من اصحابك ولو عشرة يبيتون- أي يهاجمون ليلاً- حتى انهزم واعتل بالبيانات ونفذ الحسين بن علي الخطة المرسومة فقدم عشرة من اصحابه إلى معسكر مبارك التركي فتظاهروا بالهجوم ليلاً عليه واخذوا يصيحون ويتوعدون وتظاهر مبارك التركي بالانسحاب إلى مكة من فورهِ[2].

قضى الحسين وأصحابه اياماً يتجهزون للرحيل إلى مكة فكان مقامهم بالمدينة منذ أعلن الثورة احد عشر يوماً ثم خرج الحسين إلى مكة المكرمة يوم (24/ذي القعدة/169هجرية) في أهله ومواليه وأصحابه فبلغ عددهم ثلاثمائة نفر واستخلف على المدينة دينار الخزاعي.

شهيد فخ ونهاية الثورة

لمعت في سماء التاريخ الإسلامي وآفاقه أماكن وأحداث وشخصيات، ونزفت من قلب هذه الأمة وشرايينها دماء طاهرة سقت شجرة الإيمان وخطت فصول المجد والجهاد بأحرف مضيئة وبعناوين لامعة. ومن هذه الأماكن أرض فخ ووقعتها الكبرى لقد كانت هاتان الواقعتان (فخ، وكربلاء) عظيمتين على نفس رسول الله(ﷺ) وأهل بيته، وكان قد أنبأ عنهما وبكى ألماً ولوعةً لما يجري على أهل بيته. وكما اخبر رسول الله(ﷺ) عن واقعة الطف، اخبر كذلك عن واقعة فخ، فقد روُي عن الإمام الباقر(عليه السلام) انهُ قال: مرّ النبي(ﷺ) بفخ فنزل فصلى ركعتين، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي(ﷺ) يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟

قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله.

قال الرسول(ﷺ): نزل عليّ جبرائيل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إن رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معهُ اجر شهيدين.

وتوقف الإمام الصادق(عليه السلام) في أرض فخ في إحدى سفراته من المدينة إلى مكة فنزل فيها وصلى، ثم سألهُ النضر بن قرواش صاحب الجمال المكراة للسفر: جُعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً: أفهو من مناسك الحج؟

قال الإمام: لا، ولكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابةٍ تسبقُ أرواحهم أجسادهم إلى الجنة.

وروى زيد بن علي بن الحسين(عليه السلام) أن رسول الله(ﷺ)

(2) مقاتل الطالبيين ص377.

صلى في فخ، وقال: يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، وينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أراواحهم أجسادهم إلى الجنة[1].

علم موسى الهادي بتحركات الحسين بن علي، فعاد مسرعاً إلى بغداد بعد ما كان في الموصل وأمر أن يتولى محمد بن سليمان بن علي الحرب.

وكان قد حج تلك السنة رجال من البيت العباسي منهم محمد بن سليمان، والعباس بن محمد وموسى بن عيسى، واقترح البعض على موسى الهادي أن يعهد بأمر القتال إلى عمه العباس بن محمد، فرفض هذا الاقتراح وقال: لا والله لا اخدع عن ملكي. فعمل محمد بن سليمان على أن يلتقي بالطالبيين قبل دخولهم مكة فخرج منها في أربعة آلاف مقاتل وكان قوام الجيش العباسي من الأمراء الذين قدموا على مكة للحج ومع كل واحد منهم حرسهُ ذلك لأن الطريق كان مخوفاً معوراً من الأعراب- البدو- وكان معهم من القواد والموالي مبارك التركي، والمفضل الوصيف وصاعد مولى الهادي، ومن الوجوه يقطين بن موسى، وعبيد بن يقطين وابو الوزير عمر بن مطرف. فاجتمعوا حين بلغهم توجه الحسين بن علي وصحبهِ إلى مكة، وخلفوا عبيد الله بن قثم للقيام بأمرها وأمر أهلها.

فخرجوا من مكة وعسكروا بقرية ذي طوى وانضم إليهم من وافى تلك السنة في الحج وكثروا جداً فبلغ جيش العباسيين اربعة آلاف رجل وقد حرص محمد بن سليمان على أن يكثر جندهُ في أعين الناس بمكة. أما الحسين بن علي فلم يحتشد لهُ واكتفى بمن معهُ من اهله ومواليه وشيعته الذين وافوهُ بالمدينة، ويبدو إنهُ كان يأملَ أن يوافيه من أهلَ الموسم الذين اتوا معهُ، إلاّ انهُ أصيب بخيبة أمل حين لم يوافهِ احد منهم، فقال الحسين بن علي متمثلاً:

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجباً

موتاً على عجل أو عاش منتصفا

لا تقربوا السهل إن السهل يفسدكم

لن تدركوا المجد حتى تضربوا عنفا[2]

وأرسل الحسين بعض رسله للاتصال بعبيد مكة لينضموا إليه ووعدوهم بتحريرهم، فقدم عليه كثير منهم وانضموا إلى اتباعهِ الآخرين. وعلى ذلك التقى في فخ جيشان غير متكافئين،

(1) مقاتل الطالبيين ص377، تنقيح المقال ج1 ص337، الأعلام ج1ص98، أعيان الشيعة ج26 ص409.

(3) تاريخ الطبري ج8 ص20.

الحسين بن علي في ثلاثمائة رجل، والعباسيون في اربعة الآف رجل، إلاّ إن العباسيين عرضوا على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء.

وحاول الحسين أن يستميل العباسيين فاقعد رجلاً على جمل يحمل سيفاً يلوح به وأخذ الحسين يملي عليه بعض العبارات فينادي بها فصاح: يا معشر الناس يا معشر المسودة هذا الحسين بن رسول الله(ﷺ) وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ) ولكن هذه المقالة لم تجد من العباسيين شيئاً، ولم يجد مجيباً فخص العراقيين بدعوته، لعلهُ أراد أن يستشير فيهم ولاءهم السابق لآل علي، فكان يقول لهم: يا أهل العراق، إنّ خصلتين إحداهما الجنة لشريفتان، والله لو لم يكن غيري لحاكمتكم إلى الله عزوجل حتى ألحق بسلفي.

نظم العباسيون جيشهم فجعلوهُ ميمنة وميسرة وقلباً، قاد العباس بن محمد وموسى بن عيسى الميسرة، وقاد معاذ بن مسلم قلب الجيش ومحمد بن سليمان في الميمنة. ولما أصبح الصدام المسلح وشيكاً، صاح الجند العباسيون: يا حسين، يا حسين، لك الأمان، فقال: ما أريد الأمان.

ودارت معركة رهيبة عند فخ، قاتل فيها الحسين بن علي حتى استشهد على يد حماد التركي الذي رمى الحسين بسهم فقتلهُ، وكافأهُ محمد بن سليمان بأن منحهُ مائة الف درهم ومائة ثوب[3].

وقُتل معهُ سليمان بن عبد الله بن الحسن وعبد الله بن اسحق بن إبراهيم بن الحسن.

أما الحسن بن محمد، فقد أصيب بنشابة بعينه فتركها، وجعل يقاتل أشد القتال، فناداهُ محمد بن سليمان: يا بن خال إتقِ الله في نفسك ولك الأمان.

فقال الحسن بن محمد: والله، ما لكم آمان، ولكني اقبل منكم، ثم كسر سيفاً هندياً كان معهُ في يدهِ، ودخل إليهم، إلاّ أنهم قتلوهُ صبراً.

وهكذا استشهد الحسين بن علي ولم يكن قد تجاوز الأربعين من عمره، كان ذلك يوم التروية (8- ذي الحجة- سنة 169 هجرية / 11- حزيران- 786 ميلادية) وقُتل اغلب اصحابه، ثم احتز رأس الحسين بن علي ورؤوس اصحابه وبلغ عدد الرؤوس أكثر من مائة رأس.

وقدموا بها إلى قواد الجيش العباسي وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين وسأل العباسيون موسى بن جعفر أن يشير إلى رأس الحسين فأشار إلى رأسه وقال: إنا لله وإنا

(3) مقاتل الطالبيين ص379.

إليه راجعون، مضى والله صالحاً صواماً قواماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيتهِ مثلهُ، فلم يجيبوهُ بشيء.

وظلت جثث القتلى ثلاثة أيام من دون أن توارى حتى أكلتها الحيوانات الضارية والطيور الجارحة[1].

ولما قتل أصحاب فخ جلس موسى بن عيسى بالمدينة وأمر الناس بالوقيعة على آل أبي طالب، فجاء موسى بن عبد الله بن الحسن في هيئة رثة وهو شعث أغبر فقعد مع الناس، فصاح به احد أمراء البيت العباسي: يا موسى قال: أسْمَعْتَ فقل.

قال: كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونهُ لبني عمكم المنعمين عليكم؟ فقال موسى بن عبد الله:

بنـــي عمّنـــا ردوا فـــضول دمائنـــا
يـــنم لـــيلكم أو لا يلمنـــا اللّـــوائم
فإنـــا وإيـــاكم ومـــا كـــان بينـــا
كـذي الـسن يقـضي دينـه وهـو راغـم

فقال السري بن عبد الله: والله ما يزيدكم البغي إلاّ ذلّة ولو كنتم مثل بني عمكم سلمتم -يعني موسى بن جعفر- وكنتم مثله، فقد عرف حق بني عمّه وفضلهم عليه فهو لا يطلب ما ليسَ لهُ.

فقال موسى بن عبد الله :

فـــإن الأولـــى تثنـــي علـــيهم تعيبنـــي
أولاء بنـــي عمـــي وعمهـــم أبـــي
فأنـــك إن تمـــدحهم بمديحـــة
تـــصدق وان تمـــدح أبـــاك تكـــذبِ

أما أولئك القادة الذين قضوا على ثورة الحسين وصحبه فقد ظلت ذكراهُ تلاحقهم طويلاً، لقد كانوا يرون أنهم ارتكبوا أثماً عظيماً بقتله، حتى أن موسى بن عيسى كان خائفاً فُيحدثنا الطبري: إنّ احد أصحاب موسى بن عيسى دخل عليه بعدما قضى على الحسين وصحبه، فوجدهُ خائفاً مذعوراً من الذين قتلهم[2].

وإن محمد بن سليمان وهو احد القادة ايضاً، كان إذا رأى اخاهُ جعفراً يقول:

الا ليـــت أمـــي لـــم تلـــدني
ولـــم اشـــهد حـــسينا يـــوم فـــخ

واخبر جماعة من موالي محمد بن سليمان انهُ لما حضرتهُ الوفاة جعلوا يلقنونهُ الشهادة، وهو يقول:

ألا ليـت أمـي لـم تلـدني ولـم أكـن
لقيـت حـسيناً يـوم فـخ ولا الحـسن

ورثاهُ الشعراء بشعر مؤثر ولم يكتفِ الرواة بما تناقلوهُ من مراثي الشعراء بل تناقلوهُ شعراً نسبوهُ إلى الجن والى هواتف لم تعرف[3].

نجا بعض أصحاب الحسين بن علي صاحب فخ بأنفسهم واختلطوا بالحجاج الذين قدموا إلى مكة فلم يستطع العباسيون التوصل إليهم ووقع بعض أصحاب الحسين في الاسر ومنهم اختهُ فاحتجزوها في بيت زينب بنت سليمان.

أقدم العباسيون على قتل الأسرى من آل علي بن أبي طالب ومنهم (سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن اسحق بن إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن السحن بن علي بن أبي طالب، والحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) وأُخذ الأمان لعبد الله بن الحسن بن علي، وللحسين بن علي فحبسا عند جعفر البرمكي وقتلا بعد ذلك.

وجاء موسى بن عيسى إلى بغداد بستة من الأسرى منهم أربعة من أهل الكوفة، فطلب الخليفة الهادي من موسى أن يمثل الأسرى بين يديه فطلب موسى من الخليفة أن يعفو عنهم إذ قد تعهد لهم بذلك وأمنهم على أنفسهم.

فأمر الهادي بقتل أسيرين منهم وعفا عن الباقين، وشفع موسى لأحد هؤلاء فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين، هذا اعلم الناس بآل أبي طالب، فإن أستبقيتهُ دلّك على كل بغيه لك. وأمر الخليفة بمصادرة أموال مبارك التركي لتساهله مع الحسين بن علي وعزله عن منصبه، وجعلهُ من ساسة الدواب!!

كما أبدى الخليفة الهادي غضبهُ على موسى بن عيسى لاقدامه على قتل الحسن بن محمد، وأمر بمصادرة امواله. ولما حُمل رأس الحسين بن علي إلى الخليفة موسى الهاديَ أنشأ يقول متمثلاً:

بنـــي عمنـــا لا تنطقـــوا الـــشعر بعـــدما
دفِنْـــتم بـــصحراء الغمـــيم القوافيـــا
فلـسنا كمـــن كنـــتم تـــصيبون سـلمهُ
فيقبـــلُ قلـــيلاً أو يحكـــم قاضـــيا
ولكـــن حـــدّ الـــسيف فـــيكم مُـــسلط
فنرضـى إذا مـا أصـبح الـسيف راضـيا
فـــإن قلـــتم إنـــا ظُلمنـــا فلـــم نكـــن
ظَلمنـــا ولكنّـــا أســـأنا التقاضـــيا

(1) مروج الذهب ج3 ص336.
(2) تاريخ الطبري ج8 ص202.
(3) مقاتل الطالبيين ص385.

فقد ساءني ما جَرّت الحربُ بيننا
بني عمّنا لو كان أمراً مُدانيا

ثم ذكر الطالبيين وجعل ينال منهم إلى أن ذكر الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) وحلف بالله بقتله، فتكلم معهُ القاضي ابو يوسف حتى سكن غضبهُ[1].

ونقل العلامة المجلسي: إنّ موسى الهادي أمر برجلٍ من الأسرى فوبخهُ ثم قتلهُ ثم صنع ذلك بجماعة من ولد الإمام علي(عليه السلام) وأخذ من الطالبيين وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر، فنال منهُ قال: والله ما خرج حسين إلاّ عن امرهِ ولا اتبع إلاّ محبتهُ، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه.

فقال لهُ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين، أقول أم اسكت؟

فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعتُ من المهدي فيما اخبر به المنصور بما كان من جعفر - يقصد الإمام الصادق(عليه السلام) من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله- وما بلغني عن أبي العباس السفاح فيه من تقريظه وتفضيله، لنبشتُ قبرهُ واحرقتهُ بالنار احراقاً، واخذ ابو يوسف القاضي يلحُ ويهدئهُ حتى سكن غضبهُ[2].

وقد روى المسعودي في مروجهِ[3]، وابن طباطبا في الفخري[4].

إنّ الخليفة موسى الهادي أبدى حزنهُ لمقتل الحسين بن علي، وانزل سخطهُ على الذين دخلوا عليه مستبشرين وهم يحملون رأس الشهيد.

فقال لهم: أتيتموني مستبشرين كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم، انهُ رجل من عترة رسول الله(صلى الله عليه وآله) إلاّ أن اقل جزائكم عندي أن لا أثيبكم شيئاً.

وهكذا ذرف موسى الهادي الدموع على صاحب فخ وبالأمس أبدى المنصور ألمهُ وحزنهُ لمقتل محمد ذو النفس الزكية.

فهل كان الخليفتان صادقين في مشاعرهما وحزنهما؟؟ أم إنهما قد أدركا ان الأمر قد انتهى لصالحهما، فلم يجدا بأساً في التظاهر بالحزن والأسى، حتى لا يظهر بمظهر الشامتين في أعدائهما القاطعين لصلة الرحم التي تربطهم بأبناء عمومتهم العلويين؟؟

أم أراد الخليفتان تسكين الخواطر الحزينة وتهدئة النفوس الثائرة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول: إنّ الله هو وحدهُ علاّم الغيب وأعلم بالسرائر والضمائر.

ولكننا نعتقد أن الخليفة موسى الهادي قد أراد ان يخفف من ثورة وسخط المسلمين عليه إذ أغضبهم مصرع حفيد للرسول ولعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ونرى هذا واضحاً من خلال المصادر التي تشير إلى مصادرة موسى الهادي أموال عيسى بن موسى لانهُ أقدم على قتل الحسن بن محمد، على الرغم مما ابداهُ موسى بن عيسى من إخلاص للخليفة ومن استبسال في القتال. ولانعتقد ان الخليفة الهادي كان رقيق الإحساس مرهف الشعور بحيث يتألم لمقتل رجل يعتبرهُ خصماً قوياً وعدواً لدوداً لهُ.

والمؤرخون جميعاً يجمعون على وصف الهادي بالقسوة والغلظة قاسي القلب، شرس الأخلاق وقد اتضحت هذه الطباع في معاملته لعامة الناس وخاصتهم، بل لأمّه الخيزران، فقد كان الخليفة يبدي غيرة شديدة على أمه وينهاها عن لقاء طلاب الحاجات الذين يقصدونها لتتوسط لدى أبنها الخليفة لقضائها ويتهم بعض المؤرخين الخيزران بأنها دبرت مقتل ابنها الهادي حينما اشتد في معاملته[5].

تولى موسى الهادي الخلافة في محرم من سنة (169 هجرية / آب- 785ميلادية) وهو في الرابعة والعشرين من عمره ومات في منتصف ربيع الأول من سنة 170 هجرية، فتكون مدة خلافتهُ ثلاثة عشر شهراً، ولم يعش بعد واقعة فخ إلاّ ثلاثة أشهر فقط وجاء من بعده هارون الرشيد. عندما عَلِمَ والي المدينة عمر بن عبد العزيز بمصير الحسين بن علي وأصحابه في فخ، فأراد أن ينفس عن أحقاده وسخطه فأحرق دور اهله وصادر أموالهم واستولى على نخلهم وضمها إلى بيت المال. ثم قام بحرق النخيل وقبض ما لم يحرقهُ[6].

وهكذا يُسدل الستار على مأساة تضاف إلى مآسي مقاتل الطالبيين وانتهت ثورة الحسين بن علي صاحب فخ وصحبه بالإخفاق وشهدت ضواحي مكة المكرمة إراقة دماء علوية أخرى مثلما شهدت المدينة بالأمس إراقة دماء محمد ذو النفس الزكية في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة.

لقد تجلت بطولة وإرادة شهيد فخ في المعركة وثورته على

(1) المناقب لابن شهر أشوب ج4 ص306.
(2) بحار الأنوار ج48 ص151.
(3) مروج الذهب ج3ص337.
(4) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص190.
(5) تاريخ الطبري ج6 ص423، مروج الذهب ج3 ص324.
(6) تاريخ الطبري ج6 ص417.

العباسيين في مطالبه وإحقاق حقه الثابت العادل وضحى بنفسه دفاعاً عن مبدئه وايماناً بعقيدته.

إنّ ثورة الحسين بن علي في الواقع امتداد للتك الثورات الدامية التي سبقتها من قبل مثل ثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، ومحمد ذو النفس الزكية، وإبراهيم بن عبد الله، التي قاومت الظلم والاستبداد والقسوة تلك التضحيات الجسيمة التي شاء التاريخ أن يعزز صفحاته بذكر ثوراتهم وعناوينهم المشرقة فتبقى خالدة على امتداد رقّعة التاريخ.

لقد بكاهُ الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ودعا لهُ بالرحمة والمغفرة وعلى عدوه وقاتله بالدمار والموت والفناء والويل والثبور وقد ذكر أكثر المؤرخين، ان الإمام الكاظم(عليه السلام) دعا بدعاء خاص على قاتله وأراح الله آل علي من شره وفسقه، وفي هذا الدعاء يتضرع الإمام إلى الله سبحانهُ وتعالى ويشرح ببديع بيانه روائع أسلوبه ما حلّ بشهداء فخ من مصائب وكوارث.

فقد ذكرهُ السيد ابن طاووس في مهج الدعوات، والعلامة المجلسي في البحار، والمحقق عباس القمي، والسيد العاملي، والشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا والمناقب لابن شهر آشوب وغيرهم[1].

وقد رثاهُ الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) بقوله: مضى والله مسلماً، صالحاً صواماً، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله.

وقال عنهُ الإمام محمد الجواد(عليه السلام): لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ.

آراء المؤرخين في الثورة

هل كانت ثورة الحسين بن علي صاحب فخ ثورة قامت نتيجة خطة مرسومة وتنظيم دقيق سابق لإعلان الثورة؟

وهل كان الحسين ينوي إعلان الثورة وانهُ اتخذ للأمر عدته؟ وهل قامت الثورة نتيجة ظروف معينة وخضعت في ظروفها لتطور الأحداث تطوراً سريعاً؟

وهل كانت سياسة والي المدينة نحو العلويين واضطهاده لهم واستفزازه لمشاعرهم هو العامل الرئيس في قيام هذه الثورة؟

يرى بعض المؤرخين ان الحسين بن علي كان ينوي الخروج على الهادي وإعلان الثورة قبل ذلك الحدث الذي كان بين العلويين ووالي المدينة عمر بن العزيز وان ذلك النزاع الذي قام بين الفريقين هو الذي عجل بظهور الثورة.

فجاء في حديث الطبري عن ثورة الحسين بن علي: وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو مكة في موسم الحج[2].

وذكر ابن طباطبا في الفخري هذا الرأي بأكثر صراحة ووضوحاً من الطبري فقال: كان الحسين بن علي من رجال بني هاشم وساداتهم وفضلائهم وكان قد عزم على الخروج واتفق معهُ جماعة من أعيان بيته، ثم وقع من عامل المدينة لبعض آل علي(عليه السلام) فثار آل أبي طالب بسبب ذلك واجتمع إليهم ناس كثيرون[3].

وإذا أخذنا برأي هذين المؤرخين فعلينا ان نجزم بأن الثورة كانت مبيتة وامراً مقضياً وان اضطهاد والي المدينة لآل علي كانت نقطة الانطلاق أو ساعة الصفر بلغة عصرنا هذا.

ولكنا نرى انه من العسير تأكيد هذا الرأي إذ لم تمدنا المصادر بأخبار الإعداد والتجهيز لهذه الثورة وهو ما لمسناهُ في ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم في المصادر. لقد تحدثت هذه المصادر -كما مرّ علينا- عن تشجيع عبد الله بن الحسين ابنهُ محمد النفس الزكية على المطالبة بالخلافة وتحملهُ الأذى والسجن في سبيل الحيلولة دون وصول أيدي المنصور إلى ابنه. ورأينا محمداً النفس الزكية يبعث بدعاته إلى الأمصار الإسلامية المختلفة وشهدنا جهود إبراهيم بن الحسن في نشر الدعوة في البصرة والأهواز وفارس.

أعلن الحسين بن علي ثورته في شهر ذي القعدة سنة 169 هجرية وكان الهادي قد تولى الخلافة في أواخر شهر محرم من السنة نفسها لقد اهتم الطبري[4]، بالإشارة إلى الفترة ما بين تولية الهادي الخلافة وخروج الحسين فقال إنها تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً وهي فترة قصيرة لا تكفي للإعداد لثورة علوية شيعية تقضي على خلافة عباسية نجحت في توطيد أركانها، وتثبيت أقدامها في أرجاء العالم الإسلامي وخاصة ان المصادر لم تشر إلى تهيؤ العلويين للثورة في عصر المهدي العباسي وقد شهدنا الرقابة المحكمة التي فرضها على العلويين سواء من أقام منهم ببغداد أم في المدينة.

كما أمر ولاته وعمال بريده بالمدينة بتفقد نشاط العلويين وتحركاتهم مما لم يوجد مجالاً لأي إعداد لثورة شيعية.

يمكن ان نقف موقفاً وسطاً فنقول ان الحسين بن علي كان مثلهُ مثل سائر آل علي بن أبي طالب يتطلع إلى الخلافة ونعتقد

(1) مهج الدعوات ص220، أعيان الشيعة ج4 ص30، بحار الأنوار ج11ص278، سفينة البحار ج1ص 156، المجالس السنية ج5ص 302، عيون أخبار الرضا ج1ص80، المناقب لابن شهر آشوب ج4 ص307.

(2) تنقيح المقال ج1ص337، عمدة الطالب ص17، أعيان الشيعة ج26ص409.

(3) الفخري في الآداب السلطانية ص190.

(4) تاريخ الطبري ج6 ص401.

ان العباسيين قد اغتصبوا حقه المشروع فيها، وانهُ كان لابأس لديه من أن يعلن ثورته إذا تهيأت لهُ الظروف، وكان النزاع بينه وبين والي المدينة هو الذي هيّأ لهُ تلك الظروف. ولكننا نقول ايضاً ان الحسين بن علي لم يهتم بتنظيم دعوته ولم يبعث دعاته إلى الأمصار، ولم يهيئ من القوات المسلحة ما يمكنهُ من مواجهة الجيوش.

كما انهُ تعجل بإعلان الثورة قبل توفر إمكانيات النجاح لها مما مكن العباسيين من القضاء عليها في سهولة ويسر.

عوامل إخفاق الثورة

تحدث الطبري فقال: وقدم محمد بن سليمان على رأس عدد كبير من الجند العباسيين، ولم يحتشد لهم حسين فأتاهُ خبرهم وهم بقربه، فخرج بخدمه واخوانه[1].

وتحدث الأصفهاني عمن انضم إلى الحسين حينما أعلن الثورة في المدينة فقال: ووجهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فأجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي، وعشرة من الحجاج ونفر من الموالي[2].

لذلك لم تستطع جماعة الحسين بن علي الصمود طويلاً أمام القوات العباسية الكثيرة العدد المزودة بالسلاح الوفير ونجح العباسيون بعد معركة قصيرة محدودة من قتل الحسين ومعظم أصحابه فقد كان محمد بن سليمان قدامهُ تسعون حافزاً، ما بين فرس إلى بغل وهو على نجيب عظيم وخلفهُ أربعون راكباً على النجائب عليها الرجال وخلفهم ما بين راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرجالة وغيرهم وكثروا في أعين الناس جداً وملؤوا السكك.

ومن عوامل إخفاق ثورة الحسين بن علي ايضاً امتناع بعض أهل المدينة عن الانضمام إلى ثورته وامتناع بعض العلويين عن الخروج مع الحسين وفي مقدمتهم الحسن بن جعفر بن الحسن.

ومن عوامل إخفاق ثورة الحسين بن علي امتناع وجوه مكة المكرمة عن تأييد الثورة لتشجيع أصحاب الحسين بن علي الرقيق على الفرار من أسيادهم فروى الطبري: ونادى أصحاب الحسين بمكة: أيما عبد أتانا فهو حر، فأتاهُ العبيد وقال أحد وجوه مكة للحسين: عمدتَ إلى مماليك لم تملكهم فأعتقتهم بم تحتل ذلك.

وكان قيام ثورة الحسين بن علي في موسم الحج من عوامل إخفاقها فالخليفة موسى الهادي لم يبعث لهُ بجيوش نظامية كبيرة العدد من العراق، إنما اكتفى بالجند والحراس الذين كانوا يرافقون وجوه العباسيين الذين رحلوا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في تلك السنة.

وكانت قوافل الحجاج تخرج في حراسة عدد من الجند المسلمين لحمايتها من هجوم قطاع الطرق من البدو والأعراب وقد استعان الهادي بهؤلاء في القضاء على ثورة الحسين. ولو لم تقم ثورة الحسين في موسم الحج لاضطر الهادي إلى انفاذ جيوشه من العراق ولأصبح لدى الحسين متسع من الوقت يحتشد فيه أصحابه ويوفر لهم الأسلحة وينظم صفوفه، بل ان الجند العباسيين قد بادروهُ وهو في طريقه من المدينة إلى مكة وقاتلوهُ في منطقة عراء مكشوفة ومنعوا كل معونة قد يقدمها لهُ أهالي مكة.

كما قامت الثورة في شهر ذي القعدة وهو من الشهور الحرام التي يجد المسلمون حرجاً في القتال فيها، كما ان موسم الحج هو الموسم الذي يعتمد عليه غالبية أهل الحجاز في معاشهم ومواردهم الاقتصادية حيث يقدم آلاف الحجاج من شرق الأرض وغربها ولذا انصرف كثير من أهالي مكة والمدينة إلى أعمالهم وتجارتهم وكسب عيشهم.

وقد عرفنا من عوامل إخفاق ثورة عبد الله بن الزبير ايضاً في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لابن الزبير في مكة في موسم الحج.

وهكذا انتهت صفحة أخرى من صفحات الثورات الشيعية في العصر العباسي الأول انتهت ثوراته البطولية بفاجعة مرّوعة وتضحية عظيمة استشهد فيها أكثر من مائة شهيد من اؤلئك الثوار الأبطال.

إلاّ أنّ الخليفة العباسي موسى الهادي لم يكن ليستقر أو يشعر بالطمأنينة على ملكه وهو يرى الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) حراً طليقاً يمارس دورهُ العلمي، فقرر اعتقال الإمام وسجنهُ وراح يهددهُ ويتوعدهُ. فعلم الإمام بنوايا الخليفة العباسي فلم تفزعهُ ولم يعبأ بها فقد كان واثقاً من نهاية هذا الحاكم ومن نهاية ظلمه وتسلط حكومته.

وينتهى الصراع بين الإمام وبين هذا الحاكم العباسي لتبدأ مرحلة جديدة بين الإمام وبين الحاكم العباسي الجديد هارون الرشيد.

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في الديلم في عهد هارون الرشيد سنة 175 / هجرية 792 ميلادية

شهد عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد ثورتين

(1) تاريخ الطبري ج6 ص414.
(2) مقاتل الطالبيين ص375.

شيعيتين قام بهما يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قام يحيى بثورته في الديلم بينما ثار إدريس في المغرب. والأخوان هما شقيقا محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم اللذين أعلنا ثورتهما في عهد المنصور وسالت دماؤهما في المدينة والبصرة ومرّ علينا ذلك.

انتهت حياة الخليفة موسى الهادي سريعاً بعد شهور قليلة من مأساة فخ واستشهاد الحسين بن علي صاحب فخ، فأرتاحت نفوس الشيعة بنهاية عهد هذا الخليفة الذي اشتهر بالغلظة والقسوة.

لقد بدء هارون الرشيد سياسة جديدة نحو العلويين فرأى مسالمتهم والإحسان إليهم وشجعهُ وزيرهُ جعفر بن يحيى البرمكي على انتهاج هذه السياسة وتحقيقاً لهذه السياسة فقد أمر بالإفراج عن الطالبيين المسجونين في بغداد، وسمح لهم بالعودة إلى المدينة وتم الإفراج عنهم جميعاً عدا احدهم هو العباس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وقد لاقت هذه السياسة الجديدة استحساناً وثناءً من جماعات كثيرة من الناس، وأمر هارون الرشيد ايضاً بعزل عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة الذي اضطهد العلويين وكانت سياسته سبباً في تفجر ثورة الحسين بن علي وقد مرّ علينا أن هذا الوالي بعد موقعة فخ كان يخرب دور العلويين ويقطع نخلهم ويصادر أموالهم.

وأمر هارون الرشيد بمصادرة أملاك محمد بن سليمان الذي قاد الجيوش العباسية التي قضت على ثورة الحسين بن علي في موقعة فخ سنة 169 هجرية فقد مات محمد بن سليمان سنة 173 هجرية فصادر الرشيد املاكهُ وبلغت الأموال المصادرة ستين مليون درهماً وزعها الرشيد على الندماء والمغنين، كما اصطفى الرشيد ضياعهُ بالأهواز[1].

عاد المسجونون من آل علي بن أبي طالب من بغداد إلى المدينة المنورة ولكن كان هناك أخوان علويان قد نجوا من القتل في موقعة فخ وأصبحا بمنجاة من قبضة العباسيين وهما يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن الحسن.

شخصية يحيى بن عبد الله

كان يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) رجلاً يحمل بين جنبيه مثل ما حمل العلويون من صبر على النكبات، تلقى في حداثة سنه أفدح ما يلقاهُ أمرؤ في أهله وذويه، فقد قُتل ابُوه واعمامهُ واخواهُ محمد وإبراهيم وأبناء عمومته أيام المنصور إلاّ انهُ نشا نشأة صالحة، إذ رباهُ الإمام الصادق(عليه السلام) فكان يحيى يسميه حبيبي وإذا حدّث عنهُ قال: حدثني حبيبي جعفر بن محمد فيمن أوصى إليهم من ذويه فكان يلي أمر تركاته والاصاغر من ولده، جارياً على أيديهم.

وكان يحيى حسن المذهب والهدى مقدماً في آل بيته، بعيداً مما يعاب على مثله، وروى الحديث والرواية. وكان يحيى موضع تقدير مالك بن انس الذي كان يقوم لهُ عن مجلسه ويجلسهُ بجانبه[2].

وحين عزم الحسين بن علي صاحب فخ على ثورته كان يحيى من اشد انصارهُ اندفاعاً وإخلاصا لهُ، ويحيى هو الذي فجر الثورة في المدينة حين قصد أميرها بالسيف ثم تصديه لخالد البربري وقتله، ثم شهد وقعة فخ واستطاع أن يفلت منها واستتر مدة يجول في البلدان ويطلب موضعاً آمناً يلجأ إليه.

وظل يحيى بن عبد الله ينتقل بين كثير من البلاد حتى استقر في بلاد الديلم.

روى الأصفهاني: إنّ الفضل بن يحيى البرمكي كان عالماً بموضع يحيى وانهُ أحسن معاملتهُ وأمنهُ على نفسه، فروى: أن يحيى بن عبد الله لما قتل أصحاب فخ كان في قبلهم، فأستتر مدة يجول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ إليه وعلم الفضل بن يحيى بمكانه في بعض النواحي، فأمرهُ بالانتقال عنهُ وقصد الديلم وكتب لهُ منشوراً أن لا يتعرض لهُ احد[3].

ظهر يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم حيث كثر انصارهُ وقدم إليه كثير من الأنصار فاشتدت شوكتهُ وقوي امرهُ ونزع إليه الناس وممن تبعهُ وخرج يحيى بن مساور وعلي بن هشام بن البريد العائذي الكوفي، وعامر بن كثير السراج وسهل بن عامر البجلي وعبد ربه بن علقمة وفحول بن إبراهيم النهدي وغيرهم، كما قدم إليه أنصار من المناطق المجاورة.

وقد نتساءل: لماذا اختار يحيى بن عبد الله بلاد الديلم لتكون مركزاً لثورته؟؟

يوضح الطبري سبب ذلك فيروي أن رجلاً توجه إلى يحيى بالسؤال فقال:

كيف تخيرت الدخول إلى الديلم من بين النواحي؟

فأجاب يحيى: إنّ للديلم معنا خرجة فطمعتُ أن تكون معي[4].

علم هارون الرشيد بنشاط هذا الزعيم العلوي فقد قدمَ عليه رجل وطلب منهُ أن يختلي به يتحدث معه في أمر من أسرار الخلافة ثم نقل إليه صورة لدعوة يحيى فقال: كنتُ في

(1) تاريخ الطبري ج 6 ص446.

(2) مقاتل الطالبيين ص389.

(3) مقاتل الطالبيين ص390.

(4) تاريخ الطبري ج 6 ص450.

خان من خانات خلوان، فإذا بيحيى بن عبد الله في دراعة صوف غليظة وكساء صوف احمر غليظ ومعهُ جماعة ينزلون إذا نزل ويرتحلون إذا رحل ويكونون معهُ ناحية، فيوهمون من رآهم أنهم لا يعرفونهُ وهم أعوانه مع كل واحد منهم منشور بياض يؤمن به أن عرض لهُ.

يؤكد المؤرخون أن أمر يحيى بن عبد الله قد أغم الرشيد وأهمهُ فرأى الرشيد أن يقف من ثورة يحيى موقفاً حازماً واستشار يحيى بن خالد البرمكي في أمر هذا العلوي فأشار عليه بإنفاذ ابنهُ الفضل بن يحيى وأمدهُ بجيش عدتهُ خمسون الف رجل وتولى قيادتهُ صناديد القواد وولى الرشيد الفضل على كور الجبال والري وجرجان وطبرستان وقومس وديباوند والريان، وأمدهُ الرشيد ايضاً بكثير من الأموال وولى الفضل قوادهُ على الكور فولى المثنى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم على طبرستان وولى الحجاج الخزاعي على جرجان ثم عسكرهُ الفضل بالنهرين واقبل الشعراء على الفضل يمتدحونهُ فأعطاهم اموالاً كثيرة.

وهكذا استطاع الفضل بإغداق الأموال الكثيرة أن يشتري القلوب ويضمن الولاء وانطلقت ألسنة الشعراء بمديح الخليفة العباسي والفضل، وقد كان الشعر في هذا العصر من امضى وسائل الدعاية والإعلام. نصح هارون الرشيد الفضل بن يحيى بأن يلجأ إلى الوسائل السلمية قبل أن يلجأ إلى القتال.

يروي الاصفهاني: وولى الرشيد الفضل بن يحيى جميع كور المشرق وخراسان وامرهُ بقصد يحيى والخديعة به وبذل لهُ الأموال والصلة قبل ذلك[1].

تنفيذ الخدعة

بدأ الفضل بن يحيى البرمكي تنفيذ المهمة التي عهدها بها الرشيد إليه واتخذ في سبيل ذلك وسيلتين، فقد كتبَ إلى يحيى بن عبد الله يستميلهُ ويحذرهُ ويخوفهُ ويرغبهُ، وكتب إلى صاحب الديلم يحذرهُ من التعاون مع الثائر العلوي ويهددهُ بالعقاب إذا لم يقنع الثائر بالعدول عن الثورة وأرفق الفضل رسالتهُ بمليون درهم[2].

أدرك يحيى بن عبد الله خطورة الموقف إذا أقدم الفضل بن يحيى بجيش قوامهُ خمسين الف مقاتل وسدّ عليه المنافذ ونجح في إرغام صاحب الديلم على التخلي عن مناصرة الثورة العلوية.

روى الأصفهاني: أن يحيى بن عبد الله لما علم بقدوم الفضل بن يحيى قال: اللهم اشكر لي إخافتي قلوب الظالمين، اللهم إن تقضِ لنا النصر عليهم فإنما نريد إعزاز دينك، وإن تقضِ لهم النصر فيما تختار لاوليائك وأبناء أوليائك من كريم المآب وسني الثواب. وعلم الفضل بما قالهُ يحيى بن عبد الله فقال: يدعو الله ان يرزقهُ السلامة فقد رزقها[3].

رأى يحيى بن عبد الله الاستجابة لدعوة السلام التي وجهها الفضل بن يحيى إليه، ولكنهُ اشترط أن يكتب الرشيد لهُ ولسبعين من رجاله عهد الأمان يشهد عليه القضاة والفقهاء وشيوخ بني هاشم. فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك فوافق وأبدى سرورهُ وبعث الرشيد بعهد الأمان وارفقهُ بالهدايا والجوائز.

ومهما يكن فقد سرّ الرشيد هذه النتائج ولقي الفضل بن يحيى بترحاب كبير وهدايا وصلات وبالغ الرشيد في اكرامه، وكذلك فعل مع يحيى بن عبد الله فقد رحب به وادناهُ ووصلهُ وسمح لهُ بالعودة إلى موطنه الحجاز، ليرعى أيتام الطالبيين الذين ذهب آباوهم ضحايا حروبهم مع السلطة العباسية. وقد عبر شعراء البلاط العباسي عن مشاعر السلطة بهذا الانجاز فقال مروان بن أبي حفصة:

ظفـــرت فـــلا شـــلت يـــدٌ برمكيـــةٌ
رتقـت بهـا الفتـق الـذي بـين هاشـم
علـى حـين أعيـا الـراتقين التئامـة
فكفـــوا وقـــالوا لـــيس بـــالمتلائم

كما امتدح الشاعر ابو تمامة الخطيب الفضل بن يحيى وما قام به من توفيق بين بني هاشم فأنشد:

ســـد الثغـــور ورد الفـــة هاشـــم
عـــد الـــشتات فـــشبعها متـــدان
عـــصمت حكومتـــه جماعـــة هاشـــم
مـــن أن يجـــرد بينهـــا ســـيفان

الأسباب التي دفعت يحيى بن عبد الله إلى عدم القيام بالثورة؟

اختلف المؤرخون حول السبب الذي دفع يحيى بن عبد الله إلى عدم القيام بالثورة.

لعل أول هذه الأسباب هو عدم اطمئنانه إلى صاحب الديلم بعد أن خضع لتهديد العباسيين وقَبِلَ صلاتهم إذ بعث إليه الفضل بن يحيى مليون درهم، وكان يحيى يعتمد في ثورته على أهل الديلم الذين كانوا ساخطين على الدولة العباسية ومهيئين للثورة عليها. ومن الأسباب ايضاً هو وجود جماعة

(1) مقاتل الطالبيين ص392.
(2) جهاد الشيعة ص283.
(3) مقاتل الطالبيين ص393.

من أهل الكوفة فيهم ابن الحسن بن صالح بن حي، وهو من زعماء الشيعة الزيدية البترية(*)[1].

كان ابن الحسن بن صالح شوكة في جنب ثورة يحيى وكان من عوامل تفرق أصحابه عنهُ وضعف ثورته، وكان ابن الحسن يشرب النبيذ ويمسح على الخفين ويخالف يحيى في امرهِ ويفسد أصحابه.

روى الأصفهاني: إن رجلاً أهدى بعض الفاكهة إلى يحيى بن عبد الله فدعا بعض أصحابه إلى مشاركته في أكلها فغضب ابن الحسن بن صالح، وقال: هذه الاثرة أتأكلهُ أنت وبعض أصحابك دون بعض؟

فقال لهُ ابن الحسن: لا ولكنك لو وليت هذا الأمر لاستأثرت ولم تعدل[2].

أدرك يحيى بن عبد الله أن تلك الفرقة التي سادت بين أصحابه أصبحت تهدد ثورته فرأى قبول ماعرضهُ عليه الفضل بن يحيى البرمكي من مسالمة. ويروي الاصفهاني أن قبول يحيى بن عبد الله للسلم لما رأى من تفرق اصحابه وسوء رأيهم فيه وكثرة خلافاتهم عليه[3].

لم تدم العلاقات بين الرشيد ويحيى بن عبد الله فوشايات خصوم العلويين في الحجاز لم تدع يحيى ينعم بما آل إليه امرهُ فحملهُ الرشيد إلى بغداد ووضعهُ في السجن. فقدم أشخاص من أهل الحجاز تحالفوا على الوشاية بيحيى بن عبد الله والشهادة عليه بانهُ يدعو إلى نفسه وان امانهُ منتقض، فوافق ذلك ما كان في نفس الرشيد له وهم كل من عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، وابو البحتري ووهب بن وهب، ورجل من بني زهرة ورجل من بني مخزوم. فوافوا الرشيد واحتالوا إلى أن امكنهم ذكرهم لهُ فبعث الرشيد ليحيى وحبسهُ.

ثم دعا الرشيد إليه القضاة والفقهاء ليجدوا لهُ مخرجاً ليتحلل من العهد الذي بذلهُ ليحيى ولينقض الأمان الذي منحهُ لهُ، فقدم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وابو البحتري ووهب بن وهب، وبعث الرشيد في استدعاء يحيى بن عبد الله من سجنهِ ليشهد هذا المجلس. وقدّم مسرور خادم الرشيد العهد لمحمد بن الحسن ليبدي رأيه فيه فقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه.

فقال مسرور: هاته، فدفعهُ إلى الحسن بن زياد اللؤلؤي الذي قال بصوت ضعيف: هو أمان.

وانتزع مسرور العهد من أيدي الحسن واعطاهُ إلى أبي البحتري وهب بن وهب فقال: هذا باطل منتقض قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فأقتلهُ ودمهُ في عنقي!!.

وأبدى الرشيد سرورهُ وقال لابي البحتري: أنت قاضي القضاة وأنت علم بذلك واعطاهُ الف الف وستمائة الف، وولاهُ القضاء وصرف الآخرين، ومنع محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة.

فمزق ابو البحتري الأمان. فكان للرشيد ما أراد وأمر بإعادة يحيى إلى سجنهِ[4].

وكان الرشيد يستدعي يحيى من سجنهِ فيناظرهُ ثم يعيدهُ إلى السجن، فقد حاول الرشيد ان يعرف من يحيى انصارهُ الذين بايعوهُ وخرجوا معهُ فقد كان يرى في بقائهم خطراً على دولته، إلاّ انهُ فشل في معرفة اسمائهم. مرة دعا الرشيد يحيى وقال لهُ: إتقِ الله وعرفني أصحابك السبعين لئلا ينتقض أمانك.

فقال يحيى: ياأمير المؤمنين وأنا رجل من السبعين فما الذي نفعني من الأمان، أفتريد أن ادفع اليك قوماً تقتلهم معي، لا يحل لي هذا، والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها عنهم[5].

ومن المؤكد أن الرشيد اراد معرفة اسماءهم ليقضي عليهم. ولما يئس الرشيد من الحصول على شيء من يحيى اغتالهُ.

اغتيال يحيى بن عبد الله

اختلف المؤرخون في مصير يحيى بن عبد الله، فروى الطبري ان يحيى كان حين حضر هذا المجلس - الذي اشرنا إليه سابقاً - وقد لاحظ الرشيد ذلك فقال لمجالسيه بعد انصراف يحيى: أما ترون به أثر علة، هذا إنْ مات قال الناس سمّوهُ، فما مكث يحيى بعد هذا إلاّ شهراً حتى مات[6].

أما المسعودي فقد روى رواية غريبة فقال: إنّ يحيى بن عبد الله الُقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو إليه، فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي[7].

(*) الزيدية البُترية: نسبة إلى بتر وهو لقب كان يتلقب به المغيرة بن سعد وهو احد زعماء الشيعة الزيدية، وهم يعترفون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في السنوات الست من خلافة عثمان ويحكمون عليه بالتكفير بعد ذلك وقد جوزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضياً بذلك وقالوا: من شهر سيفهُ من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام. راجع: 1- الملل والنحل ج 1 ص161.

(2) مقاتل الطالبين ص 392.

(3) المصدر السابق ص 401.

(4) تاريخ بغداد ج14 ص110.

(5) تاريخ الطبري ج6 ص454.

(6) مروج الذهب ج3 ص 252.

(7) تاريخ بغداد ج2 ص422.

ويروي الخطيب البغدادي: انهُ سقي السم، فشكا ذلك إلى الرشيد فدعا به إلى مجلسه وقال: إنّ هذا يدعي بأني سقيتهُ السم، فوالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه وعليّ إيمان البيعة إن كنت سقيتهُ السم، ولا أموت احداً بسقيه.

واتفق اليعقوبي والأصفهاني على أن يحيى بن عبد الله مات جوعاً وعطشاً[1].

فقد رويا أن هارون الرشيد خرج إلى سجن يحيى فأمر بضربه مائة عصا ويحيى يناشدهُ الله والرحم والقرابة من رسول الله(ﷺ) ويقول: بقرابتي منك.

ثم سأل عن طعامه، فقالوا للرشيد: أربعة أرغفة وثمانية أرطال ماء.

قال الرشيد: اجعلوه على النصف.

وبعد أيام جاء الرشيد إلى السجن وضرب يحيى مائة عصا، وسأل عن طعامه فقالوا: رغيفين وأربعة أرطال من الماء ثم خرج الرشيد وعاد ثالثة، فمرض يحيى وثقل، ولما دخل الرشيد سأل عن طعامه، فقالوا: رغيفين وأربعة أرطال من الماء.

فقال الرشيد: اجعلوهُ إلى النصف.

ثم خرج الرشيد وبعد أيام عاد وسأل عن طعامه فقالوا: رغيفاً ورطلين من الماء.

فقال الرشيد: اجعلوه إلى النصف.

ثم خرج الرشيد ولم يلبث يحيى بن عبد الله حتى مات وهو في السجن.

بقي يحيى بن عبد الله من دون طعام وشراب مدة تسعة أيام وفي اليوم العاشر مات يحيى جوعاً وعطشاً فأخرج إلى الناس ودفن.

وهكذا انتهت حياة يحيى بن عبد الله وعلى الرغم من فشل ثورة يحيى إلاّ انهُ استطاع أن يغرس في بلاد الديلم غرساً لم يلبث أن نما وازدهر، فكانت تلك البلاد ملجأ للعلويين المطاردين من قبل السلطة حيث الأنصار والمؤيدين الذين استطاعوا ان يؤسسوا فيما بعد دولة للعلويين استمرت ردحاً من الزمن.

لقد قامت هذه الثورة في الأطراف الشرقية من الدولة العباسية في بلاد الديلم وهذه هي أول مرة في العصر العباسي تشهد قيام ثورة علوية في هذه الأرجاء.

لقد استشهد الزعماء العلويون الذين ثاروا في وجه الدولة العباسية وهم في ميادين القتال شاهرين السيوف، ولكن شاء الله أن تكون نهاية يحيى في سجن الرشيد بعد أن اطمأن إلى امانه وعهوده فترة ثم تلاحقت الأحداث سريعاً لتضيف حدثاً جديداً في سجل مقاتل الطالبيين.

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب في سنة 175 هجرية /792 ميلادية في عهد هارون الرشيد.

شهد الجناح الغربي من الدولة العباسية ثورة شيعية أخرى قام بها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مثلما شهد الجانب الشرقي ثورة أخيه يحيى.

وقد قامتا في وقت واحد، وكانت كل منهما تكمل الأخرى وتتكاتفان على إثارة قلق الرشيد الذي بذل جهودهُ في القضاء على الثورتين وان اختلفت الوسائل التي انتهجها في سبيل ذلك، ولكن كانت خاتمة حياة الزعيمين العلويين على يد الرشيد في وقت متقارب.

نجا ادريس بن عبد الله من موقعة فخ في سنة 169 هجرية، فخرج مع مولى يقال لهُ راشد وانضما إلى قافلة حجاج مصر والمغرب، فمكثا فترة في دار من موالي بني العباس قبل إيوائهما والتستر عليهما حتى إذا علم ادريس بخروج البريد إلى افريقيا، صحبهُ واستطاع الافلات من المسالح الممتدة على الطريق حتى وصل إلى مدينة فاس وطنجة فأقام بها والتف البربر حولهُ وقد كانوا ساخطين على الحكم العباسي، ودعا ادريس لنفسه فأستجاب البربر لدعوته واستطاع التغلب على المغرب وتلمسان ونجح في سنة 172 هجرية في أقامة دولة مستقلة عن الدولة العباسية وتلقب بإمرة المؤمنين.

كانت المغرب وأفريقيا فيما يبدو مهيّأة لاستقبال أي دعوة لضعف السلطة بها، واضطراب شؤونها على الولاة والقواد ولما كانت افريقيا حتى ذلك الحين تشكل عبئاً على الخزينة إذ كان يرسل في كل سنة مائة الف دينار من واردات مصر لسد نفقات الحكومة، وعين الرشيد إبراهيم بن الأغلب حاكماً على افريقيا وجعل حكمها وراثياً في اسرته، ومنذ ذلك الحين اصبحت افريقيا إمارة تتمتع بالحكم الذاتي[2].

إلاّ أن ادريس نجح في إقامة دولة علوية هناك. أدرك الرشيد خطورة الموقف فقد كانت ثورة ادريس تهدد النفوذ العباسي في شمال افريقيا وخاصة انهُ قامت دولة أموية في الأندلس أعلنت عداءها للدولة العباسية وقد كان من العسير إنفاذ جيوش عباسية للقضاء على ثورة ادريس التي تزداد يوماً بعد يوم، لبعد المسافة ووعورة الطريق ولذلك عدل الرشيد عن

(1) تاريخ اليعقوبي ج2ص286، مقاتل الطالبيين ص402.

(2) مختصر تاريخ العرب ص 222.

انتهاج الطريق الحربي وسلك طريقاً آخر وهو اغتيال زعيم هذه الثورة ادريس بن عبد الله.

يروي الأصفهاني روايتين حول اغتيال ادريس، أما الرواية الأولى فتذهب إلى ان الرشيد استشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي في أمر ادريس فتعهد بأن يكفيه الأمر، ونجح يحيى البرمكي في إغراء احد زعماء الزيدية البترية وهو سليمان بن جرير الجزري، بأن يغتال ادريس بالسم فخرج سليمان إلى المغرب ونجح في الفوز بثقة ادريس ثم اعطاهُ قارورة زعم أن بها عطراً من العراق ليس في المغرب مثل هذا العطر، فقبلها ادريس وتغلل بها وشمّها فكان بها سم شديد وسقط ادريس مغشياً عليه وفي المساء مات وفطن انصارهُ إلى المؤامرة فقتلوا سليمان بن جرير.

أما الرواية الثانية التي رواها الأصفهاني فتقول: إن الرشيد وجه إليه الشماخ مولى المهدي وكان طبيباً فتظاهر لإدريس بانهُ من الشيعة، وحمل إلى ادريس سنّون(*) وجعل فيه سماً فلما استن به اخذ لحم فمه ينتثر، وخرج الشماخ هارباً حتى ورد مصر، وكتب ابن الاغلَب إلى الرشيد بذلك فولى الشماخ بريد مصر. أما إدريس فمات بالسم[1].

وقيل أن سليمان بن جرير أهدى إلى إدريس سمكة مشوية مسمومة فقتلهُ.

دفن إدريس بن عبد الله في مدينة (وليلى) وذلك في ربيع الآخر سنة 177 هجرية[2].

تولى راشد مولى ادريس أمر الدعوة بعد وفاة الزعيم. وقد خلّف ادريس امرأة له حاملاً، وما لبثت أن وضعت غلاماً سموهُ ادريس ايضاً، وقام بأمر البربر حتى كبر ونشأ فولي أمرهم أحسن ولاية. نمت دولة الادارسة في المغرب واتسع نفوذها في شمال أفريقيا مما أثار مخاوف الرشيد فأقطع إبراهيم بن الاغلب تونس حتى يواجه الاغالبة دولة الادارسة.

لقد كان لثورة يحيى بن عبد الله وأخيه ادريس اثرهما في موقف الرشيد من العلويين مما جعلهُ يحيد عن سياسة التسامح التي انتهجها في أول عهده إلى سياسة الشدة والقسوة والقمع ففرض رقابة على العلويين وقبض على بعضهم كما قتل بعض زعمائهم.

لقد فكر الرشيد في أن يتخلص من الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) فزجهُ في السجن مدة تتراوح بين سبع سنوات أو عشر سنوات فدس إليه السم في رطب قدم إلى الإمام فأكل منهُ وجرى مفعول السم في بدنهِ فلم يمهلهُ طويلاً سوى ثلاثة أيام ولفظ انفاسهُ الأخيرة وفاضت روحهُ في (25/رجب/سنة 183 هجرية).

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في الكوفة في عهد المأمون سنة 199 هجرية/815 ميلادية

عَهد الرشيد في حياته بولاية العهد وتقسيم السلطة والمُلك بين ابنائه الثلاثة (الأمين، المأمون، القاسم) وجعل الخلافة بينهم الواحد تلو الآخر ابتداءً من الأمين والمأمون فالقاسم، وحددّ لكل منهم دائرة نشاطه وادارته وحدود تصرفه، فأعطى الأمين ولاية العراق والشام وحتى آخر المغرب، وأعطى المأمون من همدان إلى آخر المشرق، وأعطى القاسم الذي سماهُ المؤتمن الجزيرة والثغور والعواصم.

وكتب كتابين أحدهما للامين والآخر للمأمون بما قرّرهُ لهما وعلق الكتابين في الكعبة، وما أن انتهت حياة هارون الرشيد وانتقلت الخلافة للأمين واستقر به الملك والسلطان حتى اقنعهُ بعض خواصه بأن يخلع اخاهُ المأمون ويسحب منهُ ولاية العهد ويجعل الخلافة من بعده لابنه ابن الامين واسمهُ موسى، وراح يهيئ الخلافة لولده ويدعو لهُ على المنابر وطلب من المأمون ان يؤيد هذا القرار ويعترف بالولاية لموسى من بعد الامين فرفض ذلك وتمردّ على خلافة الأمين وأعان خلعهُ والتحلل من بيعته وراح يعدّ ويهيئ للحرب والصدّام المسلح مع أخيه الأمين.

وبدأ الامين شن الحرب على المأمون فارسل علي بن عيسى احد قوادهُ لقتال المأمون في خراسان وبدأت عجلة الحرب تدور، ونشب الصراع وانهزم علي بن عيسى أمام طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون وتقدم طاهر بن الحسين وزحف نحو بغداد فحاصرها مدة سنة ونصف وأضطر الأمين للتسليم بعد حربٍ دمويةٍ رهيبةٍ ومعارك شوارع في العاصمة بغداد ودمار اقتصاديٍ ومدنيٍ مروع، فسقطت بغداد مقر خلافتهُ واستسلم الامين لطاهر بن الحسين فقتلهُ ولم يقبل لهُ عذراً، وحمل رأسهُ إلى خراسان، وسلم الرأس إلى المأمون وهكذا انتهى حكم الامين بعد ان دام أربع سنوات وعدة شهور، وخضعت الدولة العباسية خلال هذه الفترة لهزات واضطرابات وصراع دموي وسياسي وأنهاك اقتصادي عنيف واستغل العلويون هذا الوضع السياسي المضطرب وتلك الظروف المؤاتية بعد ان ضاق عليهم الخناق طوال الفترة العباسية المنصرمة، وقاموا بعدة ثورات.

(*) السّنُون: شيء يستاك به.

(1) مقاتل الطابيين ص 408.

(2) الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ص70، هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية ج1 ص173.

وكان طبيعياً ان تدفع السياسة العباسية وظروف المطاردة والاضطهاد العلويين إلى التحرك المسلح وإعلان الثورات والدفاع عن الحق بالقوة، ولذلك لم يرَ العلويون في هذه الفترة بالذات غير السيف مفزعاً وغير الجهاد لغة للخطاب والتعامل مع الخصم.

وكان طبيعياً ان يستثمر الثوار العلويون فرصة ارتباك السلطة واضطراب الأوضاع لذا فقد حدثت ثورات أيام المأمون وثورات قام بها العلويون ضد الحكم العباسي مستغلين الأوضاع والظروف السياسية المتردية، من ابرز هذه الثورات في عهد الإمام الرضا(عليه السلام) هي ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) في (10/جمادى الآخرة/سنة 199هجرية) في الكوفة حيث انصارهُ واتباعهُ وكان قائدهُ الذي تولى شؤون الجيش وإدارة المعركة هو (ابو السرايا وهو السري بن منصور) وكان يذكر أنه من ولد هاني بن مسعود الشيباني[1].

بوادر الثورة

وما أعلنت الثورة في الكوفة حتى انضم إليها أهالي الكوفة وما حولها من أعراب وقرى، فأصبحت الكوفة بيد الثائر العلوي، فوجه العباسيون إليه جيشاً كبيراً قوامهُ عشرة الآف مقاتل فاشتبك في معركة ضارية هو وأبو السراي مع هذا الجيش فانتصرا عليه وحطماهُ.

كان العلويون قد ركنوا إلى الهدوء في أواخر عهد الرشيد وطوال عهد الأمين وبدأت بوادر قيام ثورة جديدة شيعية في مطلع عهد المأمون مستفيدة من إقامة الخليفة الجديد المأمون في مرو بخراسان ومن الفوضى التي انتشرت في العراق وبعض ولايات الدولة العباسية اثر الصراع المرير الذي شبّ بين الأخوين الأمين والمأمون.

كان بداية هذه الثورة هو قدوم رجل من شيعة الجزيرة يدعى نصر بن شبيب إلى الحجاز حاجاً ومر نصر بالمدينة فسأل عن بقايا اهل البيت ومَنْ ذُكر منهم، فُذكر له ثلاثة أسماء من العلويين اولهم علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) ولكن نصراً علم ان هذا الزعيم كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه احداً ولا يأذن لهُ.

وأما الزعيم العلوي الثائر فهو عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، كان مطلوباً خائفاً لايلقاهُ احد.

بقي الزعيم الثالث هو محمد بن إبراهيم فكان الزعيم الوحيد الذي يمكن لنصر لقاءهُ إذ كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن والتقى نصر بمحمد فذكرهُ بما نزل بآل علي من تنكيل واضطهاد وباغتصاب العباسيين لحق العلويين في الخلافة.

ثم قال نصر لمحمد: حتى متى توطئون بالخسف وتهتضم شيعتكم وتسكتون على حقكم؟

فتأثر محمد بن إبراهيم: بحديث نصر واتفقا على اللقاء في اقليم الجزيرة[2].

وعاد نصر مع سائر الحجاج إلى الجزيرة وبعد فترة لحق به محمد بن إبراهيم ومعهُ نفر من اصحابهِ وشيعتهِ وجمع نصر اهلهُ وعشيرتهُ وعرض ذلك عليهم فأجابهُ بعضهم وامتنع عليه بعض وكثر القول فيهم والاختلاف حتى تواثبوا وتضاربوا بالنعال والعصي وانصرفوا عن ذلك.

ثم توجه بعض أقاربه إليه بالنصيحة فحذروهُ عواقب الخروج على طاعة الدولة العباسية مما يعود بالضرر عليه وعلى أهل بيتهِ، وختموا نصيحتهم له بقولهم: فما حاجتك إلى تعريض نفسكَ وأهل بيتك لما لا قوام لهم به؟

إنّ جميع هذا البلد أعداء لآل أبي طالب، فإن أجابوك الآن طائعين فروا عنك غداً منهزمين إذا احتجت إلى نصرهم على انك إلى خلافهم اقرب منك إلى إجابتهم؟.

واقتنع نصر بنصيحة اقاربهِ، فعدل عن رأيه وفترت حماستهُ فصار إلى محمد بن إبراهيم معتذراً إليه بما كان من خلاف الناس عليه ورغبتهم عن اهل البيت، وعرض نصر على محمد ان يمنحهُ خمسة الآف دينار ليتقوى بها، فغضب محمد بن إبراهيم لتخلي نصر عن وعودهِ وانشأ يقول:

سُـــنغنى بحمـــد الله عنـــك بعـــصبة
يهـــشون للـــداعي إلـــى واضـــح الحـــق
طلبـــتُ لـــك الحـــسنى فقـــصرت دونهـــا
فأصـــبحت مـــذموماً وزلـــت عـــن الـــصدق
جـــروا فلهـــم ســـبق وجـــرت مقـــصراً
ذميمـــاً بمـــا قـــصرت عـــن غايـــة الـــسبق
ومـــا كـــل شـــيء ســـابق أو مقـــصر
يـــؤول بـــه التقـــصير إلاّ إلـــى العـــرْق

وغادر محمد راجعاً إلى الحجاز فلقي في طريقهِ ابا السرايا وهو السري بن منصور.

اللقاء بين محمد بن إبراهيم وأبي السرايا

بعث نصر بن شبيب الآمال في نفس محمد بن إبراهيم ودفعهُ إلى التطلع إلى الخلافة والتفكير في تدبير سُبل الوصول

(1) الكامل في التاريخ ج6 ص302.

(2) مقاتل الطالبيين ص425.

إليها ويبدو ان نكث نصر لوعوده لم يثن محمداً عن تطلعه إلى الخلافة ففي خلال عودته إلى الحجاز التقى في الطريق السري بن منصور.

كان ابو السرايا قد خالف السلطان ونابذهُ وعاث في العراق، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفاً على نفسه، وعلم ابو السرايا بما كان بين نصر بن شبيب ومحمد بن إبراهيم، فعرض أن يقوم للزعيم العلوي بما كان قد وعدهُ به من معاونات وتعهد له بالوفاء وان يكون له نصيراً ومؤازراً وطلب منهُ أن يعدل عن الرجوع إلى الحجاز وان يتجه إلى الكوفة حيث يوافيه بعد فترة وجيزة[1].

قَدِمَ محمد بن إبراهيم إلى الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتحسسها ويتاهب لامره ويدعو من يثق به إلى ما يريد حتى اجتمع لهُ بشر كثير. ورحل ابو السرايا في طريقه إلى الكوفة فمر بنينوى ثم اتجه إلى قبر الإمام الحسين(عليه السلام) على رأس عدد كبير من الفرسان، وبعث ابو السرايا في طلب الشيعة الزيدية فقدموا عليه، فخطب فيهم خطبة طويلة جاء فيها:

أيها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروهُ، فما يقعدكم عمن أدركتموهُ ولحقتموهُ؟

وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه، وتراث آبائه وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته؟

إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينه، والنصر لاهل بيته، فمن كان لهُ نية في ذلك فليلحق بي، ثم بدأ ابو السرايا رحلتهُ إلى الكوفة.

لقد اختلفت المؤرخون في سبب خروج أبي السرايا السري بن منصور فقال الطبري: إنهُ كان أحد الذين أنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون، حين أشيع أن الفضل انزل المأمون قصراً فحبسهُ فيه وبدأ يبرم الامور على هواهُ، ويستبد بالرأي دونهُ وقد أشيع ذلك حين صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي فتحها وتوجيههُ إلى ذلك الحسين بن سهل، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوهُ الناس وأجترأوا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن في الامصار[2].

وقيل أن سبب خروج أبي السرايا يعود إلى اتخاذ المأمون سياسة عنصرية حيث اعتمد على الفرس وانتقل إلى مرو، وقد اتخذ الوزراء فأستولى الفضل بن سهل على الوزارة وسمي ذو الرياستين[3].

بيد أن أبا الفرج الأصفهاني يرى أن ابا السرايا كان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع وانهُ عاث بالعراق وصار إلى بعض نواحيه خائفاً على نفسه في دعوة محمد بن إبراهيم متنفساً يرضي طموحه الذي فارق عليه السلطة كما يرضي هواه العلوي ومذهبهُ في التشيع للعلويين، وبذلك اتفق محمد بن إبراهيم وابو السرايا على ان يتوجه محمد إلى الكوفة فيدعو الناس إليه ثم يعسكر في ظاهر المدينة إلى أن يأتيه ابو السرايا في موعد اتفقا عليه[4].

وفي ضواحي الكوفة كان محمد بن إبراهيم واتباعهُ في انتظار أبي السرايا وقد انضم إليه علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين، وانضم إليهم عدد كبير من اهل الكوفة، فكانوا مثل الجراد إلاّ انهم على غير نظام وغير قوة ولا سلاح إلاّ العصي والسكاكين والآجر، وابدى بعض الشيعة قلقهم لتأخر وصول أبي السرايا حتى شتموهُ وسبوهُ، ولاموا محمد بن إبراهيم على الاستعانة به.

قدم ابو السرايا إلى الكوفة وترجل عن جواده وعانق محمد بن إبراهيم وطلب ابو السرايا من الزعيم العلوي ان يدخل إلى الكوفة ويخطب بالناس، فدخل وخطب ودعا الناس في الكوفة إلى البيعة إلى الرضا من آل محمد والعمل بكتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وآله) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعه جميع الناس حتى ازدحموا وتمت البيعة في موضع بالكوفة يسمى (بقصر الضرتين).

استدعى الحسن بن سهل إليه احد القواد العباسيين وهو زهير بن المسيب فعهد إليه بإخضاع أبي السرايا وأمدهُ بالرجال والأموال والإمدادات وبعث إلى والي الكوفة سليمان بن أبي جعفر المنصور يتهمهُ بالضعف ويلومهُ على موقفه المتخاذل الذي أدى إلى قيام ثورة شيعية في الكوفة.

خرج زهير بن المسيب على رأس جيش قوامهُ عشرة آلاف مقاتل وراجل متجهاً نحو الكوفة، وكان محمد بن إبراهيم ملازماً فراشهُ يعاني مرضاً شديداً، فأمرهُ داعيتهُ ابا السرايا بقتال الجيش العباسي وامرهُ أن لايدعوهم ولا يبدأهم بقتال وحاول اهل بغداد من أنصار العباسيين المقيمين بالكوفة ان يحثوا اهل الكوفة على التخاذل عن الانضمام إلى جيش أبي السرايا، ولكن أبا السرايا أثار الحماسة في قلوبهم بالخطابة حيناً وبالشعر حيناً آخر، حتى نجح في تعبئة جيش خرج به لقتال العباسيين.

كان أهالي بغداد يصيحون يا أهل الكوفة: زينوا نساءكم وأخَواتكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بهنّ كذا وكذا، ولا يكنون. وابو السرايا يقول: يا أهل الكوفة صححوا نياتكم

(1) مقاتل الطالبيين ص426.
(2) تاريخ الطبري ج8 ص528.
(3) ثورات العلويين ص325.
(4) مقاتل الطالبيين ص426.

واخلصوا لله ضمائركم، واستنصحوهُ على عدوكم وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، واقرأوا القرآن.

اقبل زهير بن المسيب حتى نزل قصر هبيرة فاقام به ووجه ابنهُ أزهر على مقدمة الجيش فنزل سوق أسد، وسار ابو السرايا من الكوفة وقت العصر حتى أتى معسكر أزهر بسوق أسد فبيتهم فطحن العسكر وأكثر القتل فيه وغنم دوابهم وأسلحتهم وانقطع الباقون في الليل منهزمين حتى وافت زهيراً بالقصر[1].

كانت تلك الغارة ضربة موجعة للجيش العباسي أغاضت زهيراً وحملتهُ على الإسراع في التوجه إلى الكوفة وقد وافتهُ أوامر الحسن بن سهل – الذي شغلهُ النظر في النجوم عن أمر عسكره– بأن لا ينزل إلاّ بالكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة. وفي الكوفة التي رجع إليها ابو السرايا منتصراً تهيأ الكوفيون فوافوا زهيراً عند القنطرة وكانت ليلة شتوية باردة فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن. ولم يلبث الجيشان متوافقين ويبدو ان ابا السرايا لم يرد ان ينشب القتال إلاّ على يده، لخطة وضعها، فقد لامَ رجلاً من عسكره وشتمهُ لانهُ خرج فبارَز رجلاً وقتلهُ وبرز إليه آخر فقتلهُ وبرز إليه ثالث فقتلهُ قائلاً لهُ: مَنْ أمرك بهذا؟ ارجع. فرجع.

وقف أبو السرايا على القنطرة طويلاً، وخرج رجل من أهل السرايا من أهل بغداد من أنصار العباسيين، فجعل يشتمهُ بالزنا وابو السرايا واقف لا يتحرك، ثم تغافل ساعة حتى هم بأن ينصرف ثم حمل عليه ابو السرايا وقتلهُ وحمل على عسكرهم حتى خرج من خلفهم. ثم دعا غلاماً فوجههُ في نفر من اصحابهِ وامرهُ ان يمضي حتى يصير من وراء العسكر ثم يحمل عليهم ولا يكر، فمضى الغلام لوجهه مع مَنْ معهُ قاصداً لما امرهُ به.

ووقف ابو السرايا على القنطرة على فرس ادهم وقد اتكأ على رمحه فنام على ظهر الفرس حتى غط في النوم وأهل الكوفة جزَعون لما يرونهُ من عسكر زهير بن المسيب ويسمعونهُ من تهددهم ووعيدهم، وهم يضجون ويصيحون بالتكبير والتهليل حتى سمع ابو السرايا فانتبه من نومه فظن ان الكمين الذي بعثهُ قد انتهى إلى حيث امرهُ فصاحَ باهل الكوفة: يا أهل الكوفة: احملوا، وحمل وتبعوهُ فلم يبقَ من أصحاب زهير احد إلاّ التفت نحو الإشارة.

وخالط أبو السرايا وغلامهُ (سيار) العسكر وتبعهُ أهل الكوفة وصاح بغلامه: ويلك يا سيار ألا تراني، فحمل سيار على صاحب العلم فقتلَهُ وسقط العلم وانهزم الجيش العباسي.

(1) مقاتل الطالبيين ص430.

وتبعهم ابو السرايا ونادى: مَنْ نزل عن فرسهِ فهو آمن فجعلوا يترجلون وأصحاب أبي السرايا يركبون وتبعوهم حتى صاح زهير بن المسيب بأبي السرايا: ويحك أتريد هزيمة أكثر من هذه؟ إلى أين تتبعني؟ فكف ابو السرايا عن ملاحقة العباسيين.

وغنم أهل الكوفة غنيمة كبيرة لم يغنم احد مثلها وعاد زهير بن المسيب إلى بغداد، وغضب الحسن بن سهل عليه فضربه بعمود على وجهه فشتر إحدى عينيه وأراد قتلهُ لولا شفاعة بعض أصحابه فعفا عنهُ.

وصف الأصفهاني دخول أبي السرايا إلى الكوفة منتصراً وصفاً يبين قوة الثورة الشيعية وارتفاع روح الشيعة المعنوية فقال: ودخل ابو السرايا الكوفة ومعه خلق كثير من الاسارى ورؤوس كثيرة على الرماح مرفوعة وفي صدور الخيل مشدودة ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح فهم في حالة واسعة وأنفسهم بما رزقوه النصر قوية[2].

قرر الحسن بن سهل ان يعاود القتال في جولة أخرى، فأعد جيشاً عهد بقيادته إلى (عبدوس بن عبد الصمد) وضم إليه الف فارس وثلاثة آلاف راجل وأغدق العطاء، خرج عبدوس بن عبد الصمد وهو يحلف ان يبيح الكوفة ويقتل أهلها ويسبي ذراريهم.

ومضى عبدوس لوجهه لا يلوي على شيء حتى وصل إلى الجامع، وكان الحسن بن سهل قد اوصاه ان لا يأخذ الطريق الذي سلكه زهير بن المسيب حتى لا يرى أشلاء عسكره.

ولما بلغ ابا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة ثم جرد فرسان أصحابه ومن يثق به منهم وساروا حتى وصلوا إلى الجامع فرّق اصحابه ثلاث فرق وقال لهم: شعاركم هو يا فاطمي، يا منصور. واخذ هو في جانب السوق، واخذ سيار في سيرهِ الجامع وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على مقربة فلا يفتك احد منهم ثم احملوا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس ففعلوا ذلك فقتلوا منهم الكثير وجعل العباسيون يتهافتون في الفرات طلباً للنجاة، حتى غرق منهم خلق كثير.

ولقي ابو السرايا عبدوساً في رحبة الجامع فكشف عن رأسهِ وصاح: انا ابو السرايا، انا أسد بني شيبان، ثم حمل عليهِ، فهرب عبدوس، فتبعه ابو السرايا فضربه على رأسهِ ضربة فلقت هامته، فخرّ عبدوس صريعاً عن فرسهِ.

(2) مقاتل الطالبيين ص432.

موت محمد بن إبراهيم وزعامة أبي السرايا

عاد أبو السرايا إلى الكوفة مكللاً بأكاليل الزهور، ودخل على محمد بن إبراهيم وهو في فراش المرض يلفظ انفاسه الأخيرة فندد بأبي السرايا إذ لم يرضَ له إن يبيت القوم قبل ان يدعوهم، واعتذر ابو السرايا عما حدث وقال له إنه من تدبير الحرب وانه لن يعود إلى مثلهِ في المستقبل.

أدرك أبو السرايا ان محمد بن إبراهيم قد أوشك على مفارقة الحياة، فطلب منه ان يعهد إليه بوصيتهِ فأوصى إليه قائلاً: أوصيك بتقوى الله والمقام على الذب عن دينك ونصرة أهل بيت نبيك(ﷺ) فأن أنفسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فأن اختلفوا فالامر إلى علي بن عبيد الله، فأني قد بلوت طريقه ورضيت دينه. ولم يلبث محمد بن إبراهيم حتى مات. فكتم ابو السرايا نبأ وفاته. وفي الليل أخرجهُ في نفر من الزيدية إلى ارض الغري فدفنهُ.

يتهم الطبري ابا السرايا بأنهُ وضع السم لمحمد بن إبراهيم حتى يستأثر بالنفوذ، فيقول: مات محمد بن إبراهيم فجاة، فذكر أن ابا السرايا سمهُ، وكان السبب في ذلك فيما ذكر ان ابا السرايا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك منعهُ محمد بن إبراهيم وحظرهُ عليه، وكان الناس لهُ مطيعين فعلم ابو السرايا انه لا أمر له معهُ فسمهُ[1].

ولكننا نرى الأخذ برواية الاصفهاني التي تقول ان وفاة محمد بن إبراهيم كانت بعد وقعة عبدوس بن عبد الصمد التي حدثت في (13/رجب/سنة199 هجرية) وقد ذكر الأصفهاني أن محمداً كان عليلاً ويعاني المرض ألزمهُ الفراش فترة، وما لبث ان مات متأثراً بمرضه، وحين خرج ابو السرايا والكوفيون لحرب زهير بن المسيب وحين عاد محمداً يجود بنفسه وانهُ رأى الموت في وجهه فطلب منهُ ان يعهد إليه بوصيتهِ فأوصاهُ بالوصية المتقدمة. كان عمر محمد بن إبراهيم حين مات ثلاثاً وخمسين سنة.

وفي اليوم التالي، جمع ابو السرايا الشيعة فخطبهم ونعى محمداً إليهم وعزاهم عنهُ، فارتفعت الأصوات بالبكاء، ثم اخبرهم بوصية محمد بن إبراهيم وانه قد عهد إلى علي بن عبد الله ثم قال: فأن رضيتم به فهو الرضا وإلاّ فاختاروا لأنفسكم.

فتواكلوا ونظر بعضهم إلى بعض فوثب غلام من آل علي بن أبي طالب واسمهُ (محمد بن محمد بن زيد) وقال: يا آل علي، فات الهالك النجا، وبقي الثاني بكرمه، إنّ زيداً لاينصر بالفشل وليست يد هذا الرجل عندنا سيئةَ وقد شفى الغليل وأدرك الثأر ثم التفت إلى علي بن عبد الله فقال له: ما تقول يا ابا الحسن رضى الله عنك؟ فقد وصانا بك، أمدد يدك نبايعك.

فقال علي بن عبد الله:..... أتخوف أن اشتغل به من غيره فما هو احمد وأفضل عاقبة...

ثم رشح محمد بن محمد بن زيد لتبايعه الشيعة. ثم سأل علي بن عبيد الله، ابا السرايا عن رأيه في ذلك. قال ابو السرايا: رضائي في رضاك، وقولي مع قولك...

وبذلك تولى محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ﷺ) الأمر وهو غلام حدث لم يبلغ العشرين من عمرهِ إلاّ أن ابا لسرايا تولى قيادة الأعمال العسكرية وتدبير أمور المقاتلين.

وعلى الرغم من نكسة الثورة بوفاة زعيمها محمد بن إبراهيم إلاّ أن انتصارات الكوفيين الكبيرة والمتكررة على جند العباسيين جعلتهم في موقف القوي المتمكن مما دفع طوائف كثيرة من الناس والأعراب حول الكوفة إلى الالتحاق بهم والانضمام إليهم.

وولى محمد بن محمد عمالهُ على حكم بعض الأمصار ونظم الكوفة، فولى إسماعيل بن علي بن جعفر على الكوفة. وولى إبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، وولى زيد بن موسى بن جعفر على الأهواز، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(ﷺ) على البصرة.

وولى الحسين بن الحسن الافطس بن علي بن أبي طالب(ﷺ) على مكة. وولى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ﷺ) على المدينة. وولى الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ﷺ) على واسط

توجه الولاة العلويون الجدد إلى أمصارهم، فنجح إبراهيم بن موسى في السيطرة على اليمن بعد قتال محدود، ونجح والي واسط في هزيمة واليها العباسي (نصر البجلي) وسيطروا على واسط وجبيا الخراج، ونجح والي البصرة في إلحاق الهزيمة بالقوات العباسية وهيمن على البصرة.

نهاية الثورة

علم داود بن عيسى الوالي العباسي على مكة والمدينة بقدوم الحسين بن الحسن الافطس الوالي العلوي الجديد ليحج بالناس في هذه السنة 199 هجرية فحشد موالي بني العباس ليدافعوا عنهُ وحدث أن قدم عليه مسرور خادم الرشيد الذي كان يؤدي فريضة الحج ومعهُ مائتا فارس من اصحابهِ، حث مسرور الوالي العباسي على قتال الوالي العلوي الجديد، فرفض

(1) تاريخ الطبري ج8 ص529.

داود بن عيسى العباسي أن تكون مكة المكرمة مسرحاً للقتال، فأخذ مسرور يذكرهُ انه من الولاة العباسيين وعليه ان يدافع عن ملكه وسلطانه، وكان داود ساخطاً إذ لم يوله الخليفة العباسي حكم ولايتَه إلاّ بعد أن وصل إلى مرحلة الشيخوخة، واختاروا له بلاد الحجاز وهي فقيرة في مواردها الاقتصادية ولذلك آثر داود الخروج إلى العراق.

فت ذلك في عضد مسرور ولم يشأ أن ينفرد بقتال العلويين لانهُ خشي إنْ قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم لذلك رأى أن يلحق بداود، فخرج راجلاً إلى العراق فدخل الحسين بن الحسن الافطس مكة وجميع من معهُ لا يبلغون العشرة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وبعد ان أنهى أفعال الحج بدأ يمارس سلطاتهُ كوالي[1].

إتسع نفوذ العلوي الجديد محمد بن محمد بن زيد بعد الهزائم المتكررة للجند العباسيين، فعظم أمرهُ على الحسن بن سهل الذي رأى استفحال سلطان أبي السرايا وان جندهُ لا يلقون عسكراً إلاّ هزموهُ ولا يتوجهون إلى بلد إلاّ دخلوهُ، فلم يجد معه من القواد مَنْ يكفيه حربه فرأى الحسن بن سهل ان يستعين بالقواد الكفوئين الذين جُردوا من مناصبهم فرأى اولاً ان يستعين بطاهر بن الحسين إلاّ أن نصيحة احدهم لهُ صرفتهُ عن ذلك إذ ان طاهر بن الحسين كان يميل إلى العلويين فرأى أن يعهد بأمر أبي السرايا للقائد هرثمة بن اعين على الرغم من ان العلاقات بين الاثنين قد ساءت بينهما، فقد غضب هرثمة بن اعين لتولية الحسن بن سهل على العراق وخرج غاضباً إلى حلوان، فبعث الحسن إليه رسولاً هو السندي بن شاهك يطلب منهُ ان يتناسى ما كان بينهما من شحناء وبغضاء ويستدعيه إلى بغداد لتولي قيادة الجيش الذي يوجهه لقتال أبي السرايا.

فرفض هرثمة دعوة الحسن بن سهل قائلاً للسندي ابن شاهك: نوطئ نحن الخلافة ونمهد لهم أكنافها، ثم يستبدون بالأمور ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا فُتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا ان يصلَحوهُ بنا، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم وقبيح أفعالهم.

إلاّ أنهُ غيّر رأيه حين بلغهُ كتاب منصور بن المهدي العباسي، وعاد راجعاً إلى بغداد، استقبل هرثمة بحفاوة ونقل إليه الحسن بن سهل دواوين الجيش ليختار الرجال منها وأطلق له بيوت الأموال فانتخب من أراد[2].

تقدم هرثمة بن اعين إلى نهر صرصر ليجد ابا السرايا، وبعد ان اخذ ابن أبي سعيد المدائن وبلغ ذلك ابا السرايا انصرف من الليل إلى المدائن فوجدها اخُذت فناوشهم قليلاً ثم عاد نحو قصر ابن هبيرة فوجد هرثمة في طلبه، التقى به وقاتلهُ قتالاً شديداً هزم على أثره ابو السرايا وقُتل اخوه، فانحاز إلى الكوفة وخرج ابو السرايا في الناس، فبأهم وجعل على الميمنة الحسن بن الهذيل وعلى المسيرة جرير بن الحصين وهو في القلب.

ونشب قتال ضارٍ بين الفريقين انهزم اصحاب هرثمة هزيمة يسيرة، إلاّ ان ابا السرايا لم يتبعهم خشية ان يمكر به، فوقف إلاّ أنَّ أحد قوادهُ وهو مولاه ابو كتلة تبعهم ثم عاد فأخبر أنهم عبروا الفرات فرجع ابو السرايا بالناس إلى الكوفة ثم خرج يوم الاثنين (9 /ذي القعدة) وخرج الناس معهُ إذ علم ان هرثمة سيوافيه هذا اليوم، ثم التقى الجيشان في قتال مرير لم يسمع بمثله.

وقُتل فيه الحسن بن الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين(عليه السلام) وقتل من قواد أبي السرايا روح بن الحجاج، وابو كتلة، فوجد أبو السرايا أن النصر يكاد يكون في متناول يده فجد وشمر وشجع اصحابهُ والتحم القتال فقتل بيده احد قواد هرثمة ولم يلبث جند هرثمة حتى هُزموا شر هزيمة حتى قيل ان هرثمة نفسه وقع اسيراً بيد رجل لم يعرفهُ.

وكان هرثمة قد خلف فرقة من جيشه قوامها عشرة آلاف رجل يكونون رداءاً لهُ إن إنهزم اصحابهُ عليهم رجل اسمهُ عبد الله بن الوضاح إلاّ أن ابا السرايا نادى بجنده ان يتوقفوا مخافة ان يكر عليهم كمين للخراسانيين، فلم يفعلوا فاستقبلتهم الفرقة العباسية وحدث قتال عنيف قُتل فيه من الكوفيين اعداد كبيرة، واستعاد جند هرثمة مواقعهم ثم استمرت الحرب سجالاً اياماً أخرى، كان هرثمة خلالها قد استدعى منصور بن المهدي العباسي وبدأ يكاتب رؤوساء الكوفة[3].

ويبدو أن ذلك عمل عمله في نفوس الكوفيين وقد أراد ابو السرايا ان يحسم الموقف لصالحه فبعث رجلاً في خيل وامره ان يأتي هرثمة من ورائه فمضى ولم يشعر به هرثمة حتى قرب منه، وحمل ابو السرايا بمن معه. إلاّ أن هرثمة لجأ إلى حيلة يثبط بها همة جند أبي السرايا هذه الحيلة تشبه حيلة رفع المصاحف يوم صفين فنادى: يا اهل الكوفة، علامَ تسفكون دماءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهية لإمامنا، فهذا المنصور بن المهدي رضى لناولكم نبايعه، وإنّ أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، واتفقوا معنا ليوم لاثنين لنتناظر فيه، ولا تقتلونا وأنفسكم.

وفي انساب الأشراف للبلاذري: إنّ هرثمة بن اعين ادعى موت المأمون فلا حاجة للقتال[4].

(1) تاريخ الطبري ج8 ص536.
(2) مقاتل الطالبيين ص437.
(3) تاريخ الطبري ج8 ص538.
(4) انساب الأشراف ج3ص267.

فأمسك أهل الكوفة عن القتال، وناداهم أبو السرايا: ويحكم إن هذه حيلة من هؤلاء الأعاجم، وإنما أيقنوا بالهلاك فاحملوا عليهم، فامتنعوا وقالوا: لا يحل لنا قتالهم وقد أجابوا. فغضب ابو السرايا ونفض يدهُ من الكوفيين وانسحب إلى الكوفة.

وفي يوم الجمعة وقف ابو السرايا على المنبر وخطب بأهل الكوفة قائلاً لهم: يا اهل الكوفة، يا قتلة علي، ويا خذلة الحسين، إن المغتر بكم لمغرور، وإن المعتمد على نصركم لمخذول، وإن الذليل لمن اعززتموهُ، والله ما حمد عليّ أمركم فنحمدهُ، ولا رضي مذهبكم فنرضى به، ولقد حكّمكم فحكمتم عليه، وأئتمنكم فخنتم أمانته ووثق بكم فحللتم عن ثقته، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ولطاعته ناكثين، لإن قام قعدتم وإنّ تقدم تأخرتم، وإن تأخر تقدمتم خلافاً عليه وعصياناً لامره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إياهُ، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم، والنكول عمّن عبروا خندقكم؟ وعلوا قبائلكم؟ ينتهبون أموالكم ويستحيون حريمكم، هيهات لا عذر لكم إلاّ العجز والمهانة والرضا بالصغار والذلة، إنما أنتم كفيء الظل، تهزكم الطبول بأصواتها، ويملأ قلوبكم الحرق بسوادها، أما والله لاستبدلن بكم قوماً يعرفون الله حق معرفتهِ ويحظفون محمداً في عترته. ثم قال:

وما رسْتُ أقطارَ البلادِ فلم اجدْ
لكم شبهاً فيما وطئتُ من الارضِ
خلافاً وجهلاً وانتشارَ عزيمةٍ
ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفضِ
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة
فلا فيكم راضٍ ولا فيكم مُرْضي
سأبعد داري من قلى عن دياركم
فذوقا إذا ولّيت عاقبة البغضِ

وقامت جماعة من اهل الكوفة يدافعون عن أنفسهم ويذكرونهُ بإخلاصهم له، وتفانيهم في القتال معه وعرضوا عليه البيعة على الموت. فأعرض عنهم ابو السرايا ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق[1].

إلاّ أن الطبري ذكر أن محمد بن محمد بن زيد ومن معهُ من الطالبيين وثبوا على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم في الكوفة فنهبوها وخربوها وأخرجوهم عن الكوفة وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً واستخرجوا الودائع التي كانت عند الناس فأخذوها[2].

(1) مقاتل الطالبيين ص444.
(2) تاريخ الطبري ج8ص531.

ولكن البلاذري ذكر خبراً يناقض ما رواهُ الطبري فقد قال: انهُ خطب فأحسن القول في بني العباس، وقال: إنّ قوماً يزعمون ان مال بني العباس لنا، وهؤلاء جهال، ضلال يحكمون بلا علم ويقولون بلا دراية، فقام إليه - عبد العزيز بن عيسى بن موسى- فجزاهُ خيراً وشكرهُ، وقال لهُ -عبد الله بن رئاب-: قد كان هذا الكلام يتلجلج في صدري حتى اخرجهُ الله على لسانك[3].

أما أبو السرايا فيبدو انهُ عزم على امرٍ لم يفد معهُ عرض الكوفيين فارتحل هو و-محمد بن زيد- ونفر من العلويين والأعراب وقوم من اهل الكوفة وذلك في يوم الأحد المصادف (13/محرم/ سنة 200 هجرية) فاقام بالقادسية ثلاثة أيام حتى تتام اصحابه. ولم يكد ابو السرايا ن يخرج من الكوفة حتى وثب بها- أشعث بن عبد الرحمن الاشعثي- فدعا إلى هرثمة وخرج أشراف الكوفة إلى هرثمة فسألوهُ الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك.

وكان دخول هرثمة للكوفة في صبيحة الليلة التي خرج فيها أبو السرايا ولم يلبث هرثمة إلاّ قليلاً حيث خلف عليها رجلاً، وعاد إلى معسكرهِ ثم ارتحل إلى بغداد بعد ان آمن الناس وهدأت قلوبهم من وحشة الحرب.

أما ابو السرايا فقد خرج من القادسية متوجهاً إلى البصرة التي لم تزل بيد انصارهُ، فاتى إلى واسط التي أصبحت الآن بيد-علي بن أبي سعيد-فعبر دجلة من اسفلها.

ومضى أبو السرايا يريد البصرة، فلقيه إعرابي من أهل البلد فسالهُ عن البصرة فقال لهُ: إنّ المسودة في خلق كثير لا يكنهُ مقاومتهم وأراد ابو السرايا الوصول إلى واسط فأعلمهُ الإعرابي ان صورة أمرها مثل صورة البصرة، فقال ابو السرايا للإعرابي: أين ترى؟

قال الإعرابي: أرى ان تعبر دجلة فتكون بين جوفي والجبل فيجتمع معهُ أكرادها ويلحق به من أراد صحبتهُ من أعراب السواد واكرادهِ.

فقبل ابو السرايا المشورة وسلك ذلك الطريق وجعل يجبي الخراج وهو في طريقهِ ويستولي على غلاتها، حتى وصل إلى إقليم الأهواز ودخل مدينة السوس وكان والي الأهواز- الحسن بن علي المأموني- الذي بعث إلى أبي السرايا يعلمهُ كراهيتهُ لقتالهِ ويسالهُ الانصراف عنهُ إلى حيث أحب.

ولكن ابا السرايا أصر على قتالهِ فدارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة أبي السرايا الذي اضطر للتوجه إلى خراسان، فنزلوا بقرية يقال لها- برقانا- وأقنعهم واليها- حماد

(3) انساب الأشراف ج3ص266.

الكندغوش- بأنهم إذا صحبوهُ إلى -الحسن بن سهل- فأنه يأخذ منه الأمان لهم.

بادر- محمد بن محمد بن زيد- إلى الحسن بن سهل يسألهُ أن يؤمنهُ على نفسه فقال الحسن بن سهل: لابد من ضرب عنقك. فقال لهُ بعض من كان يستنصحهُ: أيها الأمير لا تفعل فأن الرشيد لما نقم على البرامكة احتج عليهم بقتل ابن الافطس وهو- عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقتلهم به، ولكن احملهُ إلى أمير المؤمنين، فعمل ذلك وحلف انهُ يقتل ابا السرايا.

فقال لأبي السرايا: مَنْ أنت؟

قال: السري بن منصور.

قال الفضل بن سهل: لا بل أنت النذل ابن النذل، المخذول ابن المخذول، قم يا- هارون بن أبي خالد- فأضرب عنقهُ بأخيك-عبدوس بن عبد الصمد- فقام إليه فضرب عنقهُ.

ثم أمر برأسه فصلب في الجانب الشرقي، وصلب بدنهُ في الجانب الغربي من بغداد.

وحُمل- محمد بن محمد بن زيد - إلى خراسان فأقيم بين يدي المأمون وهو جالس في بلاطه، ثم صاح الحسن بن سهل: أكشفوا رأسهُ فكشف رأسهُ فتعجب المأمون من حداثة سنه، ثم أمر لهُ بدار فأُسكنها وجعل له فيها فراشاً وخادماً فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل وأقام على ذلك أربعين يوماً ثم دست إليه شربة فمات مسموماً.

وقد أحصت الدواوين عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في ثورة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا فبلغ عددهم مائتا الف رجل.

وهكذا يُسدل الستار على هذه الثورة التي استمرت عشرة شهور[1].

مصير هرثمة بن أعين

على الرغم من بلاء هرثمة بن اعين في القضاء على ثورة أبي السرايا فقد كانت هذه الثورة هي نهاية أمجادهُ، فقد اعتبر هرثمة استبداد الفضل بن سهل بشؤون الدولة هو سبب قيام الاضطرابات عامة، وظهور الثورات الشيعية خاصة، ورأى ان يخرج إلى مرو ليطلع الخليفة المأمون على ما يخفيه الفضل عنهُ من أحداث الدولة، ودس الفضل بن سهل عند المأمون وأوغر صدرهُ عليه.

فقال: إنّ هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد وظاهر عليك عدوك، وعادى وليك ودرّب ابا السرايا وهو جندي من جنده، حتى عمل ما عمل، ولو شاء هرثمة ان لا يفعل ذلك ابو السرايا ما فعلهُ.

(1) الكامل في التاريخ ج6 ص107.

وصدق المأمون مقالة الفضل بن سهل واعتقد ان ابا السرايا قد ثار بتحريض من هرثمة فقال المأمون لهرثمة حين مثل بين يديه:.... دسستَ إليّ أبا السرايا حتى خرج وعمل ما عمل، وكان رجلاً من أصحابك ولو أردت ان تأخذهم جميعاً لفعلت ولكنك أرضيت خناقهم. وانتهى أمر هرثمة بسجنهِ ثم قتله فيما بعد!!![2].

عوامل إخفاق الثورة

وهكذا انتهت هذه الثورة، وهذه الثورة تختلف عن الثورات الشيعية التي شهدها العصر العباسي الأول. فقد قام بتخطيط هذه الثورة وتوجيهها رجل من غير آل أبي طالب وهو السري بن منصور -ابو السرايا- لقد اتخذت الكوفة مركزاً للثورة وهي أول مرة تشهد فيها الكوفة ثورة علوية في العصر العباسي، وقد شهدنا ثورة محمد ذو النفس الزكية في الحجاز، وثورة أخيه إبراهيم في البصرة، ثم ثورة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم، وثورة أخيه إدريس في المغرب.

لقد كانت إقامة الخليفة العباسي المنصور في الكوفة، ثم إقامة الهادي والمهدي والرشيد في بغداد على مقربة من الكوفة، حائلاً دون قيام ثورات شيعية فيها، وتغير الموقف في عهد الخليفة المأمون فقد كان لايزال مقيماً في مرو بخراسان مما شجع أهالي الكوفة على الثورة والانضمام إلى أبي السرايا. لقد اتسعت ثورة أبي السرايا وبلغت حداً كبيراً من الخطورة بين الغالبية العظمى من اهالي الكوفة، وبلغ عددهم أكثر من مائتي الف، واستطاع ان يسيطر على كثير من مدن العراق والحجاز واليمن وحاز كثيراً من الانتصارات الحربية، وهزم عدداً كبيراً من الجيوش العباسية وأثار قلق السلطات الحاكمة.

إذن ما هي العوامل التي أدت إلى إخفاق هذه الثورة؟؟

1- عدم انتساب أبي السرايا إلى البيت العلوي على الرغم من دعوته للعلويين وشيعتهم، ولذلك سارعت الشيعة إلى تأييد زعماء علويين آخرين في مقدمتهم الإمام الصادق(عليه السلام) مما أدى إلى تفرق الشيعة بين مناصرة أبي السرايا وتأييد الزعماء العلويين، كما كان ماضي أبي السرايا يثير الشبهات والاقاويل فقد كان بالأمس القريب من رجال هرثمة بن اعين القائد العباسي ولولا حنق أبي السرايا على هرثمة لاستمر على ولائهِ للعباسيين ولذلك لم يقتنع كثير من المسلمين بصدق نواياهُ نحو البيت العلوي وقد كان بالأمس موالياً للبيت العباسي على حد تعبير الطبري.

(2) تاريخ الطبري ج7ص117.

2- ومن العوامل المهمة في إخفاق هذه ثورة هو افتقادها الزعيم العلوي المؤهل لقيادتها وتوجيهها، فقد كان الزعيم الأول هو محمد بن إبراهيم قد ركن إلى الهدوء والسلام في المدينة ولولا تشجيع نصر بن شبيب ثم أبي السرايا لهُ لما أقدم على طلب الخلافة.

3- كما لازم المرض محمداً طوال اقامته بالكوفة ما جعلهُ بعيداً عن الأحداث وأعطى ابا السرايا الفرصة للاستئثار بالأمور، وقبل وفاة محمد بن إبراهيم عهد بالزعامة إلى علي بن عبد الله ولكنهُ آثر الهدوء والابتعاد عن تيارات السياسة وأخطارها، فتنازل عن حقّه من دون ان يذكر مبرراً قوياً تقتنع به الشيعة، ثم تولى الزعامة غلام صغير السن ليس لهُ بالأمور خبرة وتجربة، على إننا نشاهد أنّ زعماء الثورات السابقة كانوا من شيوخ العلويين وزعمائهما البارزين.

وعلى الرغم من نهاية الثورة إلاّ أن الثورات الشيعية لم تنتهِ في كثير من النواحي التي دانت لهم بالطاعة فقد تمسك بعضهم بزمام الأمور في البلدان التي تولوا أعمالها أيام أبي السرايا واستمروا في مناوأة الدولة العباسية ولكن الدولة العباسية الآن بدأت تتحول إلى مسار آخر مختلف تماماً عما كانت عليه، فقد كان المأمون يبدي عطفاً على العلويين لم يلبث حتى تحول إلى اعتناق عقيدة الشيعة في الإمامة، ولم يلبث المأمون حتى دعا الإمام الرضا(عليه السلام) إلى خراسان وحملهُ على قبول ولاية عهده وثم استبدل شعار العباسيين بشعار العلويين الاخضر، فالزم الجند مؤسسات الدولة بطرح السواد.

وقد أبقى المأمون ولاية العهد في بعض النواحي بيد العلويين كما فعل مع إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن.

أما الإمام الرضا(عليه السلام) فقد كان كارهاً للولاية لعلمه بأن المأمون لم يكن جاداً في كل ما كان يتظاهر به من الحب والولاء والعطف على العلويين بل كان يستتر بذلك ليحصل على مكاسب يستفيد منها هو واسرته وتوفير الامن والاستقرار له كما يبدو ذلك من ملاحظة الظروف التي كانت تحيط بدولته في تلك الفترة من تاريخها.

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في المدينة المنورة في عهد المأمون سنة 200هـ/817م

شهد عصر المأمون ثورة شيعية أخرى اختلفت في مركز ثورتها وطابعها، تزعمها محمد بن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) الذي اشتهر بأسم محمد الديباج واتخذت هذه الثورة المدينة المنورة مركزاً لها.

شخصية محمد الديباج

محمد الديباج هو ابن الإمام الصادق(عليه السلام) ويكنى ابا جعفر، كان محمد هذا رجلاً فاضلاً، كريماً، شجاعاً، مقدماً في أهل بيته.لُقب بالديباج لجمال وجهه وتلقب بالمأمون، وكان ديناً عابداً، يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان كريماً يهب كل ما لديه من ثياب[1].

يروي العلمَ عن أبيه الإمام الصادق(عليه السلام) وكان ذا مكانة مرموقة في اهل بيته مقدماً فيهم، أمر المأمون آل أبي طالب بخراسان أن يركبوا مع غيرهِ من آل أبي طالب فأبوا أن يركبوا إلاّ معهُ فأقرهم.

أسباب الثورة

اختلف المؤرخون في أسباب قيام هذه الثورة فروى الأصفهاني: كان رجل قد كتبَ كتاباً في ايام أبي السرايا يسب فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وجميع اهل البيت، وكان محمد بن جعفر معتزلاً تلك الامور، لم يدخل في شيء منها، فجاءهُ الطالبيون فقرأوهُ عليه فلم يرد عليهم جواباً حتى دخل بيته، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف ودعا إلى نفسه وتسمى بالخلافة وهو يتمثل:

لم أكن مِنْ جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي[2].

أما المسعودي: فقد ذهب إلى أن محمد بن جعفر الديباج قد دعا في بدء امرهِ إلى محمد بن إبراهيم بن إسماعيل حتى إذا مات دعا لنفسه[3].

أما الطبري فروى: إنّ محمداً كان يظهر صمتاً وزهداً فأجتمع حوله شيعتهُ وحثوهُ على الخروج والبيعة له بالخلافة، فقالوا لهُ: قد تعلم حالك في الناس فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة فأنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليه رجلان ورفض محمد هذه الدعوة في أول الأمر، فألح عليه ابنهُ علي، وحسين بن حسن الافطس، حتى غلبا الشيخ على رأيه فأجابهم فأقاموهُ يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لستٍ خلون من جمادى الآخرة سنة 200 هجرية[4].

ومما شجع العلويين على الثورة هو اضطراب أحوال الدولة العباسية الذي ساد طوال إقامة المأمون في مرو بخراسان بعيداً عن عاصمته بغداد. ويبدو أن الدولة العباسية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية، فلم تبد اهتماماً بهذه الثورة كما أن هذه الثورة كانت محدودة ولا تتصف بالخطورة.

(1) مقاتل الطالبيين ص439.
(2) مقاتل الطالبيين ص440.
(3) مروج الذهب ج4 ص26.
(4) تاريخ الطبري ج 8 ص539.

البدء بالمعركة

قدمت قوات عسكرية من اليمن بقيادة اسحق بن موسى العباسي وأدرك العلويون انه لا بد من الصدام بينهم وبين العباسيين واقترحوا على محمد الديباج القيام بحفر خندق حول مكة، وحشدوا عدداً من البدو والأعراب بحفر هذا الخندق، وحدثت مفاوضات بين العلويين والقوات العباسية.

كره اسحق القتال وأراد العودة إلى العراق وفي الطريق التقى ببعض الجند العباسيين بقيادة ورقاء بن جميل، فحثهُ ورقاء على العودة والتعاون معاً من اجل القضاء على هذه الثورة الشيعية.

حشد محمد بن جعفر الديباج قواته لملاقاة الجنود العباسيين، ذكر الطبري أن أنصار محمد الديباج كانوا من غوغاء مكة، وبعض السودان الذين يعملون في حمل الماء بمكة إلى جانب بعض البدو[1].

إلاّ أن الأصفهاني ذكر عمن روى: إنهُ رأى محمد بن جعفر وهو يخرج إلى الصلاة بمئتي رجل من الجارودية وعليهم ثياب من الصوف، وسيما الخير ظاهرة[2].

والتقى الفريقان عند بئر ميمون ودارت معركة لمدة يومين انتهت بهزيمة أصحاب محمد بن جعفر، فبعث محمد برجل من قريش إلى قاضي مكة يسألون لهم الأمان من العباسيين على أن يغادروا مكة إلى حيث شاءوا من الأمصار فأجابهم اسحق وورقاء إلى طلبهم وأمهلهم ثلاثة أيام يغادرون فيها مكة. وفي اليوم الثالث دخل العباسيون مكة وغادرها العلويون الذين تفرقوا وقصدت كل جماعة مصراً من الأمصار.

خرج محمد بن جعفر إلى جدة وفي الطريق التقاءهُ بعض عبيد العباسيين فانتبهوا مالهُ ومتاعهُ، وكادوا يقتلونهُ لولا أن أسرع بشد الرحال، حتى قدم بلاد جهينة على ساحل البحر الاحمر، فأقام بها حتى انتهز موسم الحج، ونجح في حشد بعض الأنصار، وعلم هارون بن المسيب والي المدينة بنشاط محمد بن جعفر فرأى أن يقف منهُ موقفاً حازماً فبعث إليه بقوات عسكرية التقت بأنصار محمد الديباج عند الشجرة، ودارت معركة فيها انتهت بهزيمة محمد الديباج واصابتهِ في عينهِ ومقتل كثير من انصاره.

انسحب محمد الديباج إلى بلاد جهينة يحاول جمع المزيد من الأنصار ولكنهُ لم يوفق في مساعيه فخرج إلى معسكر عيسى بن زيد الجلودي رئيس القوات العسكرية المصاحبة لقوافل الحجاج يطلب منهُ الأمان، فأمنهُ وصحبهُ إلى مكة في اليوم العشرين من ذي الحجة.

(1) تاريخ الطبري ج8 ص 534.
(2) مقاتل الطالبيين ص539.

أما ما ذكره الطبري من إصرار محمد بن جعفر على القتال يخالف ما كان قد ذكر من انهُ كان كارهاً ما كان عليه أهل بيتهِ، وانهُ كان محبباً في الناس.

غادر العباسيون مكة سنة 201 هجرية، وهم يحملون محمد بن جعفر والطالبيين وهم مقيدين في محامل بغير وطاء ليمضون بهم إلى خراسان وسلموهم إلى الحسن بن سهل الذي بعث بمحمد الديباج إلى المأمون بمرو، وبعد فترة توفي محمد بن جعفر الديباج واشترك المأمون في تشييع جثمانه إلى القبر وقال المأمون وهو يضعهُ في لحده: هذه رحم مجفوة منذ مئتي سنة. وقضى دينهُ البالغ ثلاثين ألف دينار[3].

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في الكوفة في عهد المأمون سنة 202هجرية/ 818 ميلادية

شهد عصر المأمون ثورة شيعية أخرى تختلف في مكانها وزمانها عن الثورات السابقة التي قامت في المدينة، قامت هذه الثورة في الكوفة سنة 202 هجرية، قاد هذه الثورة أبو عبد الله وهو اخو أبي السرايا الذي قاد مع محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الثورة قامت في الكوفة عام 199 هجرية، وتولى الزعامة الروحية لهذه الثورة الزعيم العلوي علي بن محمد بن جعفر بن محمد.

بدأت بوادر هذه ا الثورة حينما كتب المأمون إلى الحسن بن سهل في العراق يأمرهُ بخلع السواد ولبس الأخضر واخذ البيعة للإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) بولاية العهد والتقدم نحو بغداد لحصارها وإرغام أهلها على الطاعة للمأمون والنكوث عن بيعتهم لإبراهيم بن المهدي[4].

تولى العباس ابن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) الكوفة وأمر بلبس الأخضر بدلاً عن الأسود والدعوة للمأمون ولولي العهد الجديد الإمام الرضا(عليه السلام) ولكن أهل الكوفة لم يصدقوا نوايا المأمون التي دفعتهُ للبيعة للإمام الرضا(عليه السلام) بولاية العهد ولذلك رفضوا دعوة واليهم العباس بن موسى الكاظم(عليه السلام) حينما دعاهم للبيعة للخليفة ولولي العهد وعلى الرغم من أن والي الكوفة هو أخ للإمام الرضا(عليه السلام) فقال أهل الكوفة لواليهم: إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك، فلا حاجة لنا في دعوتك، وان كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك[5].

(3) مقاتل الطالبيين ص441.
(4) الكامل في التاريخ ج6 ص111.
(5) تاريخ الطبري ج7ص144.

تمرد على المأمون وعلى طاعة نائبه بالعراق الحسن بن سهل بعض القواد العباسيين أمثال سعيد بن الساجور، وأبي البط وغسان بن أبي الفرج، وأعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي الجديد إبراهيم بن المهدي.

كان هؤلاء القواد قد سخطوا على المأمون لاعتماده على العناصر الفارسية ولرغبته في الخلاص منهم على الرغم من بلائهم معهُ في قتال أخيه الأمين، كما غضبوا عليه للمكيدة التي دبرها الفضل بن سهل للخلاص من القائد العربي هرثمة بن أعين وانتهت بان أمر المأمون بالقائه في السجن حيث دس الفضل بن سهل إليه مَنْ سمهُ.

أدى هذا الانقسام الكبير بين صفوف العباسيين إلى ظهور ثورة شيعية مناوئة للدولة العباسية والمأمون، تزعمها علي بن محمد بن جعفر، وقد انضم إليه أبو عبد الله اخو أبي السرايا وغيرهم.

رأى هؤلاء الثائرون الانضمام إلى القواد العباسيين الخارجين على طاعة المأمون والمبايعين لإبراهيم بن المهدي لمواجهة والي الكوفة العلوي العباس بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) الذي أعلن ولاءهُ للمأمون.

لقد أصبح الموقف غريباً شاذاً فقد تحالف قواد عباسيون مع ثورة كما وقفت شيعة الكوفة ضد واليها العلوي ورفضت الاعتراف بما أقدم عليه المأمون من البيعة للإمام الرضا(عليه السلام) أصبحت هناك قوتان عسكريتان مواجهتان: قوة تمثل تحالف الشيعة مع القواد العباسيين وقوة أخرى عباسية يقودها احد أبناء البيت العلوي وكان أنصار الوالي العلوي العباس بن الإمام الكاظم(عليه السلام) يتخذون اللون الأخضر شعاراً لهم بينما كان العلويون والشيعة وحلفاؤهم العباسيون يتخذون السواد شعار العباسيين القديم شعاراً لهم.

درات معركة عنيفة بين القوتين وجعل العلويون وحلفاؤهم العباسيون شعارهم هو- يا إبراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون- أي أن العلويين وجهوا ولاءهم لإبراهيم بن الخليفة المهدي، الذي بايعهُ بعض العباسيين وأهالي بغداد خليفة بدلاً من المأمون[1].

أدت هذه المعارك العنيفة إلى إلحاق الأضرار بالكوفة فقد انتشرت الحرائق بها وأزهقت الأرواح وعادت بخسائر جسيمة فأجتمع وجوهُ القوم بالكوفة وحصلوا من الثوار على الأمان للعباس بن الإمام الكاظم(عليه السلام) والي الكوفة.

ثم قدموا على العباس وقالوا لهُ: إنّ عامة من معك غوغاء وقد ترى ما يلقى الناس من الحرق والنهب والقتل، فأخرج من بين أظهرنا فلا حاجة لنا فيك.

(1) الكامل في التاريخ ج6 ص120.

فتظاهر العباس بقبول ما عرضوهُ عليه، ولكنهُ ما لبث أن عاود القتال مرة أخرى حتى لحقت به الهزيمة ودخل الثوار مدينة الكوفة وانزلوا سخطهم على أنصار العباس بن الإمام الكاظم(عليه السلام) فأنتهبوا دورهم واحرقوها حتى طلب وجوهُ الكوفة منهم الكف عن ذلك.

ثم رأى العباسيون بعد انتصارهم أن يتحللوا من محالفة العلويين وشيعتهم فولوا على الكوفة -الفضل بن محمد بن الصباح الكندي-الذي أقدم على الخلاص من حلفائه العلويين، فقتل ابا عبد الله أخا أبي السرايا. ويبدو أن أهالي الكوفة قد ضاقوا بهذه الاضطرابات التي سادت مدينتهم طوال عهد المأمون ورأوا أن يعلنوا ولاءهم للمأمون حتى تستقر الأحوال في الكوفة فخرج وفد من أهالي الكوفة إلى بغداد، وكان المأمون قد قدم إليها من مرو بخراسان وخلع اللون الأخضر ولبس الأسود ثانية.

ومثل الوفد بين يدي المأمون فأعرض عنهم فتقدم شيخ منهم إلى المأمون يقول: يا أمير المؤمنين، يدك أحق يد بتقبيل، لعلوها في المكارم وبعدها عن المأثم وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب من أرادك بسوء، جعلهُ الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك.

فأعلن المأمون عفوه عن أهالي الكوفة[2].

وهكذا انتهت هذه الثورة التي كانت كالوميض الذي لمع ثم انطفأ وهي تختلف عن الثورات الشيعية السابقة فقد جمعت من التناقضات، وهي ثورات ثورة.

لقد أراد ابو عبد الله الانتقام لمصرع أخيه أبي السرايا كما أراد علي بن محمد بن جعفر أن يثأر من المأمون الذي هزم اباهُ في المدينة المنورة عام 200 هجرية.

إنّ عوامل إخفاق هذه الثورة هي بالاعتماد على القواد العباسيين الساخطين وأتباعهم واعتراف الشيعة بخلافة إبراهيم بن المهدي وهو احد أبناء البيت العباسي، كما قاتلت هذه الثورة والي العباسيين وهو العباس بن الإمام الكاظم(عليه السلام) وهو احد أبناء البيت العلوي، كما انضمت إلى صفوف هذه الثورة غوغاء الذين أثاروا مخاوف أهالي الكوفة بما اتوهُ من تخريب وتدبير.

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة إبرهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب في اليمن في عهد المأمون سنة 200 هجرية/ 816 ميلادية

كان طبيعياً أن تدفع السياسة العباسية وظروف المطاردة والاضطهاد إلى التحرك المسلح وإعلان الثورة، والدفاع عن

(2) مروج الذهب ج 4 ص9.

الحق بالقوة لذلك لم يرَ العلويون في هذه الفترة بالذات غير السيف مفزعاً، وغير الجهاد والتعامل مع الخصم.

بعد أن فشلت ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا في الكوفة وبانتهائها بدأت ثورة شيعية أخرى امتداداً لها وهي ثورة إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) لقد انفجرت هذه الثورة اثر قيام أبي السرايا وابن طباطبا، فقد شجعت هذه ثورة إبراهيم على التحرك نحو اليمن والانطلاق منها.

لقد كان إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) في مكة وحين بلغهُ خبر ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا في الكوفة اتجه إلى اليمن لتفجير الثورة وقيادة الاتباع والانصار هناك، فأستولى على اليمن بعد قتال يسير وخضعت اليمن للسلطة العلوية وأذعنت لقيادته.

لقد انتشرت الثورات الشيعية في العصر العباسي الأول في الكثير من المدن الإسلامية فشهدنا في الحجاز والبصرة وبلاد الديلم والمغرب والكوفة، وكان لليمن نصيب من هذه الثورات فقد قامت فيها ثورتان شيعيتان الأولى قادها إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) والثانية تزعمها عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) في سنة (207 هجرية/823 ميلادية).

وقد سادت الاضطرابات باليمن في عهد المأمون التي مهدت لقيام الثورات، فقد ولى المأمون على اليمن (يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري) الذي بدأ بسياسة اضطهاد وتنكيل بكثير من أهالي اليمن، وقد أسرف المأمون في تولية الولاة العباسيين مما جعل الاضطرابات في اليمن تزيد وتستفحل ففي ثلاث سنوات ولى المأمون ثلاثة ولاة.

في عام 200 هجرية قام إبراهيم بن الإمام الكاظم(عليه السلام) بثورته، وفي الوقت نفسه الذي قامت فيه هذه الثورة قامت في الكوفة ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا، لقد خرج إبراهيم بن الإمام الكاظم(عليه السلام) من مكة إلى اليمن في جماعة من اهلهِ للسيطرة عليها وكان والي اليمن هو اسحق بن موسى بن عيسى العباسي الذي آثر الخروج من اليمن إلى مكة بمن معهُ من الفرسان والرجال[1].

أرسل المأمون إلى اليمن الوالي الجديد وهو محمد بن علي بن موسى بن ماهان بدلاً من اسحق بن موسى العباسي ولم يرسل المأمون جيوشاً إلى اليمن وذلك لانشغال المأمون بكثير من المشكلات والاضطرابات والثورات، هذا من جانب ومن جانب آخر وعورة الطريق وبُعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية وقد رآى المأمون التفرغ لثورة ابن طباطبا وأبي السرايا والقضاء عليها.

اخفق محمد بن علي بن ماهان في القضاء على ثورة إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) وإعادة الاستقرار في اليمن وبدأ عجز المأمون واضحاً فقد اعترف بولاية إبراهيم بن موسى على اليمن، وعزل محمد بن ماهان ولكن محمد بن ماهان رفض تنفيذ الامر وثارت حماستهُ لمواجهة ثورة إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) والتقى الفريقان ودارت معركة كبيرة انتهت بتخريب مدينة صعدة.

اعتز محمد بن علي بن ماهان بانتصارهِ على الثورة واعتبر نفسهُ محرر اليمن ولذلك رأى أن يتمسك بحكم اليمن ورفض تنفيذ أمر الخليفة حين عزلهُ من ولاية اليمن، وولى بدلهُ عيسى بن يزيد الجلودي، والتقى الواليان في قتال عنيف انتهت المعركة بهزيمة محمد بن علي بن موسى بن ماهان الذي هرب إلى مكة أما الوالي الجديد عيسى الجلودي فأستولى على صنعاء، وظل ابن ماهان مختفياً عن الأنظار مدة سنة.

إلاّ أن الجلودي نجح في القبض على ابن ماهان وسجنهِ.

أما إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) فأستأذن من المأمون للقدوم إلى بغداد حتى عام 210 هجرية حيث مات مسموماً!![2].

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) في اليمن في عهد المأمون سنة 207 هجرية /823 ميلادية

لم يدم الاستقرار طويلاً حتى قامت ثورة أخرى، فقد قامت ثورة عبد الرحمن بن احمد، مستفيدة من الاضطرابات الداخلية في اليمن والنزاع القبلي بين قبائلها العديدة واتخذت هذه الثورة من منطقة عك وزبيدة مركزاً لها، وانضمت إليها قبيلتا الاشاعر القحطانية، وعك العدنانية.

أما سبب هذه الثورة هو مظالم الولاة العباسيين في اليمن مما أثار سخط الأهالي فبايعوا عبد الرحمن الذي جعل دعوتهُ الرضا من آل محمد[3].

لم تكن ظروف الدولة العباسية السائدة تسمح بنجاح هذه الثورة فقد هدأت الأمور إلى حدما، إذ خرج المأمون من مرو إلى عاصمتهِ بغداد، ونجح في القضاء على الفتن التي سادت بغداد سنوات عديدة.

(1) تاريخ الطبري ج8ص536.

(2) ثورات العلويين ص346.

(3) تاريخ الطبري ج8 ص553.

واختفى إبراهيم بن المهدي الذي كان أهل بغداد قد بايعوهُ بالخلافة، بعد أن ظل الخليفة سنة واحد عشر شهراً، وقد توفي الإمام الرضا(عليه السلام) في سنة 203 هجرية وعودة المأمون إلى اتخاذ اللون الأسود شعاراً لهُ بدلاً من الاخضر، ونجح المأمون في الخلاص من كثير من اعدائه والخارجين على طاعته.

لقد رأى المأمون أن يقف موقفاً حازماً حاسماً فبعث دينار بن عبد الله في عسكر كثيف واعطاهُ أماناً للثائر العلوي.

خرج دينار بن عبد الله قاصداً إلى اليمن وراسل عبد الرحمن ابن احمد وعرض عليه الأمان، وآثر الثائر العلوي أن يقبل هذا الأمان ويكف عن المقاومة وخرج عبد الرحمن مع دينار إلى بغداد، فوصلها في آخر ذي القعدة سنة 207 هجرية.

أدت هذه الثورة إلى تغيير كبير في معاملة المأمون للعلويين فقد كان المأمون لايزال يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقادهِ في فضل جدهم الإمام علي(عليه السلام) حتى خرج عليه عبد الرحمن في اليمن فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه وأمر بأخذهم بلبس الأسود.

ثم بدأ المأمون يضع سياسة ثابتة جديدة لحكم اليمن ومنع أي ثورة قد تقوم فيها، فرأى المأمون أن يختار والياً على اليمن يتصف بالقوة والحزم وأشار عليه وزيرهُ الحسن بن سهل بأختيار احد احفاد زياد بن أبيه الوالي الأموي، وهو – محمد بن إبراهيم الزيادي– وولى المأمون– سليمان بن هشام بن عبد الله بن مروان– الأموي وزيراً للزيادي. وهكذا أصبح الوالي الجديد ووزيرهُ ينتسبان إلى الأمويين المعروفين بعدائهم الشديد للعلويين.

ونجح الوالي الجديد محمد بن إبراهيم في فتح تهامة، واختط مدينة زبيد واتخذها عاصمته، وقضى على روح التمرد عند القبائل اليمينة وتتبع أنصار العلويين وشيعتهم فقد كان كما وصفهُ ابن خلدون..... كان شديد البغض لآل علي بن أبي طالب(عليه السلام)[1].

ازداد نفوذ محمد الزيادي ونجح في إرساء قواعد حكم بني زياد لليمن وحكم محمد الزيادي اليمن طوال حياته وتوارث أبناؤهُ الحكم، ثم تولى الحكم بعض مواليهم حتى سنة 553 هجرية ويطلق على هذه الدولة اسم الدولة الزيادية وهي أول الدول المستقلة التي شهدتها اليمن.

وقد ضعفت الدولة الزيادية في اليمن واصبح في اليمن بعد سنة 268 هجرية ثلاث إمارات هي الإمارة الزيادية في زبيد، وبنو يعفر في صنعاء، ودولة بني الرس الزيدية في صعدة.

(1) تاريخ ابن خلدون ج2ص243.

وقد انتقل المذهب الزيدي إلى اليمن على يد –يحيى بن الحسين بن القاسم– وهو احد أحفاد الإمام الحسن بن علي(عليه السلام).

من آثار ثورة زيد بن علي قيام ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الطالقان في عهد المعتصم سنة 219 هجرية / 834 ميلادية

بعد وفاة المأمون تسنم الخلافة المعتصم في شهر رجب سنة 218 هجرية وقد كان المعتصم رجلاً صلباً حازماً إلاّ انهُ لم يكن يتتبع تحركات الطالبيين إلاّ بعد أن يشعر بخطورتها على سلطته فقد كانت تأخذهُ عزة السلطان بالآثم حين يرى ملامح منافسة في أي من امتيازاته.

ذكر ابو الفرج الاصفهاني إن المعتصم العباسي إغتال محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) لانهُ تفوق على المعتصم بقوته الجسدية لانهُ استطاع أن يحمل عمود حديد ثقيل ثماني مرات، فأستشاط المعتصم غضباً لهذا الموقف لذلك قرر أن يغتال محمد بن عبد الله فتبعهُ المعتصم بشربة مسمومة وقال لهُ: أحبُ أن تشرب هذا الشراب فأني ذكرتك وأحببتُ أن تشربهُ فشربهُ محمد بن عبد الله فمات من وقته[2].

وحبس المعتصم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) لانهُ امتنع من لبس السواد، فحبسهُ بسامراء حتى مات في حبسه[3].

وعلى الرغم من اهتمامه بالمناقشات التي أنشأها اخوهُ المأمون وحفلت بها مجالس المعتزلة ومنتدياتهم، إلاّ انهُ كان اقرب إلى العسكرية من أي شيء آخر، قادتهُ تربيتهُ العسكرية إلى خطأ جسيم وهو إنشاء فرق الجيش من المماليك والأتراك والفرس، أدى نمو سلطة المرتزقة الأتراك في البلاط وموقفهم العدواني ضد المدينة إلى أن ضاقت بهم بغداد، لذلك وتجنباً للمضاعفات قرر المعتصم تغيير مقرّهُ فأختار موقعاً على مسيرة ثلاثة أيام (90 كيلو متراً) صعوداً من بغداد على يسار دجلة وهناك أسس وبنى سامراء عام (220هـ/836م)[4].

ظهور محمد بن القاسم

كان أبو جعفر محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي

(2) مقاتل الطالبيين ص461.

(3) المصدر السابق ص473.

(4) الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ص240.

بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب، يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد، ويرى رأي الزيدية الجارودية وهم اتباع الجارود بن زياد بن المنذر العبدي، وكانت العامة تلقبهُ الصوافي لانهُ كان قد اعتاد على لبس الصوف الابيض حتى عرف به[1].

كان محمد بن القاسم يسكن الكوفة وانهُ كان يدعو بها سراً إلى الرضا من آل محمد وفيما تتحدث بعض المصادر أن المعتصم شعر بخطر تحركاته فطلبهُ فلما خاف هرب إلى خراسان.

نزل محمد بن القاسم مدينة مرو وكان معهُ بضعة عشر رجلاً، ومن ناحية الرقة بعث إلى المناطق المجاورة يحث أهلها على الانضمام إليه فاستجاب لهُ أربعون الفاً، فأخذ انصارهُ البيعة لهُ منهم ثم نزل محمد في قلعة حصينة لا يبلغها الطير بجبل حريز قرب مرو وبعد فترة وجيزة دخل إلى الطالقان التي تقع بعد أربعين فرسخاً من مرو.

كان محمد بن القاسم قد وعد انصارهُ بيوم إعلان الثورة في مرو إلاّ إنهُ لاحظ بعض هؤلاء الذين انضموا إليه لم يتبعوهُ إلاّ طمعاً في النهب وليس بدافع العقيدة لذلك قرر الانتقال إلى الطالقان لعلهُ يجد جنوداً أشداء ينصرون دين الله فوجدهم فيها. اتخذ محمد بن القاسم من الطالقان مركزاً لدعوته حتى أصبح يطلق عليه صاحب الطالقان واخذ يدعو إلى الرضا من آل محمد واجتمع إليه أنصار كثيرة.

بلغ عبد الله بن طاهر باستفحال أمر محمد بن القاسم فبعث إليه قائد شرطته الحسين بن نوح فلحقت بهم الهزيمة فلما علم عبد الله بن طاهر بالأمر استشاط غضباً، وبعث قائداً من اصحابهِ يقال لهُ نوح بن حبان بن جبلة فكان نصيبهُ الهزيمة ايضاً، فكتب إلى طاهر يعتذر ويحلف انهُ لا يرجع إليه حتى يظفر أو يُقتل، فأمدهُ ابن طاهر بجيش ضخم استطاع التغلب هذه المرة على جند محمد بن القاسم الذي رأى الانسحاب إلى مدينة نسا[2]، مستتراً وتفرق اصحابهُ في المناطق المجاورة يدعون له.

علم عبد الله بن طاهر بمكان اختفاء محمد بن القاسم ورأى أن يبدأ جولة جديدة من المعركة فعهد بأمر الثائر العلوي إلى احد اكبر قوادهُ وهو إبراهيم بن غسان بن الفرج العودي، الذي استطاع هذه المرة إلحاق الهزيمة بمحمد بن القاسم وقبض عليه ورحل به حتى أسلمهُ إلى ابن طاهر[3].

إلاّ أن الطبري قال: إنّ احد أنصار محمد بن القاسم من أهل نسا زار أباه واخبرهُ بمرافقته لمحمد فذهب هذا الأب إلى عامل تلك الناحية واخبرهُ بما علم منه فأرسل رجالاً إلى محمد بن القاسم فأسروهُ[4].

بقي محمد بن القاسم مسجوناً في نيسابور مدة ثلاثة أشهر ليعمي خبرهُ على الناس لكثرة مَنْ بايعهُ بكور خراسان. وكان عبد الله بن طاهر يوجه في كل ليلة بغلاً عليها القباب ليوهم الناس انهُ قد اخرجهُ، ثم يردها إلى أن بعثهُ في ليلة مظلمة حتى أوردهُ بغداد على المعتصم.

ونقل ابو الفرج عن إبراهيم بن غسان بن العودي الذي نقل محمد بن القاسم إلى بغداد، وصفاً دقيقاً لأخلاق الرجل وسجاياهُ، والتزم به من شرائط السؤدد، وما جُبل عليه من أخلاق كبيرة، قال إبراهيم بن غسان: ما رأيتُ قط اشد اجتهاداً منهُ، ولا اعف ولا أكثر ذكراً لله عزوجل مع شدة نفس، واجتماع قلب ما ظهر منهُ جزع ولا انكسار، ولا خضوع في الشدائد التي مرت به، وانهم ما رأوهُ قط مازحاً ولا هازلاً ولا ضاحكاً إلاّ مرة واحدة، ولا رأيناهُ أغتمَّ من شيء جرى عليه إلاّ يوم ورد عليه كتاب المعتصم وقد وردنا النهروان ولما أردنا الرحيل به من النهروان نزعنا جلال القبة فسأل عن السبب في ذلك فأخبرناهُ، فأغتم بذلك ولما صرنا بالنهرين، قلنا لهُ يا ابا جعفر: إنزع عمامتك فأن المعتصم أمر أن تدخل حاسر الرأس تصغيراً من شأنه، دخل محمد بن القاسم إلى بغداد في أواخر شهر ربيع الآخر سنة 219 هجرية، وتصادف يوم وصول محمد بن القاسم إلى بغداد أن كان أهلها يحتفلون بعيد النيروز جرياً على عادة العباسيين في الاحتفال بالأعياد الفارسية[5]، دخل محمد بن القاسم على المعتصم فوجد في مجلسه اصحاب السماجة بين يديه يلعبون والفراغنة يرقصون، فلما رآهم محمد بكى ثم قال: اللهم إنك تعلم إني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وانكاره[6].

وظل الفراغنة يحملون على العامة ويرمونهم بالقذر والميتة والمعتصم يضحك ومحمد بن القاسم يسبح ويستغفر

(1) مروج الذهب ح2ص265.

(2) مدينة نسا بخراسان وكان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا،ولم يتخلف غير النساء،فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجلاً فقالوا هؤلاء نساء، والنساء لا يقاتلن فتنسئ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن فتركوها ومضوا فسموا بذلك نساء والنسبة الصحيحة إليها نسائي: راجع معجم البلدان ج8 ص282.

(3) مقاتل الطالبيين ص468.

(4) تاريخ الطبري ج9 ص7.

(5) عيد النيروز: عيد فارسي قديم أول السنة الفارسية ويقع عند الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل، وكان الفرس يتبادلون فيه الهدايا واعتادوا أن يرش بعضهم بعضاً بالماء، ويرجع الفرس ذلك العيد إلى عثور النبي سليمان على خاتمه بعد ضياعه منه مما أدى إلى عودة ملكه إليه. راجع كتاب جهاد الشيعة ص384.

(6) مقاتل الطالبيين ص470.

الله ويحرك شفتيه يدعو عليهم، والمعتصم جالس ينظر إليهم ومحمد واقف. ولما فرغ المعتصم من لعبه جاءوهُ بمحمد بن القاسم، فأمر بدفعه إلى مسرور الكبير فحبسهُ في سرداب شبيه بالبئر طولهُ ثلاث أذراع وعرضهُ ذراعان، وبعد ثلاثة أيام نقلوهُ إلى مواضع أوسع من ذلك واعطوهُ طعاماً ووكلوا به أشخاصاً يحفظونهُ.

هروب محمد بن القاسم من السجن

اختلف المؤرخون حول طريقة هروب محمد بن القاسم من السجن، فذكر المسعودي اختلاف روايات المؤرخين فقال: فمن قائل يقول قتل بالسم ومنهم يقول إن أناساً من شيعته بالطالقان أتوا ذلك البستان، فتأتوا للخدمة فيه من غرسَ وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود الطالقانية ونقبوا الازج، واجروهُ فذهبوا به، فلم يعرف لهُ خبر إلى لآخر هذه الغاية وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمداً لَم يمت، وانهُ حي يرزق وانهُ يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وانهُ مهدي هذه الأمة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان[1].

ذكر الطبري عن هروب محمد بن القاسم فقال: انهُ لما كانت ليلة الفطر واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج وذكر أنّه هرب من الحبس بالليل وانهُ دُلّيَ حبل من كوة في أعلى البيت يدخل عليه منها الضوء فلما أصبحوا بالطعام للغداء فلم يجدوهُ[2].

أما أبو الفرج فقد ذكر أنهُ احتال بنفسه للهروب، وإنما وقع الخلاف في مصيره فقال: كانت في الغرفة التي فيها محبوس عدة (رَوَازن وكَوَى) واسعة للضوء، فطلب مقراضاً عندهُ يقصُ به أظفارهُ فُدفع إليه فعمد إلى لبْد[*] كان تحتهُ فقطع نصفهُ بالمقراض وقصصهُ كهيئة السيور وعمل منهُ مثل السلم، وطلب منهم سعفة ذكر أنهُ يريد أن يطرد بها الفأر فأنهُ يأكل خبزهُ فينجسهُ عليه، فأعطوهُ فقطعها، وخرز حواليها بالمقراض حتى كسرها ثلاث قطع وقرنها بمسواكه وجعلها في رأس السلم وحلق به في أقرب روزنة من تلكَ الروازن إليه فعلق فيها وتسلق عليه وجذبهُ إليه لما صعد فنجا. كان ذلك في (30/رمضان/سنة 219 هجرية) ليلة عيد الفطر وقد أدخلت الفواكه والرياحين وآلة العيد على رؤوس الحمالين إلى البستان المحبوس فيه محمد القاسم، وصار الحمالون جميعاً إلى القبة التي فيها محمد فباتوا حولها، ورموا بناتيجهم وناموا، فرمى بنفسه من القبة إلى اسفل ونام بين الحمالين وتحركت خرزة من فقار ظهرهِ ولم تنفك، فنام بين الحمالين ثم عجل فأخذ بنتيجة احدهم وذَهب ليخرج فقال احد البوابين: مَنْ أنت؟

فقال محمد بن القاسم: احد الحمالين أردتُ الانصراف إلى أهلي.

فقال لهُ: نم عند مكانك لا يأخذك العسس فنام عندهُ ولما طلع الفجر خرج الحمالون وخرج معهم وأفلت.

أما الحمالون لما أصبحوا فتحوا باب الغرفة فلم يجدوهُ، فأعلموا مسروراً بذلك الذي دخل على المعتصم حافياً مستسلماً للقتل وأعلمهُ الخبر.

فقال المعتصم: لا بأس عليك، إنّ كان ذهب فلن يفوت، فقال مسرور بعد ذلك: هذا من تفضيلك عليّ، ولو جرى هذا أيام الرشيد لقتلني[3].

مصير محمد بن القاسم

اختلف المؤرخون حول مصير محمد بن القاسم فيذكر الطبري: انهُ لم يُعرف له خبر وإلى أين صار من الأرض وأنه استتر إلى أن مات[4].

وذكر ابن عنبة الحسيني في كتابه عمدة الطالب: إنّ المعتصم أخذه بعد أن هرب من حبسه وضُربت عنقهُ صبراً وصلبهُ بباب الشماسية وهو ابن ثلاث وخمسين سنة[5].

وروى أبو الفرج الأصفهاني عدة روايات تذهب الرواية الأولى إلى أنهُ رجع إلى الطالقان فمات هناك.

والرواية الثانية تذهب إلى أنهُ انحدر إلى واسط حيث اشتد عليه المرض فمات.

والرواية الثالثة تقول أنهُ توارى أيام المعتصم والواثق ثم قبض عليه المتوكل حيث أمر بسجنه فمات في السجن[6].

على أن الأصفهاني ذكر أن أصح الأقوال هو انحدارهُ إلى واسط وبها مات.

عوامل إخفاق الثورة

(1) مروج الذهب ج2 ص265.
(2) تاريخ الطبري ج9 ص8.
(*) لـبْد: الـلّبْد بوزن الجلد وجمعها لَبـد ومنهُ قوله تعـالى: كـادوا يكونـون عليَه لبداً. واللبادة ما يلبس منهُ للمطرَ، ويقال: الناس لُبدٌ ايضاً أي مجتمعون، واهلكتُ مالاً لُبداً أي جمعاً. راجع مختار الصحاح ص 589. راجع: مقاتل الطالبيين ص571.
(3) تاريخ الطبري ج9 ص7.
(4) عمدة الطالب ص306.
(5) مقاتل الطالبيين ص472.
(6) فرق الشيعة ص48.

ما هي عوامل إخفاق ثورة محمد بن القاسم، على الرغم من اتساع نطاقها وكثرة أنصارهُ في أول قيامها؟

نرى أن الإخفاق يرجع إلى عوامل عدة هي:

1- قوة الدولة العباسية في عهد المعتصم وقد وصف ابن الطقطقي المعتصم بقوله: انهُ كان سديد الرأي شديد المنة موصوفاً بالشجاعة[1].

2- ومن العوامل ايضاً اعتماد المعتصم على القائد عبد الله بن طاهر الذي كان من كبار القواد العباسيين وهو القائد الذي نجح في مواجهة جيش الأمين مما انتهى بمصرعه وخلاص المأمون منه. وهو الذي اخمد ثورة نصر بن شيث على الرغم من قوتها وعنفها وهو الذي ارسلهُ المأمون إلى مصر سنة 210 هجرية لإخماد ثورة المصريين وقد وصف المعتصم ابن طاهر فقال عنهُ: هو الرجل الذي لم يرَ مثلهُ.

3- ومن عوامل إخفاق ثورة محمد بن القاسم ايضاً مناداتهُ بآراء الزيدية الجارودية التي لم تكن ترضي كثيراً من الزيدية، وخاصة الزيدية في الكوفة، يقول النوبختي عن أبي الجارود رأس هذه الفرقة: ولقبهُ سرحوب واسمهُ زياد بن المنذر العبدي كان ابو الجارود أعمى البصر، أعمى القلب.....[2].

يقول الشهرستاني عن اختلاف الجارودية في سوق الإمامة: واختلف الجارودية في التوقف والسوق فساق بعضهم الإمامة من الإمام علي إلى الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين السجاد، ثم ابنهُ زيد بن علي، ثم منهُ إلى محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب محمد ذو النفس الزكية، والذين قالوا بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن، اختلفوا فمنهم من قال انهُ لم يقتل وهو بعد حيّ يرزق فيملأ الأرض عدلاً ومنهم من اقر بموته، وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان، ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقُتل في أيام المستعين[3].

وكانت الشيعة الإمامية تبغض الشيعة الزيدية من أتباع أبي الجارود فقد لعنهُ الإمام الصادق(عليه السلام) كما تبرأ منهُ من قبل الإمام محمد الباقر(عليه السلام).

4- ومن أبرز عوامل إخفاق هذه الثورة ميلهُ إلى أراء المعتزلة إذ نادى بالعدل والتوحيد، وهما من ابرز تعاليم جماعة المعتزلة.

وعلى الرغم من نهاية ثورة محمد بن القاسم فإن لثورتهِ على الرغم من قصر مدتها أهمية بالغة في ترسيخ الدعوة الزيدية للرضا من آل محمد في الطالقان وكور خراسان مما مهد لثورات شيعية أخرى التي انتهت بتأسيس دولة العلويين في الطالقان.

والذي يقرأ تاريخ الثورات الشيعية منذ ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) وما تلاها من ثورات وتضحيات في العهدين الأموي والعباسي وشعار الثورات الذي كان يستقطب الناس ويستولي على مشاعرهم هو (الرضا إلى من آل محمد) يدرك بوضوح كامل تعاطف الناس معهم واتجاه الرأي العام نحو إمامة أهل البيت وإدراكهم لمقامهم ومكانتهم الرسالية.

لقد شكل الأئمة(عليهم السلام) خط المعارضة السياسة هم وأتباعهم ومَنْ شايعهم على امتداد الصراع ضد تسلط الأمويين والعباسيين الذين تسلطوا على رقاب الناس بالقهر والإرهاب وابتعدوا عن النهج الذي اختطهُ رسول الله(صلى الله عليه وآله) للمسلمين.

ومَنْ يقرأ التاريخ الإسلامي يجد ان أهل البيت(عليهم السلام) كانوا قادة المعارضة ورمز الكفاح، ومأوى زعماء الثورات، فقد كان للائمة(عليهم السلام) المقام الكبير والاحترام المنقطع النظير في نفوس المسلمين فالكل كان يكنُ لهم الحب والاحترام عدا مَنْ يخشى على سلطتهِ ومكانتهِ السياسية ومكاسبهِ الشخصية أو ركبهُ الجهل والعصبية.

وكان لكل إمام من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من الإمام علي(عليه السلام) وحتى نهاية هذه السلسلة المباركة، كفاح سياسي طويل ومواجهة معارضة للسلطة والحكومة القائمة، وكان الحكام في العصرين الأموي والعباسي يعتبرون الإمام المتصدي من أهل البيت عليهم السلام هو مصدر التحرك السياسي ورمز المقاومة ومأوى المعارضة، لذلك لم يسلم إمام من الأئمة من الملاحقة والاضطهاد والمضايقة والمراقبة أو السجن والقتل.

❖ ثامناً: المبادئ العامة للزيدية

1- القول بإمامة زيد بن علي: تعتقد الزيدية أن الإمامة لعلي بن أبي طالب ثم للحسن والحسين وهي بعد ذلك في أولادهما من أي الفرعين الحسن والحسين ولا يقصرونها على أولاد الحسين فقط كما تعتقد الأمامية ويعلل الزيدية قصر الإمامة على الحسن والحسين دون أخوانهما من ولد علي بن أبي طالب بما امتاز به الحسن والحسين وأولادهما من العلم والورع والتقوى والبصيرة والتدبر[4].

2- القول بإمامة المفضول مع وجود الأفضل: تقول

(1) الفخري في الآداب السلطانية ص229.
(2) الملل والنحل ج1ص158.
(3) فرق الشيعة ص48.
(4) ثورة زيد بن علي ص168.

الزيدية بصحة إمامة المفضول مع وجود الأفضل أما مقياس الفضل عندهم فهو الفعل دون غيره.

وهو قول غير صحيح وقد أستدل العلماء لمنعه بوجوه منها:

أ- نقل الإجماع على تعّين تقليد الأفضل.

ب- إن قول الأفضل أقرب من غيره جزماً فيجب الأخذ به عند المعارضة عقلاً[1].

ت- الأخبار الدالة على ترجيحه مع المعارضة كما في المقبولة أو مقبولة عمر بن حنظلة قال سألت أبا عبد الله الصادق(عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى أن قال فأن كان كل واحد اختار رجلاً من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حديثهما واختلف فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم فقال: الحكم ما حكم به أعدلهما وافقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا يلتفت إلى ما يحكم ما حكم به الآخر فقال: فأنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منها على صاحبه؟ قال: فقال: ينظر إلى ما كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه عند أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه..... إلى آخر الخبر[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق(عليه السلام): في رجلين اتفقا على عدلين جعلاهما بينهما في حكم وقع بينهما فيه خلاف فرضيا بالعدلين فاختلف العدلان بينهما عن قول أيهما يمضي الحكم؟ قال ينظر إلى افقههما واعلمهما بأحاديثنا وأورعهما فينفذ حكمه ولا يلتفت إلى الآخر[3].

ث- إن قول الأفضل اقرب من غيره جزماً فيجب الأخذ به عند المعارضة عقلاً[4].

وعلى الرغم من السهولة التي رافقت القضاء على ثورة زيد فأنها كانت سلسلة طويلة من الثورات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الدولة الأموية[5].

لقد كانت ثورة زيد بن علي شبيهة إلى حدّ بعيد بثورة الإمام الحسين(عليه السلام) حيث مثل زيد كما مثل الحسين من قبل التيار الديني في صراعه مع التيار الدنيوي كما مثل الدعوة لمثالية الإسلام وعدالته وزيد لم يكن من أولئك المغامرين

(1) كفاية الأصول ص534.
(2) وسائل الشيعة ج18 ص75.
(3) وسائل الشيعة ج18 ص80.
(4) كفاية الأصول ص533.
(5) تاريخ الشعوب الإسلامية ج1ص190.

الذين يقودهم طموحهم وتدفعهم هممهم العالية إلى الغلو في الطلاب والمسير إلى المراكز الرئيسة ولو على أشلاء، بل انهُ من أولئك الثوار المصلحين الذين لم يجدوا سبيلاً للإصلاح سوى الثورة والتضحية وسيرتهُ تحُدثنا بذلك وتؤكد اهتمامهُ ومعاناتهُ.

وقد قيل عنهُ: انه لما رأى الأرض قد طبقت جوراً وتخاذل الناس كانت الشهادة أحب الميتات إليه....[6].

لقد أثرت ثورة زيد بن علي في الدعوة العباسية فقد شَدَدَ الأمويون قبضتهم على العباسيين ودعاتهم حتى أصبح محمد بن علي العباسي سجيناً في بيته فانقطعت عنهُ إخبار الدعاة ولم يستطع لقاء النقباء إلاّ في مكة عند موسم الحج وفي سرية تامة وأدرك العباسيون خطورة ثورة زيد على دعوتهم العباسية فقد اقبل داود بن علي العباسي على زيد يذكرهُ بموقف أهل الكوفة من علي والحسن والحسين وينصحهُ بأن لا يستسلم إلى وعودهم الخلابة التي سرعان ما تتبخر ولكن زيداً أصر على المضي في طريق الثورة فقال لداود: إنّ علياً كان يقاتلهُ معاوية بدهائه ونكرانه بأهل الشام، وان الحسين قاتلهُ يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل يقول ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: ظن زيد أن ظروف الدولة الأموية تسمح بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك ولكن في الحقيقة لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منهُ دانت لهُ البلاد وملك جميع البلاد...[7].

ويئس داود من إقناع زيد فقال لهُ: إني لخائف إن رجعت معهم أن يكون احد اشد عليك منهم وأنت اعلم[8].

❖ تاسعاً: أهمية ثورة زيد بن علي

تجلت أهمية ثورة زيد بن علي في كونها، على ما يتبين لنا، المرة الأولى في تاريخ التشيع في العصر الأموي التي تولى فيها زعيم من آل البيت(عليهم السلام) الإشراف المباشر على عملية الإعداد للثورة التي سيقودها ضد السلطة وتكمن أهميتها أيضاً في أن الثورة كانت الغطاء السياسي الذي اشغل الأمويين عن المعارضين الآخرين من شيعة العلويين الذين خرجوا إلى العراق وخراسان بعد اللقاءات الحميمة، فتمكنوا من العمل بهدوء وتكتم شديد فضلاً عن أن نتائج ثورة زيد بن علي أعطت لهؤلاء المعارضين دفعاً معنوياً ومساحة أوسع للتحرك إذ ازدادت نقمة الناس واستياؤهم من سلطة بني أمية وموقفها من آل البيت(عليهم السلام)، وتجلت أهميتها أيضاً في كونها هيأت

(6) البيان والتبيين ج1ص310.
(7) الإمامة والسياسة ج2ص130.
(8) تاريخ الطبري ج8 ص265.

مشروع قيادة علوية تواصل مسيرة المعارضة ضد السلطة الأموية في مرحلة ما بعد الثورة وقد تمثل ذلك بوصية زيد لابنه يحيى في أن لا يتوقف بعده في مجاهدة بني أمية وبالفعل فقد قاد يحيى معارضة للسلطة في خراسان على عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك 125 - 126هـ لكن معارضته سرعان ما انتهت بمقتله أيضاً، عام 125هـ/ 742م[1].

أشرت ثورة زيد بن علي منعطفاً خطيراً في تاريخ معارضة العلويين وشيعتهم لسلطة بني أمية إذ كانت على ما نعتقد المطرقة الأخيرة التي فتحت الباب أمام رياح التغيير فمكنتها بعد سنوات قليلة من إنهاء السلطة الأموية.

❖ ❖ ❖

مصادر البحث

القرآن الكريم

❖ أولاً: المصادر المخطوطة

1- حميد بن احمد البراقي: الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، ج1، من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الاشرف، رقم (46/ف).

2- مثنى الشرع: ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) الأسباب والنتائج، مخطوط في مكتبتي الخاصة.

3- مثنى الشرع: الثورات الشيعية في العصر الأموي، مخطوط في مكتبتي الخاصة.

❖ ثانياً: المصادر العربية:

1- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1960.

2- _____: الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1993.

3- ابن اعثم الكوفي: الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1992.

4- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988.

5- ابن حزم: الفصل في الملل والنحل، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1317هـ

6- ابن سعدالبصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1984.

7- ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1966.

8- ابن شهر آشوب المازندراني: مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1956.

9- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مطبعة مكتبة النهضة، القاهرة، 1948.

10- ابن عنبة الحسيني: عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1961.

11- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948.

12- ابن كثير: البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.

13- ابن نشوان الحميري: شرح رسالة الحور العين وتنبيه السامعين، مطبعة السعادة، القاهرة، 1948.

14- ابن خلدون: مقدمة أبن خلدون، المطبعة البهية، القاهرة، 1284 هجرية.

15- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق احمد صقر، المطبعة الفيضية، قم، 2005.

16- _____: الاغاني، دار الثقافة، بيروت، 1955.

17- أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي: إختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، صححهُ وعلق عليه حسن المصطفوي، مشهد، 1348هـ

18- أبو المظفر يوسف شمس الدين: تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف، 1948.

19- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مطبعة النهضة، القاهرة، 1373هـ

20- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1949.

21- احمد بن اسحق بن جعفر بن البغدادي اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، علق عليه خليل المنصور، مطبعة مهر، قم 1425هـ

22- احمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

23- احمد بن يحيى البلاذري: أنساب الإشراف، دار المعارف، القاهرة، 1959.

(1) تاريخ اليعقوبي ج2، ص 232.

24- احمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، دار القلم، بيروت، 1987.
25- احمد بن علي القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963.
26- _____: صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة.1917.
27- احمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصا، المطبعة المصرية، القاهرة، 1883.
28- احمد بن محمد بن يعقوب (ابن مسكويه): تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، 1914.
29- أنيس زكريا النصولي: الدولة الأموية في الشام، مطبعة دار السلام، بغداد، 1927.
30- الحسن بن زين الدين العاملي: منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان، مطبعة جاويد، ايران.
31- الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، 1972.
32- الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، المطبعة الحيدرية، النجف، 1959.
33- باقر شريف القرشي: حياة الإمام زين العابدين، مطبعة الشريعة، قم، 2008.
34- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، دار المعارف، القاهرة، 1964.
35- حسن عباس حسن: الفكر السياسي الشيعي الأصول والمبادئ، الدار العالمية للطباعة، بيروت، 1988.
36- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1957.
37- حسن فاضل زعين: سياسة أبي جعفر المنصور الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.
38- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986.
39- خليفة بن خياط الليثي العصفوري الملقب بشباب (ابن خياط): كتاب التاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب، النجف، 1967.
40- جمال الدين بن نباته المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964.
41- جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفا، مطبعة المدني، القاهرة، 1994.
42- جماعة: سيرة رسول الله وأهل بيته، مؤسسة الهدى، طهران، 2000.
43- تقي الدين احمد بن علي المقريزي: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبين بني هاشم، المطبعة الإبراهيمية، القاهرة، د.ت.
44- _____: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967.
45- زين الدين بن عمر بن مظفر ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969.
46- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، 1938.
47- سمير مختار الليثي: جهاد الشيعة، دار الجيل، بيروت، 1976.
48- شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الإرب في فنون الادب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطابع كوستوماس وشركاءه، بيروت، د ت.
49- شمس الدين بن احمد الساغي: الروض النضير في شرح مجموع الفقه الكبير، مكتبة مؤيد، الطائف، 1988.
50- شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدسي والقهارة، 1367هـ
51- _____: العبر في خبر من غبر، دار المطبوعات والنشر، الكويت، 1960.
52- شريف صالح: الإمام زيد المفترى عليه، المكتبة الفيصلية، الرياض، 1984.
53- عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ
54- عبد الرزاق المقرم: ثورة زيد بن علي، المطبعة الحيدرية، قم، 2011.
55- عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، المكتبة العمومية، بيروت، 1959.
56- _____: داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس، دار الطليعة، بيروت، 1963.
57- عبد الأمير عبد حسين الدكسن: الخلافة الأموية دراسة سياسية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
58- عبد الله المامقاني: تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة المرتضوية، النجف 1352هـ
59- عبد الله شبر: جلاء العيون، دار المرتضى، بيروت، 2007.
60- عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، صححهُ هـف.امدروز، أجزاء

5-10، حيدر آباد - الدكن، الهند، 1939.
61- عباس القمي: سفينة البحار، مطبعة النجف، النجف، 1355هـ
62- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الانوار، بيروت، 2009.
63- علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1969.
64- علي بن أبي المكارم الشيباني (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009.
65- علي بن الحسين الهاشمي: سعيد بن جبير، تحقيق المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، دار الهدى، قم، 2003.
66- علي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، القاهرة، 1959.
67- _____: المهدي العباسي، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، 1968.
68- _____: المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، 1963.
69- علي بن إسماعيل الاشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1969.
70- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأنوار، بيروت، 2009.
71- علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، 2005.
72- فليب حتي: تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1950.
73- فاروق عمر فوزي: العباسيون الاوائل، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2003.
74- كامل مصطفى الشيبي: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة، ط1، بغداد، 1966.
75- مهدي النجم: ثورات العلويين، مؤسسة البلاغ، بيروت، 2002.
76- محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون، المكتبة الأهلية، بيروت، د.ت.
77- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009.
78- محمد بن الحسن العاملي: وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983.
79- محمد كاظم الخراساني: كفاية الاصول، منشورات المركز الإسلامي، قم، 1424هـ
80- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983.
81- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1983.
82- محمد الساعدي: الحسنيون في التاريخ، مطبعة النجف، النجف، 1956.
83- محمد بن حبيب ابن حبيب البغدادي: المُحبر، تحقيق ايلز لبختن شتيز، مطبعة دائرة المعرف العثمانية، حيدر آباد الكن، 1942.
84- محمد بن يزيد النحوي: الكامل في اللغة والأدب، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، 1355هـ
85- محمد هادي الاميني: بطل فخ، شركة الكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
86- محمد بن علي بن بابويه القمي: عيون أخبار الرضا، منشورات جيهان، طهران، 1967.
87- محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الايباري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1938.
88- محمد بن يوسف الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة، هذبهُ وصححهُ رفن ركست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.
89- محمد تقي التستري: قاموس الرجال، المطبعة العلمية، قم، 1387هـ
90- محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1983.
91- _____: المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة الاحمدية، مطبعة العرفان، صيدا، 1927.
92- مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، من منشورات مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
93- مصعب بن عبد الله الزبيري: نسب قريش، صححه وعلق عليه ونشره ليفي بروفنسال، مطبعة الشريعة، قم، 2007.
94- نزار البو سعيد: جذور الشبهات قراءة في فكر الخوارج، دار البراق، لندن، 1996.
95- نيكيتا أيليسف: الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ترجمة منصور أبو الحسن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.
96- ناجي حسن: ثورة زيد بن علي، مطبعة ألآداب، النجف، 1968.
97- هاشم معروف الحسني: سيرة الأئمة الاثني عشر،

دار القلم، بيروت، 1977.
98- _____: الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1990.
99- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
100- يوسف بن شمس الدين (سبط ابن الجوزي): تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف، 1969.
101- يعقوب بن سفيان البسوي: المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1974.
102- يزيد بن محمد الازدي: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، 1967.

❖ ثالثاً: المصادر المترجمة:

1- فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، القاهرة، 1934.
2- _____: السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة الدكتور إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.
3- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1960.
4- نيكيتا أيليسيف: الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ترجمة منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1973.
5- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1968.

❖ رابعاً: الرسائل الجامعية

1- كمال محمد شلال أبو زيد: أبو جعفر المنصور وقيام الدولة العباسية، رسالة دكتواره غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، 1947.
2- كفاية طارش العلي: الأسر الأموية التي لم تتول الخلافة دراسة في أحوالها الاجتماعية والإدارية والسياسية الفكرية (41-656هـ/661-1358م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2004.

❖ خامساً: المجلات والصحف

1- مثنى الشرع: في رحاب الإمام الصادق(عليه السلام)، جريدة الفرات العدد 108، النجف، 2001.
2- مثنى الشرع: المختار الثقفي وقتلة الإمام الحسين، مجلة حولية الكوفة، العدد1، النجف، 2011.

❖ ❖ ❖